

مَنْشَأُ الْبِرِّ الْقَائِمِ
وَالْمُخْلِيفِ فِيهِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ

جَمْعِيَّةُ مُنْتَدَى الشُّبْر
السَّجْفُ الْأَشْرَفُ

مُنْتَهَى الْقُرْآنِ

وَالْمُخْتَلَفِ فِيهِ

الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ شَهْرَاشُوبَ
الْمُتَوَفِّيَ سَنَةَ ٥٨٨ هـ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

التَّوْحِيدُ

تَحْقِيقُ وَتَعْلِيلُ

حَامِدُ الْمُؤْمِنِ

الْعَارِفُ النَّظْبِيُّ عَمَّاتِ

هوية الكتاب

اسم الكتاب: مشابه القرآن والمختلف فيه

الجزء الأول

المؤلف: أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب

تحقيق: حامد جابر حبيب المؤمن الموسوي

تنضيد وإخراج فني: نصير علي موسى شكر

القياس: ٢٤ x ١٧ (فني)

عدد الصفحات: ٤٥٦ صفحة

الطبعة الاولى المنقحة

1429 هـ - 2008 م

جميع حقوق النشر محفوظة ومسجلة
للناشر والمؤلف ولا يحق لأي شخص أو
مؤسسة أو جهة إعادة طبع أو ترجمة أو نسخ
الكتاب أو أي جزء منه إلا بترخيص خطي من
المؤلف والناشر تحت طائلة الشرع والملاحقة
القانونية ...

الناشر

جَمْعِيَّةُ مُنْتَدَى النِّسْرِ
النَّجْفُ الْأَشْرَفُ



مؤسسة العارف للمطبوعات

بيروت - لبنان

TLF:00961 1 452077

العراق - النجف الاشرف / الميدان

TEL: 00964 33 370636

MOB: 00964 7801327828

[Url:www.alaref.net](http://www.alaref.net)

Email:arefli@hotmail.com

❁ الإهداء ❁

الله أَكْبَرُ كَثِيراً وَالْحَمْدُ لله كَثِيراً وَسُبْحَانَ الله بُكْرَةً وَأَصِيلاً..

الْحَمْدُ لله الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ، لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ..

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَايِمَ النَّبِيِّنَّ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَشْهَدُ أَنَّكَ جِئْتَ بِالْحَقِّ، وَصَدَقْتَ الْمُرْسَلِينَ..

يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ اللهُ..!

وَهَذَا جُهْدُ الْقَلْبِ الْمُقْصِرِ - وَهُوَ قَبَسٌ مِنْ نُورِكَ، وَشُعَاعٌ مِنْ هَدْيِكَ، وَدَفْقَةٌ مِنْ نَبْعِكَ الثَّرِّ النَّمِيرِ - أَرْفَعُهُ إِلَيْكَ رَاجِئاً بِهِ شِفَاعَتِكَ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ آتَى اللهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ... فَتَقَبَّلْهُ مِنِّي - يَا حَبِيبِي يَا رَسُولَ اللهُ! - بِقَبُولِ حَسَنِ... جَزَاكَ اللهُ عَنْ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ، وَصَلَّى عَلَيْكَ صَلَاةَ دَائِمَةٍ لَا تَنْقَطِعُ أَبَداً...

المؤمن بك والمنتسب إليك:

حامد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة^(١) في المؤلف والكتاب

١ - المؤلف:

هو الحافظ أبو جعفر - وأبو عبدالله - محمد بن عليّ بن شهر آشوب ابن أبي نصر بن أبي الجيش السروي المازندراني الملقب برشيد الدين، وعزّ الدين.

(١) مصادر المقدمة: مفردات ألفاظ القرآن (الراغب الاصفهاني) / الكشاف (جار الله الزمخشري) / مجمع البيان (أبو علي الطبرسي) / الواقي بالوفيات (الصفدي) / البلغة في تاريخ أئمة اللغة (الغبروزآبادي) / لسان الميزان (ابن حجر العسقلاني) . الإتقان في علوم القرآن (السيوطي) / طبقات المفسرين (الداودي) / أمل الأمل (الحر العاملي) / نقد الرجال (الضريشي) / كشف الظنون (حاجي خليفة) / إيضاح المكنون (إسماعيل باشا البغدادي) / الذريعة إلى تصانيف الشيعة (أغا بزرك) / الأعلام (خير الدين الزركلي) / مباحث في علوم القرآن (صبيح الصالح) / مقدمة معالم العلماء (محمد صادق بحر العلوم) / الميزان في تفسير القرآن (محمد حسين الطباطبائي) / التفسير والمفسرون (محمد هادي معرفة) / علوم القرآن (محمد باقر الحكيم) / معجم المفسرين من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر (عادل زعيتر) / قضايا إسلامية (مجلة) مقال علي الكمي: ٧٤، ١٤٢٠ هـ.

الإمام الفقيه المحدث، والمفسر، المحقق، والأديب البارع، الجامع لفنون الفضائل، وحسبك أنه اشتهر بلقب «شيخ الطائفة» وهذا اللقب العالي، لم يَفُزْ به غيره بعد شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ.

وُلِدَ - على ما صرَّح به أصحابُ التراجم - سنة ٤٨٩ هـ. ونشأ في بيت عُرف بالتقوى والفضيلة والعِلْم. فقد تلقى العلم عن جدّه شهر آشوب - وقد كان فاضلاً محدثاً - وعن أبيه عليّ - وكان فاضلاً، عالماً، فقيهاً محدثاً.

حفظ ابنُ شهر آشوب القرآن، وله ثمان سنوات - ولهذا لقب بالحافظ - واشتغل بالحديث، ولقي الرجال، ثُمَّ تَفَقَّه، وبلغ النهاية في فقه أهل البيت (عليهم السلام)، ونبغ في علم الأصول، ثُمَّ تقدّم في علوم القرآن، والقراءات، والغريب، والتفسير، والنحو، وركب المنبر للوعظ.

ولم يَدُمَ المقام بابن شهر آشوب في سارية مازندران - التي وُلِدَ فيها ونشأ وتلقَى علومه - طويلاً، حتّى خَشِيَهُ واليها، فأخرجهُ منها عنوةً، فصار إلى بغداد في أيام المقتني العباسي (٥٣٠ هـ - ٥٥٥ هـ) ووعظ، وعظمت منزلته، وخُليع عليه. وناظر، فاستظهر على خصومه، ولُقّب برشيد الدّين - وكان يلقّب بعزّ الدّين - ثُمَّ خرج إلى الموصل، ثم قَدِمَ حَلَب، وكانت وفاته فيها في شعبان سنة ٥٨٨ هـ. ودُفِنَ في سفح جبل هناك، يقال له: جوشن. وهي مقبرة لدفن كبار علماء الشيعة في حلب.

ويرى شيعة حلب: أن هذا المحلّ، هو مشهد (محسن) السقط ابن الإمام أبي عبدالله الحسين بن الإمام عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام).

وكان ابن شهر آشوب بهي المنظر، حسن الوجه والشيبة، صدوق اللهجة، مستعذب الألفاظ، مليح المحاوررة، واسع العلم، كثير الفنون، حسن الغوص على المعاني، كثير الخشوع والعبادة والتهجد، لا يجلس إلا على وضوء.



٢ - شيوخه:

تلمذ ابن شهر آشوب على جماعة من الأساتيد الكبار - بعد تلمذته لجدّه (شهر آشوب) وأبيه (علي).

وأشهر شيوخه:

١ - جابر الله الزمخشري المعتزلي - صاحب (الكشاف) - المتوفى سنة

٥٣٨هـ.

٢ - أبو عبدالله محمد بن أحمد النطنزي - صاحب كتاب (الخصائص

العلوية) - من علماء القرنين الخامس والسادس الهجريين.

٣ - ناصح الدين أبو الفتح عبدالواحد التميمي الأمدي - صاحب (غرر

الحكم ودرر الكلم) - المولود سنة ٥١٠هـ.

٤ - أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي - صاحب

(الاحتجاج) - وهو من أهل المائة الخامسة الذين أدركوا المائة السادسة.

٥ - أبو الحسين سعيد بن هبة الله المعروف بالقطب الراوندي - صاحب

(فقه القرآن) - المتوفى سنة ٥٧٣هـ.

٦ - أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي - صاحب (مجمع البيان) - المتوفى سنة ٥٤٨ هـ.

٧ - علي بن أبي القاسم البيهقي - صاحب (تاريخ بيهق) - المتوفى سنة ٥٦٥ هـ.

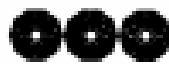
٨ - جمال الدين أبو الفتح الحسين بن علي الرازي - صاحب تفسير (روض الجنان وروح الجنان).

٩ - أبو علي محمد بن الحسن القتال الواعظ النيسابوري - صاحب كتاب (روضة الواعظين) - الشهيد سنة ٥٠٨ هـ.

١٠ - أبو الحسن فريد خراسان علي بن أبي القاسم زيد بن الحاكم الإمام أميرك محمد، المتوفى سنة ٥٦٥ هـ.

١١ - السيد الإمام ضياء الدين أبو الرضا فضل الله بن علي بن عبيدالله الحسيني الراوندي القاشاني صاحب (النوادر) - المتوفى سنة ٥٧١ هـ.

١٢ - وروى عن كثير، وأجازه كثيرون.



٣ - مؤلفاته:

كان ابن شهر آشوب (رحمه الله) عالماً موسوعياً جامعاً، ذا جوانب علمية متعددة متنوعة. لذا جاءت تصنيفاته العلمية انعكاساً طبيعياً لشخصيته العلمية.

وفيما يلي جردٌ لأهمِّ مؤلفاته - التي وصلت إلينا والتي فُقدت فلم تصل إلينا - كما أوردتها المصادر^(١):

- ١ - مناقب آل أبي طالب.
- ٢ - مثالب النواصب.
- ٣ - المخزون المكنون في عيون الفنون.
- ٤ - مائدة الفائدة.
- ٥ - المثال في الأمثال.
- ٦ - معالم العلماء.
- ٧ - أسباب النزول على مذهب آل الرسول.
- ٨ - الحاوي.
- ٩ - متشابه القرآن (وهو كتابنا).
- ١٠ - الأوصاف.
- ١١ - المنهاج.
- ١٢ - كتاب الأربعين في مناقب سيدة النساء فاطمة الزهراء (عليها السلام).
- ١٣ - الفصول في النحو.



(١) اعتمدنا في إعداد قائمة مؤلفاته على كتاب: الذريعة إلى مصنفات الشيعة، وعلى مقدمة (معالم العلماء) للسيد محمد صادق بحر العلوم، وعلى كتاب: البلغة في تاريخ أئمة اللغة.

٤ - شعره:

كان ابن شهر آشوب (رحمه الله) شاعراً لما يكتنزه من معرفة باللغة والأدب والتاريخ وعلوم القرآن وغير ذلك مما يرفد ملكة قول الشعر، لكن شعره لم يكن من الطبقة العليا، شأنه في ذلك شأن العلماء الذين لا يتخذون الشعر ديدناً لهم، يتخصصون فيه، ويمجدون فيه كل الإجادة، وقد أورد في كتابيه: (مناقب آل أبي طالب) و(متشابه القرآن) طائفة من شعره، تؤيد ما ذهبنا إليه، ويحمل الصبغة العلمية، والعقائدية.



٥ - أقوال العلماء فيه:

كان ابن شهر آشوب شخصية علمية ضخمة، فرضت وجودها في عصرها، وتركت أثراً واضحاً لمن بعدها. لهذا لم تغفل المراجع العلمية ذكره، وذكر تصانيفه. بل إن العلماء من مختلف المدارس والمذاهب والاتجاهات ذكروه، وأطروه، وحددوا أبعاد شخصيته العلمية الضخمة، وما أنتجت من تآليف جليلة وخاصة في علوم القرآن.

فقد ذكره صلاح الدين الصفدي قائلاً: «محمد بن علي بن شهر آشوب أبو جعفر السروي المازندراني رشيد الدين الشيعي، أحد شيوخ الشيعة، حفظ القرآن وله ثمان سنين، وبلغ النهاية في أصول الشيعة. كان يرحل إليه من البلاد،

ثم تقدّم في علم القرآن والغريب والنحو، ووعظ على المنبر أيام المقتضي ببغداد، فأعجبه وخلع عليه، وأثنى عليه كثيراً^(١).

وقال شمس الدين محمد بن عليّ الداودي المالكي في طبقات المفسرين^(٢):
 «محمد بن علي بن شهر آشوب بن أبي نصر، أبو جعفر السروي المازندراني رشيد الدين، أحد شيوخ الشيعة، اشتغل بالحديث ولقي الرجال، ثم تفقه، وبلغ النهاية في فقه أهل مذهبه، ونبغ في الأصول، حتّى صار رحلة، ثم تقدّم في علم القرآن، والقراءات والتفسير والنحو. وكان إمام عصره، وواحد دهره، أحسن الجمع والتأليف، وغلب عليه علم القرآن والحديث. وهو - عند الشيعة - كالخطيب البغدادي لأهل السنة في تصانيفه... واسع العلم، كثير الفنون».

وقال عنه ابن حجر العسقلاني الشافعي: «اشتغل بالحديث، ولقي الرجال، ثم تفقه، وبلغ النهاية في فقه أهل البيت، ونبغ في الأصول، ثم تقدّم في القراءات والقرآن، والتفسير والعريّة، وكان مقبول الصورة، مليح العرّض على المعاني... وكان كثير الخشوع مات في شعبان سنة ٥٨٨هـ^(٣).

وذكره السيد مصطفى التفريشي في (نقد الرجال)^(٤) فقال: «محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني، رشيد الدين، شيخ هذه الطائفة وفقهها، وكان شاعراً، بليغاً، منشئاً».

(١) الوافي بالوفيات: ٤: ١٦٤.

(٢) طبقات المفسرين: ٢: ٢٠١.

(٣) لسان الميزان: ٥: ٣١٠.

(٤) نقد الرجال: ٤: ٢٧٦.

وذكره الشيخ الحرّ العاملي في (أمل الأمل)^(١) قائلاً: «رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني السروي. كان عالماً، فاضلاً، ثقةً، محدثاً، محققاً، عارفاً بالرجال، والأخبار، أديباً شاعراً، جامعاً للمحاسن».

وقال عنه محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - صاحب القاموس المحيط - في كتابه «البلغة في تاريخ أئمة اللغة»^(٢): «محمد بن علي بن شهر آشوب، أبو جعفر المازندراني الشيعي، بلغ النهاية في أصول الشيعة. تقدّم في علم القرآن، واللغة، والنحو... وكان واسع العلم، كثير العبادة، دائم الوضوء، له كتاب الفصول في النحو... و...».



٦ - في معنى المحكم والمتشابه:

اختلف العلماء والمفسرون في معنى المحكم والمتشابه:

قال الطبرسي في مجمع البيان^(٣):

«قيل في المحكم والمتشابه أقوال:

أحدهما: إنَّ المحكم، ما عُلِمَ المراد بظاهره، من غير قرينة، تقترن إليه،

ولا دلالة، تدلُّ على المراد به، لوضوحه...

(١) أمل الأمل: ٢: ٢٨٥.

(٢) البلغة في تاريخ أئمة اللغة: ٢٤٠ - ٢٤١.

(٣) مجمع البيان: ٢: ٢٣٩.

والمتشابه: ما لا يُعَلِّم المرادُ بظاهره حتى يقترن به ما يدلُّ على المراد منه لالتباسه... وهو قول مجاهد.

وثانيها: إنَّ المحكم، الناسخ، والمتشابه، المنسوخ. عن ابن عباس.

وثالثها: إنَّ المحكم، ما لا يحتمل من التأويل إلاَّ وجهاً واحداً، والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعداً... عن أبي عليٍّ الجبائي.

ورابعها: إنَّ المحكم، ما لم تتكرَّر ألفاظه، والمتشابه، ما تتكرَّر ألفاظه، كقصة موسى (عليه السلام) وغير ذلك عن ابن زيد.

وخامسها: إنَّ المحكم ما يعلم تعيين تأويله، والمتشابه، ما لا يعلم تعيين تأويله، كقيام الساعة. عن جابر بن عبدالله.

وقال ابن شهر آشوب^(١): «والمتشابه ما لا يعلم المراد بظاهره، حتى يقترن به ما يدلُّ على المراد منه لالتباسه...»

ومنها ما هو محكم فيه غرضه، مثل قوله: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ».

وقال الراغب الاصفهاني في «مفردات ألفاظ القرآن»^(٢): «فالمحكم: ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى...».

«والمتشابه من القرآن: ما أشكل تفسيره لمشايبته بغيره، إمَّا من حيث اللفظ، أو من حيث المعنى...».

(١) متشابه القرآن والمختلف فيه: ١ - ٣.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: ٢٥١، ٤٤٣.

وأورد السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن»^(١) جملة من الأقوال في تفسير المحكم والمتشابه. قال:

«وقد اختلف في تعيين المحكم من المتشابه على أقوال:

ف قيل: المحكم ما عرف المراد: إما بالظهور، وإما بالتأويل، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه...

وقيل: المحكم ما وضع معناه، والمتشابه، نقيضه.

وقيل: المحكم، ما لا يحتمل التأويل إلا وجهاً واحداً، والمتشابه ما احتمل أوجهاً.

وقيل: المحكم ما كان معقول المعنى، والمتشابه بخلافه.

وقيل: المحكم ما استقل بنفسه، والمتشابه، لا يستقل بنفسه، إلا برده إلى غيره.

وقيل: المحكم، ما تأويله، تنزيله، والمتشابه، ما لا يُدرى إلا بالتأويل.

وقيل: المحكم، ما لم تتكرر ألفاظه، ومقابلته، المتشابهة.

وقال الدكتور صبحي الصالح في كتابه «مباحث في علوم القرآن»^(٢):

«إنَّ المحكم، هو الذي يدلُّ على معناه، بوضوح، لا خفاء فيه، والمتشابه هو الذي يخلو من الدلالة الراجحة على معناه، فيدخل في المحكم: النصُّ، والظاهر... ويدخل في المتشابه: المَجْمَلُ، والمؤوَّل، والمشكَّل».

(١) الإتقان في علوم القرآن: ٣: ٣ - ٥.

(٢) مباحث في علوم القرآن: ٢٨٢.

وفي كتاب «علوم القرآن»^(١) للسيد محمد باقر الحكيم:
 «المحكم من الآيات: ما يدلُّ على مفهوم معيَّن، لا نجد صعوبةً، أو تردُّداً
 في تجسيد صورته، أو تشخيصه في مصداق معيَّن.
 والمتشابه: ما يدلُّ على مفهوم معيَّن، تختلط علينا صورته الواقعيَّة،
 ومصداقه الخارجيُّ».

وقد نقل السيد محمد حسين الطباطبائي في «الميزان في تفسير القرآن»^(٢)
 ستة عشر قولاً في معنى «المحكم والمتشابه» واستدرك عليها محاججاً.



٧ - الحكمة في اشتغال القرآن على المتشابه:

ما هو السببُ في اشتغال الكتاب على المتشابه ؟

قال الزمخشري في «الكشاف»^(٣):

«فإن قلتَ: فهَلَا كَانَ الْقُرْآنُ كُلُّهُ مُحْكَمًا ؟

قلتُ: لو كان كُلُّهُ مُحْكَمًا، لتعلَّقَ الناسُ به، لسهولة مأخذه، ولأعرضوا عمَّا
 يحتاجون فيه إلى الفحص، والتأمل من النظر، والاستدلال. ولو فعلوا ذلك،
 لعطلوا الطريق، الذي لا يتوصَّلُ إلى معرفة الله، وتوحيده إلَّا به، ولما في المتشابه

(١) علوم القرآن: ١٧١.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٣: ٣٨-٤٥.

(٣) الكشاف: ١: ٣٦٦.

من الابتلاء، والتمييز بين الثابت على الحق، والمتزلزل فيه، ولما في تقادح العلماء، وإتعايبهم القرائح في استخراج معانيه، وردّه إلى المحكم من الفوائد الجليلة، والعلوم الجمّة، ونيل الدرجات عند الله، ولأنّ المؤمن المعتقد أن لا مناقضة في كلام الله، ولا اختلاف، إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره. وأهمّه طلب ما يوفّق بينه، ويجريه على سنن واحد، ففكّر، وراجع نفسه، وغيره، ففتح الله عليه، وتبيّن مطابقة المتشابه المحكم، ازداد طمأنينة إلى معتقده، وقوة في إيقانه.

وقال ابن شهر آشوب^(١):

«والحكمة في إنزال المتشابه: الحثُّ على النظر الذي يوجب العلم، دون الاتكال على الخبر من غير نظر... ثُمَّ إِنَّ بِهِ يَتَمَيَّزُ الْعَالَمُ مِنَ الْجَاهِلِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾.

وقد بسط السيد الطباطبائي في تفسيره «الميزان»^(٢) الحكمة في اشتغال القرآن على المتشابه بقوله:

«والذي يستحق الإيراد والبحث من الأجوبة، وجوه ثلاثة:

الأول: إن اشتغال القرآن الكريم على المتشابهات لتمحيص القلوب في التصديق به، فإنه لو كان كل ما ورد في الكتاب معقولاً، واضحاً، لا شبهة فيه عند أحد، لما كان في الإيمان شيء من معنى الخضوع لأمر الله - تعالى - والتسليم لرسوله.

(١) متشابه القرآن والمختلف فيه: ١: ٣.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٣: ٦٥ - ٦٦.

الثاني: إنَّ اشتغاله على المتشابه، إنَّما هو لبعثِ العقلِ على البحث، والتنقيب،
لئلا يموتَ بإهمالِهِ بالقاءِ الواضحات التي لا يعمل فيها عامل الفكر، فإنَّ
العقلَ، أعزُّ القوى الإنسانيَّة التي يجب تربيتها بتربية الإنسان.

الثالث: إنَّ الأنبياءَ بُعثوا إلى الناس، وفيهم العامة، والخاصَّة، والذكيُّ
والبليد، والعالم، والجاهل، وكان من المعاني ما لا يمكن التعبير عنه بعبارة،
تكشف عن حقيقته، وتشرح كنهه، بحيث يفهمه الجميع على السواء. فالحرِّيُّ في
أمثالِ هذه المعاني أن تُلقَى بحيث يفهمه الخاصَّة، ولو بطريق الكناية،
والتعريض، ويؤمر العامةُ فيها بالتسليم، وتفويض الأمر إلى الله - تعالى -.

وقد قرَّن السيد الطباطبائي بين معنى التأويل والمتشابه، فقال^(١): «فسَّرَ
قومٌ من المفسِّرين (التأويل) بـ (التفسير). وإذا كان المراد من بعض الآيات
معلوماً بالضرورة، كان المراد بالتأويل - على هذا - من قوله - تعالى -: ﴿وَإِنِّيغَاءُ
تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ هو المعنى المراد بالآية المتشابهة، فلا طريق إلى
العلم بالآيات المتشابهة - على هذا القول - لغير الله سبحانه، أو: لغيره، وغير
الراسخين في العلم.

وقالت طائفة أخرى: إنَّ المراد بالتأويل: هو المعنى المخالف لظاهر اللفظ.
وقد شاع هذا المعنى بحيث عاد اللفظُ حقيقةً ثانيةً فيه، ما كان - بحسب اللفظ -
لمعنى مطلق الإجماع أو المرجع.



(١) الميزان في تفسير القرآن: ٣: ٥١.

٨ - أهمُّ كُتُبِ «متشابه القرآن»:

اهتمَّ علماء المسلمين بكتاب الله اهتماماً كبيراً، حتَّى أننا نستطيع القول: أن ليس هناك كتاب لقي من العناية والاهتمام والدِّرس ما لقيهُ القرآنُ الكريم. فقد اهتموا بجوانبه جميعاً: بقراءاته، ونحوه، ولغته، وصرفه، وبلاغته، وناسخه، ومنسوخه، وأسباب نزوله، وفقهه وأحكامه، وإعجازه... وكان من جملة ما اهتموا به: محكمه، ومتشابهه. وآلف العلماء في هذا الجانب مؤلفات كثيرة أهمها^(١):

- ١ - متشابه القرآن لأبي عمارة حمزة بن حبيب الزيات، من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) والمتوفى أيام المنصور.
- ٢ - المتشابه في القرآن، لعلي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩ هـ).
- ٣ - متشابه القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ).
- ٤ - متشابه القرآن، لبشر بن المعتمر (ت ٢١٠ هـ).
- ٥ - متشابه القرآن، لمحمد بن الهذيل العلاف (ت ٢٥٣ هـ).
- ٦ - متشابه القرآن، لجعفر بن حرب (ت ٢٣٦ هـ).
- ٧ - متشابه القرآن، لأحمد بن جعفر (ابن المنادي) (ت ٢٥٦ هـ).
- ٨ - متشابه القرآن، لمحمد بن عبدالوهاب الجبائي (ت ٣٠٣ هـ).
- ٩ - المتشابه في القرآن، للشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي (ت ٤٠٦ هـ).

(١) أنظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. إيضاح المكنون في الدليل على كشف الظنون. الدرّعة إلى تصانيف الشيعة. معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر.

- ١٠ - متشابه القرآن، للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ت ٤١٥هـ).
- ١١ - متشابه القرآن، لأبي سعيد محمد بن أحمد بن محمد العميري (ت ٤٣٣هـ).
- ١٢ - متشابه القرآن والمختلف فيه، لرشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ).
- ١٣ - متشابهات القرآن، لعلم الدين بن علي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣هـ).
- ١٤ - متشابه القرآن، لمحمد بن محمد (ابن الإمام) (ت ٧٤٥هـ).
- ١٥ - رد المتشابه إلى المحكم، للشيخ محمد بن أحمد بن اللبان الأشعري المصري (ت ٧٤٩هـ).
- ١٦ - متشابه القرآن، للشيخ أبي عبدالله محمد بن هارون المعروف والده بالسكال (الكال).
- ١٧ - متشابه القرآن، لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ).
- ١٨ - متشابه القرآن، لصدر المتأهين محمد إبراهيم الشيرازي (الملا صدرا) (ت ١٠٥٠هـ).
- ١٩ - متشابهات القرآن، لأحمد بن محمد الدردير (ت ١٢٠١هـ).
- ٢٠ - إلى غيرها من مؤلفات حديثة نسبياً، أو معاصرة.



٩ - متشابه القرآن والمختلف فيه - لابن شهر آشوب :-

لابن شهر آشوب باعُ طویلٌ في العناية بالقرآن الكريم. يثبتنا بذلك كتابه هذا في (المتشابه) وكتابه المفقود (أسباب النزول).

وكتابه (متشابه القرآن) - الذي نحن بصدد الحديث عنه - «يعدُّ من كتب التفسير المهمة، التي لا يستغني عنها مَنْ يريد أن يفهم كلام الله، ويقف على معانيه، وأسرار بلاغته. وقد جمع فيه المؤلف بين التفسير والتأويل في ضوء الحديث وأقوال المفسرين، وأدلة الشرع، ومقتضى العقل، وقانون اللغة العربية»^(١).

وهو يتميز - كما يقول السيد هبة الدين الشهرستاني^(٢) - : «بحسن أسلوبه وتبويبه، وبداعة ترتيبه، إذ صاغ المصنّف مصنّفه العلامة المتفنّن على دوائر العلوم الإسلامية، فوزّع المتشابهات على ذاك النسق مبتدئاً من أبواب التوحيد، وصفات الله، فأبواب العدل والتنزيه، إلى أبواب النبوة، والإمامة، فالمعاد يوم القيامة، ثم أبواب الفقه والتشريع... ثم الفنون الأدبية والعربية. وهذا الوضع البديع، نادرٌ، غير مسبوق، يعين الطالب في تسهيل المطالب... مع حسن أسلوبه، وسبكه البديع في انتقاء المعاني المهمة، وانتخاب المطالب الفذة... بفصاحة لفظ تعانق بلاغة المعنى بإيجاز واختصار جعلتا هذا السُفر النفيس جديراً للمصاحبة والتدريس».

(١) قضايا إسلامية: ٣٠٩. من دراسة للأستاذ علي الكعبي.

(٢) متشابه القرآن: ٢: ٢٨٧.

ويقول الأستاذ محمد هادي معرفة^(١) عنه: «فهو من خير ما كُتِبَ في متشابهات القرآن بأجمعها، وأشملها، وأتقنها إحكاماً، وبياناً، وتفصيلاً، وَصَعَةً على أسلوبٍ طريفٍ... وما إلى ذلك ترتيباً طبيعياً، منسجماً، سهلاً التناول، قريب المنال في عباراتٍ سهلة، جزلة».

نهج ابن شهر آشوب طريقةً مثلى في تبويب كتابه، تستوعب جميع أنواع التشابه، وأسبابه ولا تخرج منه آية من الآيات المتشابهات، إذ وُزِعَ هذه الآيات حسب موضوعها على عشرة أبواب هي:

١ - باب ما يتعلق بأبواب التوحيد.

٢ - باب ما يدخل في أبواب العدل.

٣ - باب ما جاء في النبوات.

٤ - باب ما يتعلق بالإمامة.

٥ - باب المفردات.

٦ - باب ما يتعلق بأصول الفقه.

٧ - باب فيما يحكم عليه الفقهاء.

٨ - باب الناسخ والمنسوخ.

٩ - باب مما جاء من طريق النحو.

١٠ - باب النوادر.

(١) التفسير والمفسرون: ٢: ٩٣١.

ثم قسّم المؤلف كلَّ باب من الأبواب العشرة المتقدمة إلى عدّة فصول. إلا أنه لم يلتزم بعنوانة الفصول المتفرّعة مكثفياً بالإشارة إلى بداية كلِّ فصلٍ جديد بكلمة (فصل).

وقد تابع المؤلف التزامه النسق الموضوعي، الذي تبنّاه في هذه الفصول أيضاً، فجمع في كلِّ فصلٍ الآيات المتشابهات التي تجتمع بالدلالة، أو القرينة، أو الوجه، أو سبب التشابه، أو نوعه...^(١).

أمّا الموارد التي استقى منها في تفسيره، فقد قال في مقدمته: إنه إمّا أن يكون محرّراً لما قاله المفسرون، والمتكلّمون، أو محققاً لأقوالهم، أو مبتدئاً القول في التفسير.

وقد وجدنا ابن شهر آشوب أميناً فيما ينقله، فهو يعزو النصوص إلى قائلها، وقد ينتقدها، أو يردّها. وقد وظّف عدّة مناهج في تأليف كتابه: فقد اعتمد منهج تفسير القرآن بالقرآن بحمل التشابه على المحكم. فالقرآن يفسّر بعضه بعضاً.

كما اعتمد منهج التفسير بالأثر، فاستند إلى روايات أهل البيت (عليهم السلام) لتعصيد ما يذهب إليه، كما عوّل على روايات الصحابة لاسيما في مقام الاحتجاج.

كما عوّل ابن شهر آشوب - في بعض موارد تفسيره - على إجماع الأمة، وعنده: أن الإجماع لا بدّ من أن يكون قول الإمام المعصوم داخلاً فيه.

كما حرص ابن شهر آشوب على التوفيق بين تأويل النصوص وما دار على

(١) قضايا إسلامية: ٣١٢-٣١٣، من دراسة للأستاذ علي الكمي.

السنة العرب من استعمال لغوية ونصوص فصيح، والاحتكام إلى ما هو معروف من لغة العرب، وأشعارهم، إلى جانب النقول المأثورة الأخرى، وقد أعانه على ذلك وَفَرَةٌ محفوظه من الشعر واللغة ومأثور الكلام.

وقد وظّف كثيراً من الشواهد الشعرية الاعتقادية لأغراضه في تأويل المتشابه، مؤيداً رأيه، أو ناقضاً قول مخالف فيه. كما أورد ابن شهر آشوب أقوال المفسرين والمتكلمين والفقهاء واللغويين - بعلمية وحيادية - ومن مختلف المذاهب والمدارس، والاتجاهات. وهو فيما ينقله من المتقدمين عليه نجده بين موقفين:

أن يكتفي بعرض الآراء دون أن يبدي نظراً أو رأياً.

أو أن يعرض الآراء، ويبدي موقفاً في الترجيح والردّ والمفاضلة. وجملة ترجيحاته، وردوده تقوم على نظرات علمية، وأدبية، ولغوية، دقيقة.

ثم إن ابن شهر آشوب اعتمد منهج إيراد المناظرات الكلامية والاحتجاجات الاعتقادية في جملة من المسائل التي دار حولها الجدل، واختلفت فيها الآراء. وقد أكسبت هذه المناظرات تفسيره أهمية خاصة ونفخت فيه روحاً حية متجددة.

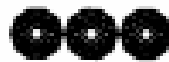
وهو في مجمل مسائل الاعتقاد والتشريع يتنصر لمذهب الإمامية الاثنى عشرية المتمسكين بولاية أهل بيت النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله) وعترته الميامين من دون غرض أو تجريح لمخالفهم، أو طعن وتشهير^(١).

(١) استفاد هذا المطلب من الدراسة القيمة للأستاذ علي الكعبي المنشورة في مجلة قضايا إسلامية:

بقي أن نقول: إنَّ ابن شهر آشوب لم يقتصر في كتابه هذا على المتشابه من القرآن الكريم، بل تجاوزته إلى ما اختلف فيه العلماء، والفقهاء في مسائل: الفقه، وأصوله، والناسخ والمنسوخ، وما جاء من طريق النحو والبلاغة. لذلك وسم كتابه بـ(متشابه القرآن والمختلف فيه) ليكون محيطاً بمضامينه.

إنَّ كتاب (متشابه القرآن والمختلف فيه) لابن شهر آشوب سلك منهجاً متميزاً في التأليف. لم يُسبق إليه، فهو أخذ بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم، انفرد به عن سابقيه ولاحقيه، فقد دأبت كُتب المتشابه على إيراد الآيات المتشابهة في سياقها من السور القرآنية بحسب ترتيبها في القرآن الكريم.

أمَّا ابن شهر آشوب، فقد ابتكر منهجاً فريداً جمع فيه الآيات ذات الموضوع الواحد في موضع واحد، مفسراً بعضها ببعض، وهذا دليل تفرّده، وأصالته، وقوة شخصيته العلميّة في إنجاز كتاب في (المتشابه) ندعي - واثقين - بأنه أفضل ما ألّف، وأشمل ما كتب، وأعمق ما صنّف في موضوع (المتشابه) عند المسلمين جميعاً، على اختلاف مذاهبهم، وأعصارهم، وأمصارهم. فله درّة!



١٠ - توثيق نسبة الكتاب إلى ابن شهر آشوب:

أجمعت مصادر العاقبة والخاصّة، وكتب الرجال، وفهارس الكتب على نسبة كتاب (متشابه القرآن) إلى محمّد بن عليّ بن شهر آشوب المتوفّي (٥٨٨هـ). كما أنه ذكره هو في كتابه (معالم العلماء) الذي هو تكملة لفهرست الشيخ

أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى (٤٦٠هـ).

وقد ذكر فيها - جميعاً - باسم: (متشابه القرآن). وقد نصَّ المؤلف في خاتمة كتابه على عنوانه كاملاً، فقال: «هذا آخر كتاب متشابه القرآن والمختلف فيه».

وقد طُبِعَ بعناية السيد هبة الدين الشهرستاني سنة ١٣٦٩هـ في إيران بعنوان: «متشابه القرآن ومختلفه»، ونورد على هذا العنوان ملاحظتين:
الأولى: مخالفته لما نصَّ عليه المؤلف في عنوانه كتابه.

والثانية: مخالفته لقواعد العربية، فالفعل (اختلف) فعل لازم، فلا يكون مرفوعه - عند بنائه للمفعول - إلا ظرفاً، أو جازاً ومجروراً، أو مصدراً مقيداً.
فالصواب أن يقال (والمختلف فيه)، كما أثبتهُ المصنّف العلامة النحرير.
كما نوذُّ أن نشير إلى أن ابن شهر آشوب حين ألف كتابه كان قد بلغ مرحلة النضج العلمي، والرصانة الفكرية، والتمرُّس في الدرس، والكتابة والتأليف والحياة، فقد ذكر في خاتمة كتابه: «نجز الكتاب في سنة سبعين وخمسةائة»، فهو - إذن - قد أُلِّفَ وقد بلغ من العمر إحدى وثمانين سنة، وقد أُلِّفَ - قبله - مجموعة من الكتب، ذكر بعضها في كتابه (المتشابه) ككتاب: أسباب النزول، وكتاب: مناقب آل أبي طالب. ونقل عن ثانيهما.



١١ - النُّسخ التي اعتمدنا عليها في التحقيق:

اعتمدنا في تحقيق كتاب (متشابه القرآن والمختلف فيه) على خمس نُسخٍ خطية وهي:

١ - نسخة المكتبة الحسينية الشوشترية العامة في النجف الأشرف (وهي اليوم من المكتبات الدائرة وانتقلت مخطوطاتها إلى مكتبة المتحف العراقي سنة ١٩٨١م).

وهي نسخة تامة، دقيقة الخط، مقروءة، تقع في جزأين:
الجزء الأول: في ١٣٤ صفحة. تم نسخه سنة ١١٠٣هـ.
والجزء الثاني: في ١٤٦ صفحة. تم نسخه سنة ١٠٧٩هـ.
مقاس صفحاتها: ٢٥سم × ١٥سم.
عدد أسطر الصفحة: ٢٩ سطراً.
بالتسلسل: ٧٦٤ وبالرقم ١٣/١٢٣.

٢ - نسخة المكتبة الحسينية ببغداد (هبة الدين الشهرستاني) - مكتبة الجوادين - فيما بعد - في الكاظمية.
وهي نسخة كُتبت بخط واضح قديم، وسقطت منها أوراق متفرقة، أُعيدت كتابتها، بخط حديث من قبل أحمد القمي النجفي سنة ١٣٤٢هـ لخزانة السيد محمد علي هبة الدين.

مسجلة بالرقم (١٧٧خ). وتقع في جزأين:
الجزء الأول: في ٢٠٩ صفحة.
والجزء الثاني: في ٢٢٠ صفحة.
عدد أسطر الصفحة: ٢٣ سطراً.
مقاس صفحاتها: ٣٠سم × ١٥سم.
رمزنا إليها بالحرف: (ه).

٣ - نسخة مكتبة كاشف الغطاء العامة.

وهي نسخة تامة مقروءة، واضحة الخط، مغلقة من اسم الناسخ، وتاريخ النسخ.

وتقع في جزأين:

الجزء الأول: في ٢٥٥ صفحة.

والجزء الثاني: في ٢٥٧ صفحة.

مقاس صفحاتها: ٢٥ سم X ١٥ سم.

عدد أسطر الصفحة: ٢١ سطراً.

ورمزنا إليها بالحرف: (ك).

٤ - نسخة مكتبة آية الله الحكيم العامة:

نسخة تامة، واضحة الخط، استنسخها لنفسه الشيخ محمد بن طاهر بن حبيب السماوي. وفرغ من نسخها في منتصف ربيع الثاني سنة ١٣٣٦ هـ. ثم فرغ من مقابلتها مع نسخة صحيحة قديمة - كما يقول - في شهر رمضان سنة ١٣٤٦ هـ. مسجلة بالرقم (٢٧٤٦٠) وتقع في جزأين:

الجزء الأول: في ١٧٥ صفحة.

والجزء الثاني: في ١٨٠ صفحة.

مقاس صفحاتها: ٢٥ سم X ١٥ سم.

عدد أسطر الصفحة: ٢٥ سطراً.

ورمزنا إليها بالحرف: (ح).

٥ - نسخة مكتبة أمير المؤمنين (عليه السلام) العاقمة.
وهي نسخة قديمة. كُتبت بخط رديء، كثير الخطأ والتحريف،
والتصحيف، والسَّقَط. وهي بالتسلسل العام بالرقم (٢٥١٧) والتسلسل
المخزني (١/٣/٨١) علوم قرآن وتقع في جزأين:
الجزء الأول في: ١٦١ ورقة.
والجزء الثاني في: ٢٠٠ ورقة.
مقاس صفحاتها: ٢٦ سم × ١٩ سم.
عدد الأسطر في الصفحة: ٢١ سطرًا.
ناسخها: علي بن أمير عبد الباقي المشكي الاصفهاني.
تاريخ النسخ: ١٠١٣ هـ.
ورمزنا إليها بالحرف: (أ).

٦ - وقد استأنسنا بالنسخة المطبوعة سنة ١٣٦٩ هـ في طهران بعناية السيد
هبة الدين الشهرستاني الذي يقول عن النسخة الخطية التي اعتمد عليها في طبعه
الكتاب: «ومن منن الله - سبحانه - أن سافرتُ إلى بلاد الهند سنة ١٣٣٠ هـ
فأسفر سفري عن هذا السفر النفيس، وهو مخطوط قريب العصر من عصر
مؤلفه الجليل»^(١).

ولعلها هي النسخة التي بين أيدينا التي رمزنا إليها بالحرف (هـ).
وقال أيضاً: «وحصل - بعد السعي البليغ - نسخة مخطوطة أخرى لهذا

(١) خاتمة طبعة السيد هبة الدين الشهرستاني لـ (مشابه القرآن والمختلف فيه): ٢: ٢٩٣.

الكتاب الفذ تعينه في المقابلة والتصحيح...»^(١).

ويقول ناشر الكتاب (حسن مصطفوي): «ولما لم يكن عندنا إلا ثلاث نسخ مخطوطة غير مصححة، فبذلنا جهدنا في مطابقتها، وإخراج هذه النسخة منها...».

ولم نقف على هذه النسخ الخطية التي ذكرها السيد هبة الدين، والسيد حسن مصطفوي. ولا على أوصافها، أو مظان وجودها.

وقد جاءت طبعة (هبة الدين) للكتاب - بعد بذل الجهد والوسع والطاقة - أشبه بنسخة خطية، خالية من شروط النشر العلمي تماماً، كثيرة التحريف والتصحيف، والسقط.

وعلى الرغم من كل هذا، فقد اتخذنا طبعته هذه نسخة سادسة نستأنس بها عند الحاجة. وقد رمزنا إليها بالحرف: (ط).

ولا بد من التنبيه على أن النسخ الخطية الخمسة التي اعتمدنا عليها - كما تبين لنا - ترجع إلى أصل واحد، نقلت عنه في أوقات متفاوتة، وبخطوط مختلفة، فهي تكاد تكون متشابهة في كل خصائصها: صحة، وخطاً، وسقطاً، تحريفاً، وتصحيفاً، إلا ما تفرضه شخصية الناسخ، وقابلياته في القراءة والكتابة.

ونأمل مستقبلاً - بإذن الله العزيز القدير - أن نحصل على نسخ أخرى، تصلح ما فاتنا إصلاحه في هذه الطبعة.



(١) خاتمة طبعة السيد هبة الدين الشهرستاني لـ (متشابه القرآن والمختلف فيه): ٢: ٢٩٣.

١٢ - عملنا في تحقيق الكتاب:

- ١ - اتخذنا (النسخة «ش») أصلاً - وقابلنا معها النسخ الأخرى - على الرغم من أنها ليست أقدم النسخ لما تتميز به من دقة وتمام وضبط، وقلة تحريف وسقط.
- ٢ - حرصنا في المقابلة بين النسخ على تثبيت الاختلافات بينها مهما كانت جزئية، وطفيفة، وصغيرة، لكون النسخ الخمسة تعود إلى أصل واحد والاختلاف بينها، متأثراً من اختلاف النسخ عن أصل واحد.
- ٣ - وضعنا الزيادات على النسخة (ش) والساقط منها بين معقوفتين [] .
- ٤ - خرّجنا الآيات القرآنية الكريمة.
- ٥ - خرّجنا الأحاديث النبوية الشريفة، وأحاديث أهل البيت (عليهم السلام) والمرويات من مظانها المعتمدة.
- ٦ - خرّجنا الشواهد الشعرية من دواوين الشعراء، أو المجاميع الشعرية.
- ٧ - أرجعنا الأحاديث إلى مواردها، التي نُقِلَتْ عنها.
- ٨ - حرصنا على إرجاع الإحالات إلى مصادرها وتوثيقها.
- ٩ - رقمنا أبواب الكتاب العشرة، ثم رقمنا الفصول داخل الباب الواحد.
- ١٠ - وضعنا عناوين مناسبة لكل فصلٍ بما يتضمّنه من مطالب.
- ١١ - علّقنا في بعض المواضع: استدراكاً، أو توضيحاً، أو تصحيحاً، أو توجيهاً.
- ١٢ - عملنا فهرس تفصيلية للكتاب بما يسهّل الرجوع إلى مطالبه.



١٣ - كلمة أخيرة :

إنّ عملي في تحقيق (متشابه القرآن والمختلف فيه) كان قد تمّ في ثمانينات القرن الماضي، حينما لم تكن وسائل العمل ميسّرة، وأدوات التحقيق بدائية في البحث والتنقيب، والتنقيح، وكثير من مصادره مازالت مخطوطة، أو غير منشورة نشرًا علميًا - وليس كما هي اليوم - . وبقي العمل مزويًا لأكثر من عشرين عاماً لا يمكن نشره في العراق، أو خارجه لظروف لا تخفى على أحد، إلى أن تيسّرت الفرصة بتغيّر الوضع العام في العراق فتحفّزت إلى عرضه للنشر - كما عمِلَ في ثمانينات القرن الماضي - فبادر منتدى النشر - بما له من تاريخ وجهاد وتطلع - إلى القيام بنشره.

ومما حفّزني إلى نشره، ما ورد في مقالة للأستاذ علي الكعبي في مجلّة (قضايا إسلامية)^(١) عن الكتاب، يقول في خاتمتها: «والذي أودّ أن أقوله في هذه الكلمة هو أنّ هذا الكتاب الذي جاء فريداً في بابه، ونهاية في حسن الصوغ، ومجال التعبير، ليكشف عن غزارة علم مؤلّفه، وعبقريته الفدّة. وإحاطته في مختلف العلوم، بقي هذا الكتاب، وبجميع حروفه المطبوعة منذ سنة ١٣٦٩ هـ يفضّج إلى المعنيين بشؤون تحقيق التراث الإسلامي، ويشكو إلى الأخوة الباحثين من كثرة التصحيف والتحريف والعيوب الطباعية التي تجعل الباحث والمراجع لهذا الكتاب يذلل متسعاً من الوقت في التصحيح، والتوثيق والتقويم. وكلّنا أمل بأنّه سيلقى العناية من الأخوة المحقّقين ليأخذ مكانته المرموقة، وحيّزه المطلوب في المكتبة الإسلامية وبشكلٍ يناسب مقام مؤلّفه».

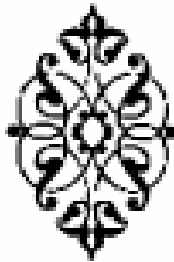
(١) قضايا إسلامية: ٣٥٦.

أدعو الله العزيز القدير أن يتقبَّل جهدنا بأحسن قبول، راجين وجهه الكريم وثوابه الجسيم في يومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم، إنه هو الحليم الكريم، وصلى الله على سيدنا نبي الرحمة والهدى محمد وآل بيته الطاهرين المتجيين وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾

حامد جابر حبيب المؤمن الموسوي

ربيع الأول الميمون ١٤٢٩ هـ / النجف الأشرف



هذا كتابه فشا القرآن بالاسماء العظيمة التي فيها
 الحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله الطاهرين قال الشيخ لا ياتي اسم الله عز وجل في القرآن
 الا في اربعين موضعاً وقد ذكر الله العزيز اسماء كتابه في بيان اشكالات من الايات المشابهة
 وما اختلف العلماء فيه من حكم الايات والقرينة ان لهذا التحقيق مجرماً ولا يجازر ولا يجرى الا بالاطراف
 في كتب كبار المتكلمين او كما في بعض تفسير المحققين العدلين ، وقال ما يحسن ذلك للطالبين في كتابك
 الذي مع نظم الفكر وضيق الصدر وسغل القلب ودماء الشرف وفقدان الكتب منها ما ابتدأه
 ومنها ما سبقنا اليه من زمان ومنها ما وجدناه مختلفاً في معناه والمشاورة بما لا يعلم الا بظاهره وحقق في
 به ما لا يدل على المراد منه لا بالناسد وقال ابن عباس الحكم النافع والمشاورة بالنسوخ وقال جماعة من
 الحكم ما لا يشبه معناه والمشاورة ما اشبهت معانيه وقال البيان الحكم لا يجعل الاوجهها والاشبه
 والمشاورة ما جعل وجهين ضامداً وقال جابر الحكم ما يعلم تخميناً اوليه والمشاورة ما لا يعلم تخميناً
 ثانويه وقيل ما لا ينظم لفظه معناه الا بزيادة او حذف او نقل وهو المشابهة الا لا يشبه الحكم
 وقيل لا يشبه المراد منه باليسر بل هو المشابهة في القرآن انما يقع فيها اختلاف الناس فيه من امور
 الدين مخفولة واضلها الله على علم واضلهم التامرين ومنها ما لا يجعل تخميناً اولياً او اكثر
 يجعل على الامور مثل ما الله مقلولة ويجري باعيننا ومنها ما يبرهن من منافسة خوفنا من
 سبع حركات في يومين وقولنا اربعنا يوم وقوله في سنة ايام ومنها ما هو محكم فيه غرضه مثل
 قوله ليس كذلك يعني وما يقع ذلك من العوائق التي تحتاج الى بيانها ويستخلص منها انما هو موضوع القصة
 او يقتضي العقل او هو حيا للشرع والحكمة في ازال المشابهة التي على النظر الذي يوجب العلم دون
 الاكتمال على الخبر من غير نظر وذلك ان اوله يعلم بالنظر ان جميع ما يكون به الرسول عليه السلام
 حتى يجوز ان يكون الخبر كذا او بطلت دلالة التبع وتامة ثم ان به خبر العاين من الكمال انما لا يعلم تأويله
 والرايون في العلم ثم ان من العلم على غيره من ملو تمام الاستحسان والاعراض والقرينة وقد يكون محكماً من جهة
 ومشاورة من جهة معلوم والجهول فتخرج المحرمة من وجه المعلوم دون الجهول والشبهة ما تنقو بصورة
 الدلالة واسبابها اكثر من غيرها من سببها انما ان يدخل عليه شبهة فتقبل بصورة التبع
 والثالث التعليل والرايون ترك النظر والتأني في شيء ما والفتنة في علمه في مفارقة وغير ذلك
 واستدل الله المعونة على تمامه وان يوفقني لانام ما شرعت فيه من كتابه اسباب نزول القرآن فانها
 يجعل علم التفسيرية ولي ذلك والمنع بطوله باسمه الخلق انما التوحيد
 قوله تعالى هو الذي خلقكم في الارض جميعاً ثم استوى الى السماء فسويهن

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة الحسينية الشوشترية العامة

وقد رمزنا إليها بالحرف (ش)

كأن اشرف مثل بعد ذلك ذمهم قال أما الشارح فتدبر لقوله ذمهم بما عاها الرجال زيادة كإزهاه عرض
 الأديم الأكارع قال وهل يعرف الصدوق قال أما القائل فتدبر لقوله الأكبر الناصح بغير يومين سعد
 بمرورين مسعود والسيد المقدك لـ محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني وهو اخوه من هذا
 الكتاب بمشابه القرآن والمختلف فيه مما عولت عليه فإن اتفق فيها يشد وتره حتى يمكن
 أن يذهب إليه البعض سوى ملوكة قال الخافق متفرقة والعاني
 مشتركة لذا كان الغائب اليها محتمل لقب العدل

محملاً لعاني طوم العيب وأسئلته

تقال العفو والعانية والفتيا

والأخرة واستقر وان عثر

فيه علة انه جميع محب

بجمل الكتاب في سنة

سنة ١٠٠٠

١٠٠٠

١٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم وقد استعفت
 المهديين العالمين والصلوة والسلام عليهم وآل الطاهرين قال الشيخ
 شمس الاسلام محمد بن علي بن شهر اشوب لما زبدراني رضي الله عنه
 وذكره في كتابه في بيان المشكلات من الآيات المشابهة
 وما اختلف العلماء فيه من حكم الآيات وعمران لهذا التصريح
 لا يكاد يجد الا لفظ في كتب الحكماء المتكلمين او كتاب في بعض تفاسير المحققين
 العديدين وقد اختلفت لك اللطالين فاجتهد في ذلك مع تفرغ الفكر في
 الصدور مشغل القلب وعناء السفر وفقدان الكتب فيما استند
 ومنها ما سعت السير في رهاه ومنها ما وجداه مختلفا فحفظناه وانشأنا
 لا يعلم المراد بظهور حتى يقترن به ما يدل على المراد من التاسد وقال
 ابن عباس الخليل في التفسير والمشاويع وقال في هذا المعنى ما لم يشبه
 معناه والمشاويع اشبهت معانيه وقال الجبالي في المعجم والاختلاف
 وجهها واحدا والمشاويع ما يجمل وجهين فصاعدا وقال جابر المحمدي في
 تفسيره تأويله وقيل ما لا ينظر لفظه معناه الا بزناؤه وحذف الفعل وي
 مثلا في الآيات التي قيل اشياء المراد منها ليس مراد والمشاويع في
 القرآن انما يقرب في اختلف الناس فيه من امور الدين فهو قولهم وانما امر
 على علم وانما السامعي ومنها ان يجتمعا معني او قلت واكثر فيجعل على
 مثل كذا سؤالا وتجري باعينا ومنها ما يترجم فيه من مناقضات في
 سبع سموات في قوله في ارجاء ايام ومنها ما هو محكم في خبره مثل

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة كاشف الغطاء العامة

وقد رمزنا إليها بالحرف (ك)

من السماء اي هذا ما ظهر الفضا في القوم الجارية والهران ولما وردوا ومدن
 هجعله ولم يدخلها تحته كزلفها صحفاً وعلماً لا تكلف نفساً في النفقة
 في ضلال وسعر العنادة فكان من المدحضين المرفوضين واذا دخلوا الى
 ساطنهم قرناهم عمياً وكفاً وصماً وقولاً حدهما انكم اي لا يفدر على الكلام
 وادعوا شهداءكم بشركائكم حشاً في سورة الحاشداى محشوا على ركبها
 ولو لا ان صربنا وقولنا واسدوا على المهتم من غير محمود واجلنا امهات
 النار وهم غير اشقيا حفظ الفروج عن القرنا الا قوله ويحفظوا فروجهم
 فانه السبر **فصل** قال نافع بن ابي ذؤيب بن عباس بن ابي عبد الله بن
 الشرايط قال لعن ابيته بن ابي الصلت كان يعرف من هاجر من حسان فابننا
 فظل يشكرك بعد ذلك وينتج داباً له الشرايط قال هل تعرفون شيئاً
 نقله قال اما الورد وسلمك فكان يعرف حيث قال كان الورد والورد
 منذ اخلال النصل خالصة مشبهه قال هل تعرفين وصدقاً قال اما الورد
 صبر فكان يعرف حيث يقول في هذا الورد كمن واسلت بها كفن الورد
 قال وصل تعرف ولا تعرف من امر قال اما الورد فقد عرفه حيث قال
 تذكرت ليلى حين لا تذكر تذكر وقد بنت منها والمناصر بعداً قال تعرف
 بعد ذلك نديم قال اما الشاعر فقد علم لقول رنم تداعاه الرجال زياداً
 كما زيد في عرض الاديم الاكارع قال وصل تعرف الصداق اما القابل فقد
 نقولها لا بكر الناعي حتى يد اسد بعور من مسعود وبالصدق قال
 محمد بن علي بن مشهور اشرف لما زيدا في رضى ابيه عنه هذا امر كيات
 الفران والمختلف فيها عولت عليه فان القوفما بنفسه شرحته نبي
 يمكن ان ندهت فصار معنى سور ما ذكرته كان الحفا تو منفرد والمعالن
 اذا كان الداهن الكها محققاً لدهت العدل محصلاً لعمارة الورد والاسد
 العنود العاقبة في الدنيا والافرد لو استغفرت ان خربت فغزاه ايه ستر يجب
 خراً لانا في سنة سبعين ومثمانه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِشْرَائِكُمْ

المهدي لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمدٍ وآله الطاهرين **قال** الشيخ الأجل شمس الأسلام محمد
علي بن شهر آشوب المازندراني دخل الله عند سالم ونعم الله العيون املاء كتاب في بيان التكاليف من الآيات
التي هي خارجة عن اختلاف العلماء في معنى الآيات **وليس** ان لهذا التصيق بجماعة ولا يكاد يوجد
الآيات في كتب كبار الكلفين او تكاد في بعض تفاسير المعتزلة الذين وقل ما يحصر ذلك للظاهر في حقهم
الذي ذلك مع تنم انكرو في حقهم مثل القلب موشاة الفرو فقد ان الكف قسمها ما ابتدئناه ومنها ما استغنا
اليه فتردنا ومنها ما وجدناه محلاً لفقهاء والمشاير ما يعلم المراد بظاهره حتى تضمنت به ما يدل على زيادة
منه لا يتاسر **وقال** ابن عباس الحكم اناسخ والتشابه النسخ **وقال** جعفر الحكم ما لم يشبه معناه
والتشابه ما شئت معناه **وقال** الهادي الحكم ما لا يجمل الا وجه واحد والتشابه ما يجعل وجهين
ضامدا **وقال** جابر الحكم ما يعلم وجهين تاويله **وقيل** لا ينظم لفظه معناه الا بزيادة او حذفاً ونقل
منشأه الا يشبه الحكم **وقيل** لا يشبه المراد منه باليس بمراد والتشابه في القرآن انما يقع فيما اختلف
الناس فيمن سوره الذين نحو قوله تم واخذ الله علم واخذهم التامر ومنها التي تجعل معنيين او تلك
التي تجعل على الاصوب مثل يا الله صلوة وتجري باعنا ومنها ما يتم فيه من مناصفة نحو قضا من سبع حوات
يرجع قوله في رعد ايام ومنها ما هو محكم فيه نحو مثل قوله . كذلك وما يقع ذلك من لغز قوله تعالى
الذي انما يستخلص منها ما هو موضوع الفناء ويحقق العقل بوجهه لشرع الحكمة في آيات التي لا يبرهن
على نظر الله بوجوب العلم دون الانكشاف على النجوم غير قوله نطقه لولم يعلم بالنظر ان جميع ما آتته به الروح
هو مجاز ان يكون الخبر كذا او جلت الاية السبع والثمانون

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة الجوادين (ع) العامة

وقد رمزنا إليها بالحرف (هـ)

٩٤٩

قال وصل من القصد تالما الفاعل قد عرف لقوله ^{١٢} انما انما هو في جاسد ^{١٣} ^{١٤} ^{١٥} ^{١٦} ^{١٧} ^{١٨} ^{١٩} ^{٢٠} ^{٢١} ^{٢٢} ^{٢٣} ^{٢٤} ^{٢٥} ^{٢٦} ^{٢٧} ^{٢٨} ^{٢٩} ^{٣٠} ^{٣١} ^{٣٢} ^{٣٣} ^{٣٤} ^{٣٥} ^{٣٦} ^{٣٧} ^{٣٨} ^{٣٩} ^{٤٠} ^{٤١} ^{٤٢} ^{٤٣} ^{٤٤} ^{٤٥} ^{٤٦} ^{٤٧} ^{٤٨} ^{٤٩} ^{٥٠} ^{٥١} ^{٥٢} ^{٥٣} ^{٥٤} ^{٥٥} ^{٥٦} ^{٥٧} ^{٥٨} ^{٥٩} ^{٦٠} ^{٦١} ^{٦٢} ^{٦٣} ^{٦٤} ^{٦٥} ^{٦٦} ^{٦٧} ^{٦٨} ^{٦٩} ^{٧٠} ^{٧١} ^{٧٢} ^{٧٣} ^{٧٤} ^{٧٥} ^{٧٦} ^{٧٧} ^{٧٨} ^{٧٩} ^{٨٠} ^{٨١} ^{٨٢} ^{٨٣} ^{٨٤} ^{٨٥} ^{٨٦} ^{٨٧} ^{٨٨} ^{٨٩} ^{٩٠} ^{٩١} ^{٩٢} ^{٩٣} ^{٩٤} ^{٩٥} ^{٩٦} ^{٩٧} ^{٩٨} ^{٩٩} ^{١٠٠}

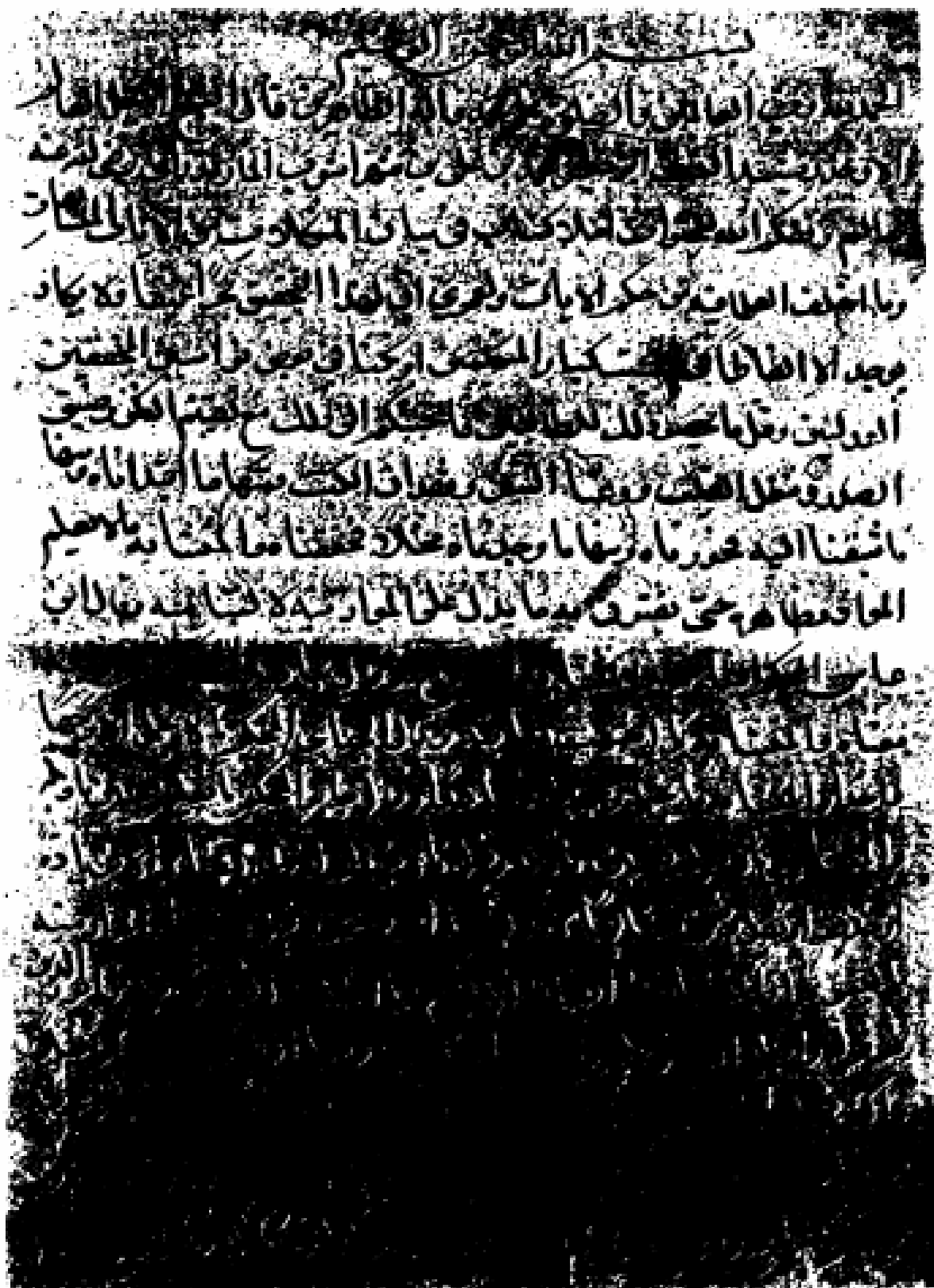
قال محمد بن علي بن ابي طالب ^١ ^٢ ^٣ ^٤ ^٥ ^٦ ^٧ ^٨ ^٩ ^{١٠} ^{١١} ^{١٢} ^{١٣} ^{١٤} ^{١٥} ^{١٦} ^{١٧} ^{١٨} ^{١٩} ^{٢٠} ^{٢١} ^{٢٢} ^{٢٣} ^{٢٤} ^{٢٥} ^{٢٦} ^{٢٧} ^{٢٨} ^{٢٩} ^{٣٠} ^{٣١} ^{٣٢} ^{٣٣} ^{٣٤} ^{٣٥} ^{٣٦} ^{٣٧} ^{٣٨} ^{٣٩} ^{٤٠} ^{٤١} ^{٤٢} ^{٤٣} ^{٤٤} ^{٤٥} ^{٤٦} ^{٤٧} ^{٤٨} ^{٤٩} ^{٥٠} ^{٥١} ^{٥٢} ^{٥٣} ^{٥٤} ^{٥٥} ^{٥٦} ^{٥٧} ^{٥٨} ^{٥٩} ^{٦٠} ^{٦١} ^{٦٢} ^{٦٣} ^{٦٤} ^{٦٥} ^{٦٦} ^{٦٧} ^{٦٨} ^{٦٩} ^{٧٠} ^{٧١} ^{٧٢} ^{٧٣} ^{٧٤} ^{٧٥} ^{٧٦} ^{٧٧} ^{٧٨} ^{٧٩} ^{٨٠} ^{٨١} ^{٨٢} ^{٨٣} ^{٨٤} ^{٨٥} ^{٨٦} ^{٨٧} ^{٨٨} ^{٨٩} ^{٩٠} ^{٩١} ^{٩٢} ^{٩٣} ^{٩٤} ^{٩٥} ^{٩٦} ^{٩٧} ^{٩٨} ^{٩٩} ^{١٠٠}

قال محمد بن علي بن ابي طالب ^١ ^٢ ^٣ ^٤ ^٥ ^٦ ^٧ ^٨ ^٩ ^{١٠} ^{١١} ^{١٢} ^{١٣} ^{١٤} ^{١٥} ^{١٦} ^{١٧} ^{١٨} ^{١٩} ^{٢٠} ^{٢١} ^{٢٢} ^{٢٣} ^{٢٤} ^{٢٥} ^{٢٦} ^{٢٧} ^{٢٨} ^{٢٩} ^{٣٠} ^{٣١} ^{٣٢} ^{٣٣} ^{٣٤} ^{٣٥} ^{٣٦} ^{٣٧} ^{٣٨} ^{٣٩} ^{٤٠} ^{٤١} ^{٤٢} ^{٤٣} ^{٤٤} ^{٤٥} ^{٤٦} ^{٤٧} ^{٤٨} ^{٤٩} ^{٥٠} ^{٥١} ^{٥٢} ^{٥٣} ^{٥٤} ^{٥٥} ^{٥٦} ^{٥٧} ^{٥٨} ^{٥٩} ^{٦٠} ^{٦١} ^{٦٢} ^{٦٣} ^{٦٤} ^{٦٥} ^{٦٦} ^{٦٧} ^{٦٨} ^{٦٩} ^{٧٠} ^{٧١} ^{٧٢} ^{٧٣} ^{٧٤} ^{٧٥} ^{٧٦} ^{٧٧} ^{٧٨} ^{٧٩} ^{٨٠} ^{٨١} ^{٨٢} ^{٨٣} ^{٨٤} ^{٨٥} ^{٨٦} ^{٨٧} ^{٨٨} ^{٨٩} ^{٩٠} ^{٩١} ^{٩٢} ^{٩٣} ^{٩٤} ^{٩٥} ^{٩٦} ^{٩٧} ^{٩٨} ^{٩٩} ^{١٠٠}

قال محمد بن علي بن ابي طالب ^١ ^٢ ^٣ ^٤ ^٥ ^٦ ^٧ ^٨ ^٩ ^{١٠} ^{١١} ^{١٢} ^{١٣} ^{١٤} ^{١٥} ^{١٦} ^{١٧} ^{١٨} ^{١٩} ^{٢٠} ^{٢١} ^{٢٢} ^{٢٣} ^{٢٤} ^{٢٥} ^{٢٦} ^{٢٧} ^{٢٨} ^{٢٩} ^{٣٠} ^{٣١} ^{٣٢} ^{٣٣} ^{٣٤} ^{٣٥} ^{٣٦} ^{٣٧} ^{٣٨} ^{٣٩} ^{٤٠} ^{٤١} ^{٤٢} ^{٤٣} ^{٤٤} ^{٤٥} ^{٤٦} ^{٤٧} ^{٤٨} ^{٤٩} ^{٥٠} ^{٥١} ^{٥٢} ^{٥٣} ^{٥٤} ^{٥٥} ^{٥٦} ^{٥٧} ^{٥٨} ^{٥٩} ^{٦٠} ^{٦١} ^{٦٢} ^{٦٣} ^{٦٤} ^{٦٥} ^{٦٦} ^{٦٧} ^{٦٨} ^{٦٩} ^{٧٠} ^{٧١} ^{٧٢} ^{٧٣} ^{٧٤} ^{٧٥} ^{٧٦} ^{٧٧} ^{٧٨} ^{٧٩} ^{٨٠} ^{٨١} ^{٨٢} ^{٨٣} ^{٨٤} ^{٨٥} ^{٨٦} ^{٨٧} ^{٨٨} ^{٨٩} ^{٩٠} ^{٩١} ^{٩٢} ^{٩٣} ^{٩٤} ^{٩٥} ^{٩٦} ^{٩٧} ^{٩٨} ^{٩٩} ^{١٠٠}

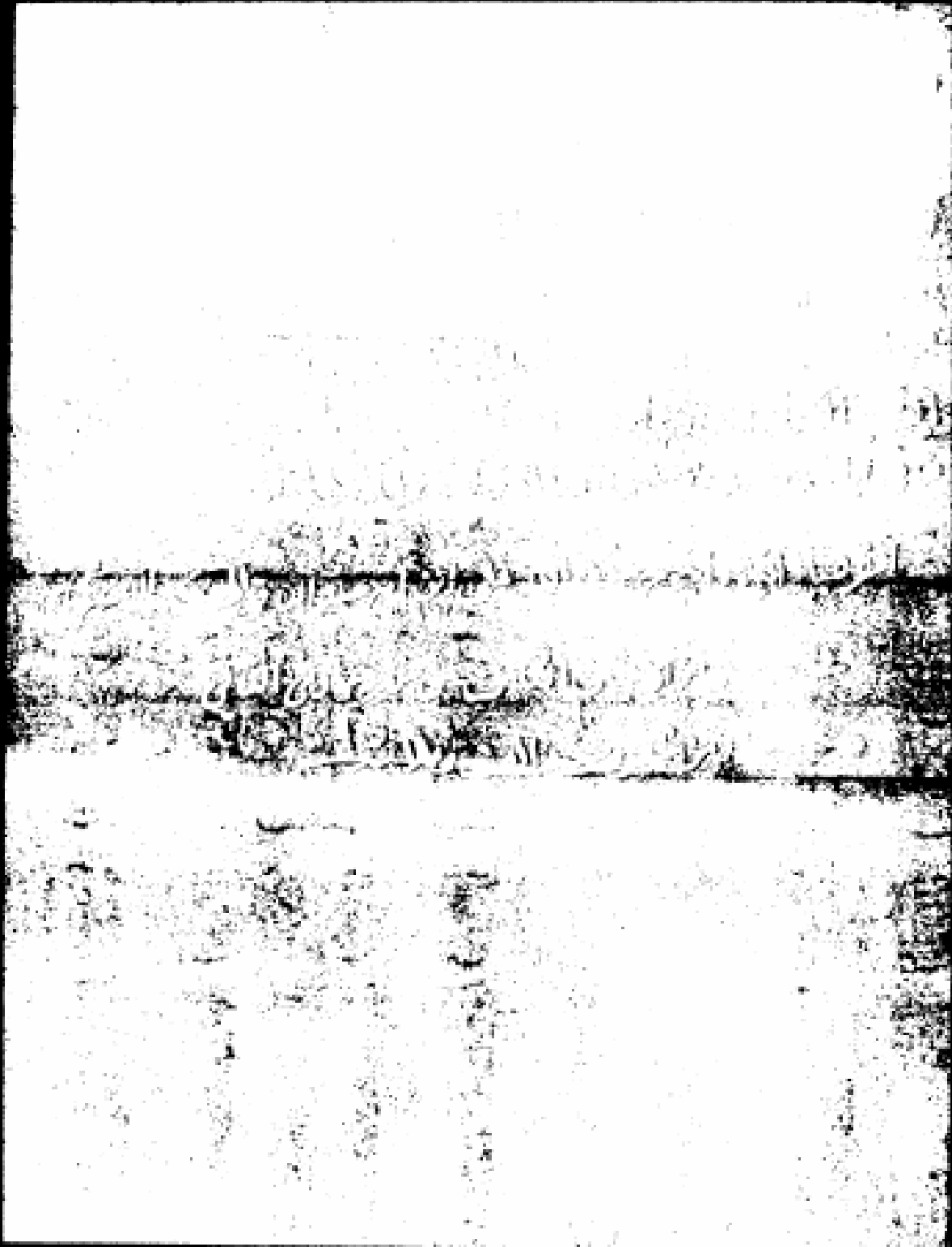
قال محمد بن علي بن ابي طالب ^١ ^٢ ^٣ ^٤ ^٥ ^٦ ^٧ ^٨ ^٩ ^{١٠} ^{١١} ^{١٢} ^{١٣} ^{١٤} ^{١٥} ^{١٦} ^{١٧} ^{١٨} ^{١٩} ^{٢٠} ^{٢١} ^{٢٢} ^{٢٣} ^{٢٤} ^{٢٥} ^{٢٦} ^{٢٧} ^{٢٨} ^{٢٩} ^{٣٠} ^{٣١} ^{٣٢} ^{٣٣} ^{٣٤} ^{٣٥} ^{٣٦} ^{٣٧} ^{٣٨} ^{٣٩} ^{٤٠} ^{٤١} ^{٤٢} ^{٤٣} ^{٤٤} ^{٤٥} ^{٤٦} ^{٤٧} ^{٤٨} ^{٤٩} ^{٥٠} ^{٥١} ^{٥٢} ^{٥٣} ^{٥٤} ^{٥٥} ^{٥٦} ^{٥٧} ^{٥٨} ^{٥٩} ^{٦٠} ^{٦١} ^{٦٢} ^{٦٣} ^{٦٤} ^{٦٥} ^{٦٦} ^{٦٧} ^{٦٨} ^{٦٩} ^{٧٠} ^{٧١} ^{٧٢} ^{٧٣} ^{٧٤} ^{٧٥} ^{٧٦} ^{٧٧} ^{٧٨} ^{٧٩} ^{٨٠} ^{٨١} ^{٨٢} ^{٨٣} ^{٨٤} ^{٨٥} ^{٨٦} ^{٨٧} ^{٨٨} ^{٨٩} ^{٩٠} ^{٩١} ^{٩٢} ^{٩٣} ^{٩٤} ^{٩٥} ^{٩٦} ^{٩٧} ^{٩٨} ^{٩٩} ^{١٠٠}

الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة الجوادين (ع) العامة



الصفحة الأولى من نسخة مكتبة أمير المؤمنين (ع) العامة

وقد رمزنا إليها بالحرف (أ)



الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة أمير المؤمنين (ع) العامة

كتاب مناقب الصحابة وخصالهم

فيهم من تصنيف ابن شهر آشوب

المجلد الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله الطاهرين قال الشيخ الاجل شمس الاسلام
عبد بن علي بن شهر آشوب المازندراني رضي الله عنه لا سألتم وفقكم الله للخيرات اطلاق
كتاب في بيان المشكلات من الايات المتشابهات وما اختلف العلماء فيه من حكم الايات
ولم يأت لهذا المعنى بمواعيف ولا يكاد يوجد الا الفاظ في كتب كبار المتكلمين
او كتاب في بعض نفايس المختارين العديدين وقلنا يحذر ذلك للطالبين فاجتنبوا ذلك
مع تفهم العكز وضيق الصدر وشغل القلب ودرع السيف وفقدان الكتب
فهما ما ابتدانه ومنها ما سبقنا اليه فترناه ومنها ما وجدناه مختلفا مختلفا والفتا
ما لا يعلم الا بالظاهر حتى يقرن به ما يدل على المراد منه لا لقياسه وقال ابن عباس المحكم
الناسخ والمثابرة المنسوخ وقال مجاهد المحكم ما لم يشبه معناه والمثابرة ما اشبهت
مسايرها وقال الجاهلي المحكم ما لا يحتمل الا وجهها واحدا والمثابرة ما يحتمل وجهين فصاعدا
وقال جابر المحكم ما يعلم نفيه بتاويله والمثابرة ما لا يعلم نفيه بتاويله وقيل ما لا ينظم
لنظمه انما يزاورة او حذف او نقل وسمى مثابرها لانها لا يشبه المحكم وقيل لا يشبهه
المراد منه بما ليس بمبدأ والمثابرة في القرآن انما يقع فيها اختلف الناس فيه من امور الابدان
مخوفا من جهة واحدة واصطلم الله على علم وانتم السارني ومنها ما لا يحتمل ما بين او ثلثا
او اكثر فيجعل على الاصول مثل يد الله معلولة وتجرى باعينا ومنها مما يزعم فيه مناقضة
مخوفا من سبع سموات في يومين وقوله في اربعة ايام وقوله في ستة ايام ومنها ما
يحكم فيه عرضة مثل قوله ليس كمثل شي وما يبيح ذلك من الغوامض التي يحتاج اليها
ويقتضيه منها اما بوضوح اللفظة او بتمضي العقل او بموجب الشرع والحكمة في انزال اللغات
للشأن على النظر الذي يوجب العلم دون التكاليف على الخبر من غير نظر وذلك ان لو لم يعلم بالنظر
مساياتي بالرسول صلى الله عليه واله وسلم من الجواز ان يكون كذا بطلت دلالة اللفظ فانه
ثم ان به يقول العالم من الجاهل كما قال وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم هم انزل
على

الصفحة الأولى من نسخة مكتبة آية الله الحكيم العامة في النجف الاشرف

وقد رمزنا إليها بالحرف (ح)

/ ٢ / بسم الله الرحمن الرحيم

[وبه نستعين] (١)

الحمدُ لله ربَّ العالمين والصَّلَاةُ والسلام على مُحَمَّدٍ وآله الطاهرين

قال [الشيخُ الأجلُّ شمسُ الإسلام] (٢) محمد بن عليّ بن شهر آشوب المازندراني - رضي الله عنه - : سألتهم - وفقكم الله للخيرات - إملاءً كتابٍ في بيان المشكلات من الآيات المتشابهات، وما اختلف العلماء فيه من حكم الآيات، ولعمري! إنَّ لهذا التَّحقيق بحرًا عميقًا، ولا يكادُ يوجدُ منه (٣) إلا ألفاظًا (٤) في

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ك) و(هـ).

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ك) و(هـ) و(ح). وفي (أ): قَالَ الشيخُ الأجلُّ العالمُ الأوحدُ رشيدُ النَّسبِ أبو جعفر...

(٣) (منه) ساقطة من (ك) و(هـ) و(أ).

(٤) في (ش) و(هـ) و(أ) و(ح): ألفاظًا.

كتب كبار المتكلمين، أو نكتاً^(١) في بعض تفاسير^(٢) المحققين، العدليين، وقلماً
مُحَصَّر^(٣) ذلك للطالبيين، فأجبتكم إلى ذلك مع تقسُّم^(٤) الفكر، وضيق الصدر،
وشغل القلب، ووعناء السفر، وفقدان الكتب، فمنها ما ابتدأناه، ومنها ما سبقنا
إليه، فحررناه، ومنها ما وجدناه مختلفاً^(٥)، فحقَّقناه.

والمتشابهة: ما لا يُعلم المرادُ بظاهرها، حتَّى يقترنَ به ما يدلُّ على المراد منه،
لالتباسه.

وَقَالَ ابن عَبَّاسٍ^(٦): المحكم الناسخ، والمتشابه المنسوخ.

وَقَالَ مجاهد^(٧): المحكم ما لم يشبهه معناه، والمتشابه ما اشتبهت معانيه.

وَقَالَ الجبائي^(٨): المحكم ما لا يحتمل إلا وجهاً واحداً، والمتشابه ما يحتمل
وجهين فصاعداً.

(١) في (ش) و(هـ) و(أ) و(ح): نكتاً.

(٢) في (أ): نواسين.

(٣) في (ك): يحضر. بالضاد المعجمة.

(٤) في (أ): تقسيم. وفي (ح): تقسيم.

(٥) في (ك): مختلفاً. وفي (هـ): مختلفاً وكتب فوقها كلمة (مختلفاً). وفي (أ): مختلفاً.

(٦) جامع البيان: ٣: ١٧٢. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٠٩. التفسير الكبير: ٧: ١٧٠ الجامع لأحكام

القرآن «تفسير القرطبي»: ٤: ١٠.

(٧) جامع البيان: ٣: ١٧٣. أيضاً: مجمع البيان: ١/ ٤٠٩.

(٨) مجمع البيان: ١: ٤٠٩. وهو في (جامع البيان): ٣: ١٧٣. من دون نسبة إلى أحد.

وَقَالَ جَابِرٌ^(١): الْمَحْكَمُ مَا يُعْلَمُ تَعْيِينُ تَأْوِيلِهِ، وَالْمُتَشَابِهُ مَا لَا يُعْلَمُ تَعْيِينُ تَأْوِيلِهِ^(٢).

وقيل: ما لا ينتظم لفظه معناه، إلا بزيادة، أو حذف، أو نقل.

وسُمِّيَ متشابهاً، لأنه يُشْبِهُ المحكَمَ. وقيل: لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد.

والمتشابه في القرآن، إنما يقع فيما اختلف الناس فيه من أمور الدين، نحو قوله [تعالى]^(٣): ﴿وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾^(٤)، ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾^(٥).

ومنها: ما^(٦) يحتمل معنيين، أو ثلاثاً^(٧)، أو أكثر، فيحتمل على الأصوب، مثل: ﴿يَدُ اللهِ مَغْلُوبَةٌ﴾^(٨)، و: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾^(٩).

(١) جامع البيان: ٣: ١٧٤ - ١٧٥ عن جابر بن عبدالله. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٠٩. الجامع لأحكام القرآن: ٤: ٩.

(٢) العبارة: «والمتشابه ما لا يعلم تعيين تأويله» ساقطة من (ك) و(هـ) و(أ).

(٣) (تعالى) زيادة من (ك) و(هـ). وفي (ح): سبحانه.

(٤) الجاثية: ٢٣.

(٥) طه: ٨٥.

(٦) في (ك) و(أ): أن. وفي (ح): ما لا يحتمل.

(٧) في (ك) و(هـ): ثلاث.

(٨) المائدة: ٦٤.

(٩) القمر: ١٤.

ومنها: عمَّا^(١) يزعم فيه من مناقضة، نحو: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَاءَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(٢)، وقوله: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾^(٣)، وقوله^(٤): ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(٥).

ومنها: ما هو محكمٌ فيه غموضه، مثل قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٦)، وما يتبع ذلك مِنَ الغَوَامِضِ الَّتِي تَحْتَاجُ^(٧) إِلَى بَيَانِهَا، ويستخلصُ منها إما بموضوع اللُّغَةِ، أو بِمُقْتَضَى العَقْلِ، أو بِمُوجِبِ الشَّرْعِ.

والحكمة في إنزال المتشابه، الحثُّ^(٨) على النَّظَرِ، الَّذِي يوجبُ العلمَ دُونَ الاتِّكَالِ عَلَى الخَيْرِ^(٩)، مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ^(١٠)، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَعْلَمْ بِالنَّظَرِ أَنَّ جَمِيعَ مَا يَأْتِي بِهِ الرَّسُولُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ^(١١) وَآلِهِ - حَقٌّ، لَجَوَّازٌ^(١٢) أَنْ يَكُونَ الخَبْرُ كَذِباً،

(١) في (ك): ما.

(٢) نُصَلَّت: ١٢.

(٣) نُصَلَّت: ١٠.

(٤) العبارة: وقوله ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ساقطة من (ك) و(هـ).

(٥) الأعراف: ٥٤. وفي أكثر من موضع من القرآن الكريم.

(٦) الشورى: ١١.

(٧) في (ك) و(هـ): يحتاج. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٨) في (ك) و(هـ): بالحث.

(٩) في (ك) و(هـ): الخير. بالياء المثناة من تحت.

(١٠) في (ش): نظره.

(١١) في (أ): عليه السلام.

(١٢) في (ك) و(أ): يجوز. بصيغة المضارع.

ويطلت دلالة السَّمْع، وفائدته.

ثُمَّ أَنَّ بِهِ يَتَمَيَّزُ^(١) الْعَالَمُ مِنَ الْجَاهِلِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(٢).

ثُمَّ أَنَّهُ مَنْزَلٌ عَلَى لُغَةِ الْعَرَبِ^(٣)، وَمِنْ عَادَتِهِمُ، الْإِسْتِعَارَةُ، وَالْمَجَازُ، وَالتَّعْرِيفُ، وَاللَّحْنُ. وَقَدْ يَكُونُ مُحْكَمًا مِنْ وَجْهِ، وَمُتَشَابِهًا مِنْ وَجْهِ، كَالْمَعْلُومِ، وَالْمَجْهُولِ، فَتَصِحُّ الْحُجَّةُ مِنْ وَجْهِ الْمَعْلُومِ، دُونَ الْمَجْهُولِ.

وَالشَّبْهَةُ مَا تُتَّصَرُّ بِصُورَةِ الدَّلَالَةِ، وَأَسْبَابُهَا كَثِيرَةٌ، مِنْهَا: اتِّبَاعُ هَوَى مِنْ سَبَقَ إِلَيْهِ، وَالثَّانِي: أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ شَبْهَةٌ، فَيَتَخَيَّلُهُ بِصُورَةِ الصَّحِيحِ. وَالثَّلَاثُ: التَّقْلِيدُ. وَالرَّابِعُ: تَرْكُ النَّظَرِ. وَالخَامِسُ: نَشْوَةٌ عَلَى شَيْءٍ صَارَ^(٤) إِلْفَةً^(٥)، فَيَصْعَبُ عَلَيْهِ مَفَارِقَتَهُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ. وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْمَعُونَةَ عَلَى إِتْمَامِهِ، وَأَنْ يُوَفِّقَنِي لِإِتْمَامِ مَا شَرَعْتَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ (أَسْبَابِ نَزُولِ الْقُرْآنِ)، فَإِنَّ بَانِضِمَامَهُمَا، يَحْصُلُ جُلُّ عِلْمِ التَّفَاسِيرِ. إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ، وَالْمَنْعَمُ بِطَوْلِهِ^(٦).



(١) فِي (ك): تَمَيَّزُ

(٢) آل عمران: ٧ .

(٣) (العرب): ساقطة من (ك).

(٤) فِي (أ): صِبَارِهِ.

(٥) فِي (ك): إِلَيْهِ. وَفِي (ش): وَأَلْفَةٌ.

(٦) الْعِبَارَةُ: «وَالْمَنْعَمُ بِطَوْلِهِ» جَاءَتْ فِي (ك) بَعْدَ قَوْلِهِ: «بَابِ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَبْوَابِ التَّوْحِيدِ». الْأَنَّى ذَكَرَهُ.

[١]

بَاب

مَا يَتَعَلَّقُ بِأَقْرَابِ التَّوْحِيدِ

قوله - تعالى - : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ / ٣ / سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾^(١).

الظاهر يقتضي أنه خلق الأرض قبل السماء، لأن ﴿ثُمَّ﴾ للتعقيب والتراخي. وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ [آخِر] ^(٢): ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾^(٣)، ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(٤). ليس بينهما^(٥) تناقض، لأنه - تعالى - خلق الأرض قبل السماء، غير مدحوة، فلما خلق السماء، دحاما بعد ذلك. ودحوها: بسطها. ومنه أدحية النعام، لأنها تبسطها لتبيض فيها.

ويجوز ألا يكون معنى ﴿ثُمَّ﴾ و﴿بَعْدَ﴾ في هذه الآيات للترتيب في

(١) البقرة: ٢٩.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ح).

(٣) النازعات: ٢٧.

(٤) النازعات: ٣٠.

(٥) في (ك): يَتَّهَا.

الأوقات. والتقديم، والتأخير فيها، إنما هو على جهة تعداد النعم، والإدكار^(١) بها، كما يقول القائل لصاحبه: أليس قد أعطيتك، ثم حملتك ثم رفعت منزلتك، ثم بعد هذا كله أخلصتك لنفسي. ويقال: ﴿بَعْدَ﴾، بمعنى «مع» [كـ] قوله^(٢):
 ﴿عُتِلُّ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٌ﴾^(٣).

ويقال: بمعنى «قبل». [كـ] قوله^(٤): ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ
 الذِّكْرِ﴾^(٥).

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾^(٦)
 بلا دعامة تدعيمها، ولا علامة^(٧) تتعلق^(٨) بها، بل إن الله - تعالى^(٩) - يسكنها^(١٠)

(١) في (ك) و(هـ) و(أ): الأذكار. بالذال المعجمة.

(٢) في (ش) و(هـ): قوله. وسقطت من (أ).

(٣) القلم: ١٣.

(٤) في (ش) و(هـ) و(أ): قوله.

(٥) الأنبياء: ١٠٥.

(٦) الروم: ٢٥.

(٧) علامة): مطموس بعضها في (هـ).

(٨) في (ش) و(ك) و(أ) و(ح): علق. بصيغة الماضي.

(٩) (تعالى) سقطت من (ح).

(١٠) في (ك) و(هـ) و(أ): ليسكنها. وفي (ح): يسكنها.

حالاً بعد حال، لأعظم دلالة على أنه لا يقدر عليه سواه. ولو اجتمعت الجن، والأنس^(١) على امساك تينة^(٢) في الهواء، أو إثبات^(٣) تربة على الماء، لعجزوا. [شعر]^(٤):

بنى السماء فسواها بلا عمدٍ ولم تُمدَّ بأطنابٍ ولا عمدٍ^(٥)

قوله - سبحانه - : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾^(٦). أي: ليس لها عمد^(٧)، تسندها^(٨). لأنه لو كان لها عمدٌ، لرأيتموها، فلما لم تر^(٩)، دل على أنه ليس لها عمد^(١٠)، ولو كان لها عمدٌ، لكانت أجساماً عظيمةً، حتى يصح منها إقلال السماوات، ولو كانت كذلك، لاحتاجت إلى عمدٍ آخر، فكان يتسلسل.

(١) (الأنس): ساقطة من (ك)

(٢) في (ك): بنية

(٣) في (ش) و(ش): وإثبات.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ك) و(ه).

(٥) لم نقف على قائله.

(٦) لقمان: ١٠.

(٧) في (ش) و(أ): عمدأ.

(٨) في (ش) و(ك) و(ه) و(أ): يسندها. بياض المضارعة المثناة من تحت.

(٩) في (ك): ير. وفي (ه): لم ير ذلك.

(١٠) في (أ): ليس لها ما عمد.

فإذاً لا عمد لها، بل الله^(١) يُسَكِّنُهَا^(٢) حالاً بعد حالٍ، بقدرته التي لا توازيها^(٣) قدرة قادرٍ. وَقَالَ مجاهد^(٤): لها عمدٌ لا ترونها.

وسأل الحسين بن خالد [رضي الله عنه -] ^(٥) الرضا - عليه السلام - عن قوله ﴿وَالسَّيِّئَاتِ الْحَبِيبِ﴾^(٦). فقال - عليه السلام -^(٧): محبوكة إلى الأرض وشبك بين^(٨) أصابعه^(٩). لعلّه - عليه السلام - أراد بذلك قوله: ﴿وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾^(١٠)، لأنه لو كان لها عمدٌ لكانت أجساماً عظيمةً، كثيفةً، لأنه لا يُقَلُّ مثل السماوات والأرض إلا ما فيه الإعتمادات العظيمة، ولو كانت كذلك لرأيناها، ولأدّى إلى التسلسل.

(١) في (ك): الله تعالى.

(٢) في (ح): يمسكها.

(٣) في (هـ): يوازيها.

(٤) جامع البيان: ٢١: ٦٥. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٣١٤.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ك).

(٦) الذاريات: ٧.

(٧) العبارة في (ك) بعد قوله (عليه السلام): أراد بذلك أن لها عمداً ولكن لا ترى. والعبارة:

(محبوكة إلى الأرض... بذلك) ساقطة.

(٨) في (هـ): من.

(٩) مجمع البيان: ٥: ١٥٣.

(١٠) ق: ٧.

قوله - سبحانه - : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾^(١). ظاهر الآية يقتضي أن العرش الذي تعبد الله الملائكة بحمليه، كان مخلوقاً قبل السماوات والأرض. وقد اختاره المرتضى^(٢).
 وَقَالَ الْجَبَّائِي^(٣): فِي الْآيَةِ [دَلَالَةٌ]^(٤) عَلَى أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْمَلَائِكَةُ، لِأَنَّ خَلْقَ الْعَرْشِ عَلَى الْمَاءِ، لَا وَجَةَ لِحُسْنِهِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِيهِ لَطْفٌ لِكُلْفٍ، أَوْ يُمَكِّنُهُ الْاِسْتِدْلَالَ بِهِ، فَلَا بُدَّ - إِذَا - مِنْ حَيِّ مُكَلَّفٍ.
 وَقَالَ الرَّمَّانِيُّ^(٥): لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَتَقَدَّمَ خَلْقُ اللَّهِ لِدَلِّكَ، إِذَا كَانَ فِي الْإِخْبَارِ بِتَقَدُّمِهِ مَصْلِحَةٌ لِلْمُكَلَّفِينَ. وَهُوَ اخْتِيَارُ الطُّوسِيِّ^(٦).

قوله - سبحانه - : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾^(٧).
 وجه الاحتجاج بخلق السماوات على الله - تعالى - ولم يثبت - بعد - أنها

(١) هود: ٧.

(٢) مجمع البيان: ٣: ١٤٤.

(٣) مجمع البيان: ٣: ١٤٤. وفي التفسير الكبير: ١٧: ١٨٧ معزواً إلى المعتزلة.

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك) و(هـ) و(أ) و(ح).

(٥) مجمع البيان: ٣: ١٤٤.

(٦) التبيان في تفسير القرآن: ٥: ٤٥١.

(٧) آل عمران: ١٩٠.

مخلوقة، أن تعاقب الضياء والظلام، يدُلُّ على حدوثِ الأجسامِ. ثمَّ أنها على تقدير كونها مخلوقة، قبل الاستدلالِ به، لأنَّ الحجَّةَ به، قامت عليه من حيث أنها لم تنفك من المعاني المحدثَّة.

قوله - سبحانه - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ۗ ﴾^(١).

استدلَّ^(٢) الرُّمَّانِيُّ بهذه الآيةِ على^(٣) أنَّ السَّمَاوَاتِ غَيْرُ الْأَفْلَاكِ، لأنَّ الْأَفْلَاكَ تَتَحَرَّكُ، وتَدُورُ. وَالسَّمَاوَاتِ لَا تَتَحَرَّكُ، وَلَا تَدُورُ.

وهذا غيرُ مرضيٍّ، لأنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ تَكُونَ^(٤) السَّمَاوَاتُ هِيَ الْأَفْلَاكُ، وَإِنْ كَانَتْ مَتَحَرِّكَةً، لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ۗ ﴾، مَعْنَاؤُ: لَا تَزُولُ عَنْ مَرَكِزِهَا الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ، وَلَوْ لَا إِسْمَاكُهُ، لَهَوَّتِ [السَّمَاوَاتِ] ^(٥) - لِمَا فِيهَا مِنَ الْإِعْتِمَادَاتِ - سُفْلًا.



(١) فاطر: ٤١.

(٢) في (أ): استدلال.

(٣) (على): ساقطة من (هـ) و(أ).

(٤) في (ش) و(أ): يكون.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

فصل [١-]

[في بعض الظواهر الكونية]

قوله - تعالى - : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ / ٤ / وَالْمَغْرِبِ ﴾^(١). وفي موضع : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾^(٢). وفي موضع : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾^(٣).

أراد بالأوّل، موضع الشروق، والغروب، لأنّ «المفعّل» - من «يفعل» و«يفعل» - اسمُ الموضع^(٤) منها^(٥)، كالمذهب، والمدخل. أمّا المشرق، والمغرب فيجوز - فيها - كسر العين^(٦)، وفتحها.

وأما الثاني: فعنى^(٧) به مشرق الشتاء، ومشرق الصيف، وكذلك المغرب.

(١) الشعراء: ٢٨، الزمّل: ٩.

(٢) الرحمن: ١٧.

(٣) المعارج: ٤٠.

(٤) في (ك): للموضع.

(٥) في (ك): منها.

(٦) في (هـ): العين. بالغين المعجمة.

(٧) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): عنى

وذلك أن مَشْرِقَ الشَّتَاءِ قَرِيبٌ، فَاللَّيْلُ^(١) أَطْوَلُ مِنَ النَّهَارِ. وكذلك المغرب.
 وأما الثالثُ: عَنَى بِهِ مَنَازِلَ الشَّمْسِ فِي الشَّرُوقِ، وَالغُرُوبِ، لِأَنَّ^(٢)
 لِلشَّمْسِ ثَلَاثِمِائَةٍ وَسِتِينَ مَنَزِلًا، تَطْلُعُ - كُلُّ يَوْمٍ - مِنْ مَنَزِلٍ، وَتَغْرُبُ^(٣) فِي مَنَزِلٍ.
 وكذلك القمر إلا أن^(٤) القَمَرَ يُجَاوِزُ المَنَازِلَ فِي شَهْرٍ وَاحِدٍ، وَالشَّمْسَ
 تُجَاوِزُهَا فِي سَنَةٍ.



قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ قُلْ أَيْنَ كُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي
 يَوْمَيْنِ ﴾^(٥). وقال: ﴿ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ﴾^(٦). وقال: ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾^(٧).
 أمّا قوله: ﴿ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ﴾ يُرِيدُ مَعَ اليَوْمَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ، لِأَنَّ خَلْقَ الرُّوَاسِي،
 وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِنْ تَمَامِ خَلْقِ الْأَرْضِ، وَذَلِكَ كَمَا تَقُولُ: خَرَجْتُ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى
 الْكُوفَةِ فِي خَمْسَةِ أَيَّامٍ، وَإِلَى مَكَّةَ فِي ثَلَاثِينَ يَوْمًا، فَيَكُونُ الْمُبْتَدَأُ فِي جَمَلَةِ الثَّلَاثِينَ.

(١) العبارة: «فالليل أطول» ساقطة من (ك).

(٢) في (ك): ولأن. مع الواو.

(٣) في (ك): تغيب.

(٤) في (أ): لأن.

(٥) فصلت: ٩.

(٦) فصلت: ١٠.

(٧) الأعراف: ٥٤. يونس: ٣. هود: ٧. الحديد: ٤.

وإِنَّمَا خَلَقَهَا فِي هَذَا الْمَقْدَارِ مَعَ قُدْرَتِهِ أَنْ يَخْلُقَهَا فِي أَقَلِّ مِنْ لَمَحِ الْبَصْرِ^(١)،
لَأَنَّ الْأُمُورَ، جَارِيَةٌ فِي التَّدْبِيرِ^(٢) عَلَى مِنْهَاجٍ، وَلَيْسَمَا عَلِمَ فِي ذَلِكَ مِنْ مَصَالِحِ
الْحَلْقِ فِي التَّرْتِيبِ، لِيَنْدُلَّ عَلَى صَانِعِ حَكِيمٍ، وَفِي إِظْهَارِ هِمَاكَذَلِكَ، مَصْلِحَةٌ
الْمَلَائِكَةِ وَعِبْرَةٌ لَهُمْ^(٣).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾^(٤). وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِي
جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قِرَاشًا﴾^(٥).

إِسْتَدَّلَّ أَبُو عَلِيٍّ^(٦) عَلَى بُطْلَانِ مَا يَقُولُهُ الْمُنْجَمُونَ مِنْ أَنَّ الْأَرْضَ كُرْوِيَةٌ^(٧)
الشَّكْلِي. وَهَذَا إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَعْضَهَا مَسْطُوحٌ، لَا جَمِيعَهَا. وَالْمُنْجَمُونَ مُعْتَرِفُونَ
بِأَنَّ بَعْضَهَا مَسْطُوحٌ^(٨).

(١) وردت العبارة في (ك) كالآتي: «وإنما خلقها أسرع من لمح البصر».

(٢) في (هـ): التدبير، بالزاي المعجمة.

(٣) في (ش) و(أ) و(ح): وغيره لهم، وفي (ط): وغيرهم.

(٤) نوح: ١٩.

(٥) البقرة: ٢٢.

(٦) مجمع البيان: ١: ٦١ بلفظ مختلف. والمقصود بـ «أبو علي» الطبرسي صاحب (مجمع البيان).

(٧) في (ش) و(هـ) و(أ): كُرْوِيَةٌ.

(٨) العبارة: «الجميعها... مسطوح» ساقطة من (ك).

قوله - سُبحَانَهُ - : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ الآية^(١).

لَمَّا كَانَتِ الْعَرَبُ مُتَفَرِّدِينَ^(٢) عَنِ النَّاسِ، وَالسَّمَاءَ لَهُمْ مَسْقِفًا، وَالْأَرْضَ لَهُمْ وِطَاءً^(٣)، وَالْجِبَالَ أَمَامَهُمْ، وَهِيَ كَهْفٌ هُمْ، وَحِصْنٌ، وَالْإِبْلُ مَلْجَأُهُمْ فِي الْحِلِّ، وَالتَّرْحَالِ، أَكْلًا، وَشَرِبًا، وَرُكُوبًا، وَحَمَلًا. وَلَيْسَتِ الْفِيلَةُ بِأَدَلَّ^(٤) عَلَى اللَّهِ - تَعَالَى - مِنَ الْبَقَّةِ، وَلَا الطَّاوُوسِ، مِنَ الْقِرَدَةِ، فَلِذَلِكَ قَرَنَ الْإِبْلَ بِالسَّمَاءِ، وَالْأَرْضَ بِالْجِبَالِ^(٥).

قوله - سُبحَانَهُ - : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ﴾^(٦) ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾^(٧).

قال الجبائي^(٨): معناه: خلقكم من آدم، وآدم من تراب.

(١) الغاشية: ١٧.

(٢) في (هـ): متفردين. بالناء المثناة من فوق.

(٣) في (هـ): مِن.

(٤) الوطاء: ما انخفض من الأرض بين النشاز والأشراف، والمقصود سَهْلُهَا وَلِيَّتِهَا (المعجم الوسيط).

(٥) في (هـ): بأدَل. بالذال المعجمة.

(٦) في (هـ) و(ح): وَالْجِبَالِ.

(٧) هود: ٦١.

(٨) غافر: ٦٧.

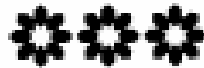
(٩) مجمع البيان: ٤: ٥٣١ وهو غير معزو إلى أحد.

وَقَالَ الطوسي^(١): معناه^(٢): خَلَقَ أَبَاكُمْ - الَّذِي هُوَ آدَمُ، وَأَنْتُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْأَصْلِ لَنَا - مِنْ طِينٍ، فَلَمَّا كَانَ أَصْلُهُ مِنَ الطِّينِ، جَازَ أَنْ يُقُولَ: خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: أَيِ خَلْقِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ. وَالْأَوَّلُ أَقْوَى.

قَالَ الْحَسَنُ^(٣): لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ آدَمَ إِلَّا لِلْأَرْضِ إِنْ عَصَى، وَإِنْ لَمْ يَعْصِ. وَلَمْ يَخْلُقْ لَمْ يَخْرُجْ عَلَى غَيْرِ تِلْكَ الْحَالِ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَلْقُهُ لِلْأَرْضِ، وَلِغَيْرِهَا، وَإِنْ لَمْ يَعْصِ. وَهُوَ الْأَقْوَى، لِأَنَّ مَا قَالَهُ الْحَسَنُ. لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.



(١) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦.

(٢) في (أ): معناه قوله.

(٣) مجمع البيان: ٤: ٥٣١ بلفظ مختلف.

فصل [-٢-]

[في خلق الإنسان]

قوله تعالى - في خلق آدم - : ﴿ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ﴾^(١)، وفي موضع: ﴿ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾^(٢)، وفي موضع: ﴿ مِنْ حَمِيمٍ مُسْتَوِينٍ ﴾^(٣)، وفي موضع: ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾^(٤).

لا تناقض فيها، لأنها ترجع إلى أصل واحد، وهو التراب، فجعله طيناً، ثم صار كالحَمِيمِ المُسْتَوِينِ، ثم يَبَسَ، فصار^(٥) كالْفَخَّارِ.

قوله - سبحانه - : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾^(٦).

(١) آل عمران: ٥٩.

(٢) الصافات: ١١.

(٣) الحجر: ٢٦، ٢٨، ٣٣.

(٤) الرحمن: ١٤.

(٥) (فصار) سقطت من (ح).

(٦) الزمر: ٦.

وَ ﴿تُمْ﴾ يقتضي^(١) المهلة، والتراخي، وذلك يقتضي أن الله - تعالى - خلق الخلق من آدم، ثم بعد ذلك، خلق حواء^(٢)؟

[الجواب]^(٣): إن ذلك، وإن^(٤) كان مؤخرًا في اللفظ، فهو^(٥) مقدم في المعنى، كقول القائل: قد رأيت ما كان منك اليوم ثم ما كان / ٥ / منك أمس.

أو إنّه معطوف على معنى واحد، كأنه قال: ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ بمعنى: وحدها، ثم جعل منها زوجها. ففي ﴿وَاحِدَةٍ﴾ معنى: خلقها وحدها. ولا يمتنع أن يكون المراد بقوله: ﴿زَوْجَهَا﴾ غير حواء، بل يريد الزوج^(٦) من نسل آدم من الذكور والإناث، فكأنه - تعالى - قال: هو الذي خلقكم من نفس واحدة - وهي آدم - ثم جعل الزوج^(٧) من نسل تلك النفس. وهذا متأخر عن خلق النفس الواحدة التي هي آدم.

وإن سبب^(٨) دخول ﴿تُمْ﴾ للاعتداد بهذه النعمة، والذكر لها على سبيل

(١) في (ك) و(ح): تقتضي.

(٢) في (ح): حوى.

(٣) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش) و(ح).

(٤) في (أ): فإن.

(٥) في (ش) و(هـ) و(أ): وهو.

(٦) في (ش) و(ح): الزوج.

(٧) في (ش) و(ح): الزوج.

(٨) في (أ): وأن يكون سبب...

الإمتنان، إنما كان بعد ذكر خلقنا^(١) من نفس واحدة، فكأنه قال: هو الذي ذكر لكم، واعتد^(٢) عليكم، بأنه خلقكم من نفس واحدة، ثم عطف على هذا الإعتداد، والامتنان، ذكر نعمة أخرى، وهي أن زوج هذه النفس المخلوقة، مخلوقة منها، فزمان الخلق للزوج، وإن كان متقدماً، فزمان ذكره، والإعتداد به، غير زمان وجوده، فلا يمتنع أن يكون الترتيب في زمان الذكر والاعتداد، غير الترتيب في زمان الإيجاد، والتكوين، كقولنا: لي^(٣) عليك من النعمة كذا [اليوم، ثم كذا]^(٤) أمس.

أو^(٥) المراد بـ ﴿ثُمَّ﴾: الواو. [فإنه]^(٦) قد^(٧) يُستعمل^(٨) «الواو» بمعنى ﴿ثُمَّ﴾، و﴿ثُمَّ﴾^(٩) بمعنى: «الواو»، لأن الجميع^(١٠)، للانضمام.

(١) في (ط): خلقها.

(٢) في (أ): اعتدنا.

(٣) في (ش): لي.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش) و(ح).

(٥) في (ش) و(هـ) و(أ) و(ح) و(ط): والمراد.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش) و(ح) و(ط).

(٧) في (ش) و(ح) و(ط): وقد.

(٨) في (ك): تستعمل.

(٩) في (ش): فثم.

(١٠) في (ط): وهو الجمع والانضمام. وهو ما لا يوجد في النسخ المخطوطة جميعها.

وَقَوْلُهُ^(١): ﴿فَالَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾^(٢). معناه: واللهُ شَهِيدٌ. وقوله:
﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾^(٣).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾^(٤).
الآية فيها دلالة على أن الإنسان هو هذا الجسمُ المشاهدُ، لأنه المخلوق من
نطفة، والمستخرج من سلالة دون ما يذهب إليه (مُعَمَّرٌ)^(٥) وَغَيْرُهُ مِنْ أَنَّهُ
الجوهرُ البسيطُ، أو شيءٌ لا يَصُحُّ عليه التركيبُ والانقسامُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾^(٦).
أي: أصلُكَ مِنْ تُرَابٍ، إذ خَلَقَ أَبَاهُ مِنْ تُرَابٍ، وَيَصِيرُ^(٧) إِلَى^(٨) الترابِ.

(١) في (ح): قوله.

(٢) يونس: ٤٦.

(٣) الزمر: ٦: باعتبار ما قبله وهو قوله - تعالى - : ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا
وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ بمعنى: ثُمَّ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ...

(٤) المؤمنون: ١٢.

(٥) مقالات الإسلاميين: ٢: ٣٠٧. الملل والنحل: ١: ٩٩. المعتزلة: ١٣١.

(٦) الكهف: ٣٧.

(٧) في (هـ): تصير.

(٨) إلى: مكررة في (أ).

وقيل: لَمَّا كَانَتِ النَّطْفَةُ يَخْلُقُهَا^(١) اللهُ بِمَجْرَى الْعَادَةِ مِنَ الْغِذَاءِ، وَالْغِذَاءُ نَبَتٌ^(٢) مِنْ تَرَابٍ، جَازَ أَنْ يُقَالَ: خَلَقَكَ مِنْ تَرَابٍ، لِأَنَّ أَسْلُهُ مِنْ تَرَابٍ، كَمَا قَالَ: «مِنْ نَطْفَةٍ»، وَهُوَ - فِي هَذِهِ الْحَالِ - خَلَقَ سُوءِي، حَيٌّ. لَكِنْ لَمَّا كَانَ أَسْلُهُ كَذَلِكَ، جَازَ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ.

وَالْوَجْهُ فِي خَلْقِ الْبَشَرِ، وَغَيْرِهِ، مِنَ الْحَيَوَانِ، نَقْلُهُ مِنْ تَرَابٍ إِلَى نَطْفَةٍ، ثُمَّ إِلَى عَلَقَةٍ، ثُمَّ إِلَى صُورَةٍ، ثُمَّ إِلَى طِفْلِيَّةٍ، ثُمَّ إِلَى حَالِ الرُّجُولِيَّةِ، مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْإِعْتِبَارِ الَّذِي هُوَ أَذَلُّ^(٣) نَحْدُ عَلَى تَدْبِيرِ مُدَبِّرٍ، مُخْتَارٍ، يُصَرِّفُ الْأَشْيَاءَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، لِأَنَّ مَا يَكُونُ بِالطَّبَعِ، يَكُونُ دُفْعَةً وَاحِدَةً، كَالْكِتَابَةِ^(٤) الَّتِي^(٥) يُوجَدُهَا بِالطَّبَائِعِ^(٦) مِنْ لَا يُجَسِّنُ الْكِتَابَةَ، فَأَمَّا^(٧) إِِنْشَاءُ الْخَلْقِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، دَلٌّ^(٨) عَلَى أَنَّهُ [تَعَالَى] ^(٩)عَالِمٌ مُخْتَارٌ.

(١) فِي (ش): يَخْلُقُهَا.

(٢) فِي (ك): يَنْبَتُ.

(٣) فِي (هـ): أَذَلُّ شَيْءٌ. وَفِي (أ): أَذَلُّ.

(٤) فِي (أ): فَالْكِتَابَةُ.

(٥) فِي (أ): الَّذِي.

(٦) فِي (هـ): بِالطَّبَائِعِ.

(٧) فِي (ح): فإِنْشَاءً.

(٨) فِي (ح): دَالٌّ.

(٩) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ (ح).

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾^(١) الآية.
تعلقت الحشوية بذلك، وألحقوا به الخبر: «الأرواح جنود مجنّدة»^(٢)
فَقَوْلُهُمْ باطِلٌ، لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿مِنْ بَنِي آدَمَ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: مِنْ آدَمَ. وَقَالَ: ﴿مِنْ
ظُهُورِهِمْ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: مِنْ ظَهْرِهِ. وَقَالَ: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(٣). وَلَمْ يَقُلْ: ذُرِّيَّتَهُ. وَأَيُّ ظَهْرٍ
يَحْتَمِلُ هَذِهِ الذُّرِّيَّةَ؟، وَأَيُّ فِضَاءٍ^(٤) يَتَّسِعُ؟
ولفظُ ﴿الذُّرِّيَّةِ﴾، إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى الْمَوْلُودِ، وَلَا يَكُونُ فِي الصُّلْبِ ذُرِّيَّةً،
وَيُوجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ ذُرِّيَّةَ آدَمَ لَصُلْبِهِ، وَلَا يَدْخُلُ أَبْنَاءُ الْأَبْنَاءِ، وَمَنْ
بَعْدَهُمْ، لِأَنَّ الذُّرِّيَّةَ. إِنَّمَا تُطَلَّقُ عَلَى وَادِّ الصُّلْبِ، وَمَا عَدَاءُ مَجَازٌ، يَعْرِفُ ذَلِكَ
بِدَلِيلٍ آخَرَ، دُونَ ظَاهِرِ اللَّفْظِ.

ومعلومٌ أَنَّ الْوَالِدَ يُخَلِّقُ مِنَ الْمَنِيِّ، وَإِنَّمَا يَحْدُثُ مِنَ الْإِنْسَانِ حَالاً بَعْدَ
حَالٍ، وَيَسْتَحِيلُ مِنَ الْأَطْعَمَةِ. وَكَيْفَ يَجْتَمِعُ فِي صُلْبٍ وَاحِدٍ جَمِيعُ مَا يَكُونُ مِنْ
عَقِبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمَنِيِّ؟ وَالْإِشْهَادُ إِنَّمَا يَصْحُحُ مِمَّنْ يَعْقِلُ، وَيَكُونُ الْجَوَازُ
عَنْهُ^(٥) مُسْتَحِيلًا، وَاللَّهُ - تَعَالَى - رَفَعَ الْقَلَمَ عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ، وَلَمْ يُلْزَمَهُ

(١) الأعراف: ١٧٢.

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي: ٧: ٣٤٤. العقد الفريد: ٢: ٣٢٩ وفيه: الأنفس جنود مجنّدة. أمالي
الصدوق: ١٢٩. فردوس الأخبار: ١: ١٥٩. الأسماء والصفات: ٣٦٥.

(٣) الأعراف: ١٧٢.

(٤) في (ش): قضاء.

(٥) عنه) ساقطة من (ك).

معرفة، والذرية المستخرجة من ظهر آدم، إذا خوطبت، وقُرت لأبداً أن تكون^(١) كاملة^(٢) العقول، مستوفية التكليف، لأن ما لم يكن كذلك، يقبُح خطائهم، وتقريرهم، وإشهادهم. / ٦ / وإن كانوا بصفة كمال العقل، وجب أن يذكر هؤلاء^(٣) - بعد إنشائهم أو كمال^(٤) عقولهم - تلك الحال. فإن^(٥) الله - تعالى - أخبرنا، بأنه إنما أقرزهم، وأشهدهم، لئلا يدعوا - يوم القيامة - الغفلة عن ذلك، أو يعتذروا بشرك آبائهم، وأنهم نشأوا بين أيديهم. وهذا يدل على الإختصاص^(٦) ببعض ذرية ولد آدم، وهو الصحيح، فإنه خلقهم، وبلغهم - على لسان^(٧) رسله - معرفته، وما يجب من طاعته، فأقرؤوا بذلك، لئلا يقولوا: إنا كنا عن هذا غافلين، وإن الله - تعالى - لما خلقهم، ورزقهم تربية، يدل على معرفته، ويشهد بقدرته، ووجوب عبادته، وأزاهم العبر، والآيات، والدلائل في غيرهم، وفي أنفسهم، كان بمنزلة المشهد لهم على^(٨) أنفسهم، وإن لم يكن هناك إشهاد، ولا اعتراف

(١) في (ش) و(هـ) و(أ): يكون.

(٢) في (أ): بكاملة.

(٣) في (ك): أولاً. وفي (هـ): لأي.

(٤) في (ك) و(هـ) و(أ): وكمال.

(٥) في (ح): وإن. مع الواو.

(٦) في (ك) و(هـ) و(أ): إختصاصها.

(٧) في (ك): على لسانه مثل معرفته. وفي (أ): على لسانه شاء معرفته.

(٨) (على) ساقطة من (أ).

على الحقيقة، ويجري^(١) ذلك مجرى قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٢).

قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ^(٣): ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ^(٤)، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾^(٥).

ليس يوجب اللفظ أن يكون أخذ الميثاق عليهم في وقت واحد، ومكان واحد، بل يكون معناه: أخذ ميثاق [أمم]^(٦) النبيين بتصديق نبيها، والعمل بما جاءهم به. ويُقال: أخذ العهد بها نصب لهم من الحجج الواضحة، والبراهين الساطعة الدالة على توحيده، وعدله، وصدق أنبيائه، ورساله. ويمكن أن يكون ذلك ما روي في تقرير الأنبياء - عليهم السلام - على ولاية علي - عليه السلام - على ما بيناه في كتبنا.

(١) في (ح): ويجري ذلك.

(٢) نُصِّلَتْ: ١١.

(٣) (سبحانه... من كتاب وحكمة) سقطت من (ح).

(٤) آل عمران: ٨١.

(٥) الأحزاب: ٧.

(٦) ما بين المعقوفين سقطت من (ش) و(ك) و(هـ) و(أ).

قوله - سُبحَانَهُ - : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾^(١).

هذا الميثاق هو المعنى في قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾^(٢). الآيات.

قوله - سُبحَانَهُ - : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ ﴾^(٣)، وقوله: ﴿ مِنْ النَّارِ الْأُولَى ﴾^(٤)،

وقوله: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ﴾^(٥). وقوله: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ﴾^(٦).

فليس فيها شيء من دعواتهم، أنه مسح ظهر آدم، واستخرج منه الذريرة،

وأشهدها^(٧) على نفوسها وأخذ^(٨) إقرارها، بمعرفته. وقد بينا فسادها في الآية

الأولى^(٩).



(١) البقرة: ٦٣، ٩٣.

(٢) البقرة: ٨٣.

(٣) الروم: ٣٠.

(٤) النجم: ٥٦.

(٥) الأعراف: ١٠٥.

(٦) الروم: ٣٠.

(٧) في (أ): أشهدهم.

(٨) (أخذ): ساقطة من (ك). وفي (ل): أو أخذ.

(٩) المقصود بالآية الأولى قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ... ﴾ الأعراف: ١٧٢. وقد مضى تفسيرها وشيكاً.

فصل [٣-]

[في خلق حواء وفي معنى القلب وفي أمور أخرى]

قوله - تعالى - : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾^(١).روى: أن الله [- تعالى -] ^(٢) ألقى على آدم النوم، وأخذ منه ضلعاً، فخلق

منه حواء. وروى: أنه خلقها من فضل طيبته.

قال الرَّمَانِيُّ^(٣) وجماعة من المفسرين: ليس يمتنع أن يخلق الله حواء من جملة جسد آدم، بعد ألا يكون جزءاً^(٤) مما لا يتم كون الحي حياً إلا معه، لأن ما هذه صفته، لا يجوز أن يُنقل^(٥) إلى غيره، أو يخلق منه حياً آخر، حيث يؤدي إلى ألا يصل الثواب إلى مستحقه، لأن المستحق لذلك، الجملة بأجمعها.

(١) البقرة: ٣٥.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (ك).

(٣) قول الرماني هذا في مجمع البيان: ١ : ٨٥ نصاً، لكنه نسبة إلى (أهل التحقيق) من دون تعيين.

(٤) في (ش): جزء. بالرفع.

(٥) في (ك): تُنقل.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾^(١).
لا يجوز أن يكون لإنسان واحد، قلبان، لأنه يؤدي إلى ألا ينفصل إنسان
من إنسانين، لأنه ربما يريد بأحد قلوبه ما يكرهه^(٢) بالقلب الآخر^(٣)، أو يشتهي
ما لا يشتهي الآخر^(٤)، أو يعلم ما لا يعلم الآخر، فيصير كشخصين.
وقال بعضهم: يجوز أن يكون لإنسان^(٥) قلب^(٦) كثير الأجزاء، ويمتنع أن
يريد ببعض الأجزاء^(٧) ما يكرهه البعض، لأن الإرادة، والكره، إن وُجدتا في
جزء من القلب، فالحالتان الصادرتان عنهما^(٨)، يرجعان إلى الجملة، وهي جملة
واحدة، فاستحال وجود معنيين ضدين في حي واحد، ويجوز أن يكون معنيان،
مختلفان، أو مثلان في جزأين من القلب، ويوجبان الصفتين للحي^(٩) الواحد،
وكذلك المعنيان في قلبين، إذا كان مما يوجد منها^(١٠) يرجع إلى حي واحد، إلا أن

(١) الأحزاب: ٤.

(٢) في (أ): يكره.

(٣) في (هـ): بالآخر.

(٤) في (هـ): بالآخر.

(٥) في (ك) و(هـ) و(أ): للإنسان.

(٦) في (ك): قلباً.

(٧) في (ك): مجماً.

(٨) في (ك) و(أ): عنها.

(٩) في (ك): في الحي.

(١٠) في (هـ): منها.

السَّمْعَ وَرَدَّ بِالْمَنْعِ مِنْ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَأَلْفَ يَتَرِّ قُلُوبِهِمْ﴾^(١).

لَمَّا كَانَ الْجَمْعُ عَلَى تَشَاكُلٍ^(٢)، جُمِعَتْ قُلُوبُهُمْ عَلَى تَشَاكُلٍ^(٣)، فَبِمَا نَجَّبَهُ، وَتَنَازَعُ إِلَيْهِ، كَأَنَّ قَدْ أَلْفَتْ. وَمِنْهُ قِيلَ: هَذِهِ الْكَلِمَةُ تَأْتَلِفُ / ٧ / مَعَ هَذِهِ، وَلَا^(٤) تَأْتَلِفُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿إِلَّا مَنْ آمَنُ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٥).

أَي: سَلِيمٌ مِنَ الْفَسَادِ، وَالْمَعَاصِي. وَإِنَّمَا خَصَّ الْقَلْبَ بِالسَّلَامَةِ، لِأَنَّهُ إِذَا سَلِمَ الْقَلْبُ، سَلِمَ سَائِرُ الْجَوَارِحِ مِنَ الْفَسَادِ، مِنْ حَيْثُ أَنَّ الْفَسَادَ بِالْجَارِحَةِ، لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ قَصْدٍ بِالْقَلْبِ الْفَاسِدِ، فَإِذَا اجْتَمَعَ - مَعَ ذَلِكَ - جَهْلٌ، فَقَدْ عَدِمَ السَّلَامَةُ مِنْ وَجْهَيْنِ.

(١) الأنفال: ٦٣.

(٢) في (ك): تشاء كل:.

(٣) في (ك): تشاء كل.

(٤) في (ش): إلا.

(٥) الشعراء: ٨٩.

وقيل: سلامة القلب، سلامة الجوارح، لأنه يكون خالياً من الإصرارِ على الذنب.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي ﴾^(١).

ضيق الصدر يمنع^(٢) سلوك المعاني في النفس، لأنه يمنع منه، كما يمنع ضيق الطريق من السلوك فيه.

﴿ وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي ﴾ . أي: لا ينبعث بالكلام، وقد يتعدّد ذلك، لضيق الصدور، وغروب^(٣) المعاني التي تُطلب للكلام^(٤)
وقيل في قوله: ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾^(٥) . بمعنى: ضيق صدورهم، بالهم الذي حصل فيها.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ

(١) الشعراء: ١٣ .

(٢) العبارة في (ك): يمنع ضيقه من سلوك...

(٣) في (أ) و(ح): غروب . بالغين المعجمة بعدها راء مهملة.

(٤) في (هـ) و(أ): الكلام . من دون حرف الجرّ (اللام).

(٥) التوبة: ١١٨ .

قَسْوَةٌ^(١).

ظاهرة^(٢) يفيد^(٣) الشك^(٤) الذي لا يجوزُ على الله - تعالى - .

الجواب: إنَّ ﴿أَوْ﴾ - ههنا - للإباحة. يقال: جالس الحسن أو ابن سيرين.
والقَّ الفقهاء أو المحدثين.

أو دخلت للتفصيل، ويكون معناها: إن قلوبهم قست، فَمِنْهَا ما^(٥) هو كالحجارة في القسوة، ومنها ما هو أشد قسوة منها، نحو قوله: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾^(٦). وفي معناه: قَالَ بَعْضُهُمْ: كُونُوا هُودًا. وَهُمْ الْيَهُودُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَوْ نَصَارَى. وَهُمْ النَّصَارَى. وَمِثْلُهُ: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾^(٧).

أو دخلت على سبيل الإبهام، فيايرجعُ إلى المُخاطبِ، وإن كان الله - تعالى - عالماً بذلك، غيرَ شاكٍ فيهِ. والمعنى: أَنَّهُمَا كَأَحَدٍ هٰذِينَ، لا يخرجانِ عنهما،

(١) البقرة: ٧٤.

(٢) في (ش) و(هـ): ظاهراً. وفي (أ): وإنَّ ظاهراً. وفي (ح): ظاهرة.

(٣) في (ش) و(هـ) و(أ): ويُفيد. مع الواو.

(٤) في (ح): التشكيك.

(٥) في (أ): أمّا.

(٦) البقرة: ١٣٥.

(٧) الأعراف: ٤.

كقولهم^(١): مَا أَطْعِمُكَ إِلَّا حُلُوعًا أَوْ حَامِضًا. فَيَهْمُونَ عَلَى الْمُخَاطَبِ بِمَا^(٢)
يَعْلَمُونَ^(٣) أَنَّهُ لَا فَائِدَةَ فِي تَفْصِيلِهِ^(٤).

أو بمعنى «بَل»، نحو^(٥) قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾^(٦).
قالوا: كانوا مائة ألفٍ وبضعاً وأربعين ألفاً. وقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ
أَدْنَى﴾^(٧) [قال الشاعر^(٨)]:

فوالله لا أدري أسلمى تَعَوَّلْتُ أم البدرُ أم كلُّ إلى حيب^(٩)
أو بمعنى «الواو»، قوله^(١٠): ﴿أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
آبَائِكُمْ﴾^(١١). معناه: وَبُيُوتِ آبَائِكُمْ. وقوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِيُعْزِلَهُنَّ أَوْ

(١) في (هـ): كقولها.

(٢) في (ك): مَا.

(٣) في (ش) و(أ) و(ح): يعملون. بميم ثم لام.

(٤) في (ش): تفضيله. بالضاد المعجمة.

(٥) (نحو): ساقطة من (أ). وفي (ح): كقوله.

(٦) الصافات: ١٤٧.

(٧) النجم: ٩.

(٨) في (ش) و(أ): شاعر. وفي (ك): شعر.

(٩) معاني القرآن: ١: ٧٢، ٢: ٢٩٩، بلا عَزَوْ. أمالي المرتضى: ٢: ٥٦ بلا عَزَوْ، وفيه: أم النوم...

أيضاً: مع الهوامع: ٢: ١٣٣. الدرر اللوامع: ٢: ١٧٧.

(١٠) في (ك): نحو قوله. وفي (هـ) و(ح): كقوله.

(١١) النور: ٦١.

آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ ﴿١﴾ الآية. جرير^(٢):

نالَ الخلافةَ أو كانت له قدراً كما أتى رَبُّهُ موسى على قدرِ

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٣).

(الهاء) ^(٤) كناية عن القرآن، ومعناه: أقررناه في قلوبهم، ياخطاره بياهم، لتقوم^(٥) الحجَّة عليهم، والله لطفٌ يوصلُ به المعنى، والدليلُ إلى القلبِ، فمن ذكره، أدرك الحقَّ به، ومن أعرَضَ عنه، كان كمن عرف الحقَّ، وترك العملَ به، في لزومِ الحجَّةِ.

والفرقُ بين إدراكِ الحقِّ بسُلوكةِ في القلبِ، وبين إدراكه بالاضطرارِ إليه في القلبِ، أن الاضطرارَ إليه يُوجبُ الثَّقةَ به، فيكونُ صاحبه عالماً به. وأمَّا سُلوكةُ، فيكونُ مع الشكِّ فيه.

(١) النور: ٣١.

(٢) ديوان جرير: ١: ٤١٦ وفيه: «إذ كانت...» وقد أشار المحقق إلى الرواية المطابقة لِمَا وَرَدَ في كتابنا.

(٣) الشعراء: ٢٠٠.

(٤) في (ش) و(أ) و(ح) و(ط): إثنا.

(٥) في (ك) و(أ): ليقوم.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾^(١) إلى قوله: ﴿فِي الصُّدُورِ﴾^(٢).
 فيها دلالة على أن العقل، هو العلم، لأن معنى ﴿يَعْقِلُونَ بِهَا﴾: يعلمون
 بها، مدلول ما يرون من العبرة. وفيها دلالة على أن القلب، محلّ العقل، والعلوم،
 لأنه - تعالى - وصفها بأنها هي التي تعمي، وأنها التي تذهب عن إقرار الحق،
 فلولا أن الثيبين، يصحّ فيها، لما وصفها بأنها تعمي، كما لا يصحّ أن يصف اليد
 والرجل بذلك.

قوله^(٣) سبحانه^(٤): ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي
 الصُّدُورِ﴾^(٥). ردّ على من قال: إنّ العقل في الدماغ. والصحيح: أن محلّ العلم
 والعقل، القلب. لأنّ الشاك في الشيء^(٦)، يجد التغيير من جهة القلب، كما أنّ
 المرید، يجد التغيير^(٧) من جهته.

(١) الحج: ٤٦.

(٢) الحج: ٤٦.

(٣) في (ح): وفي قوله.

(٤) سبحانه) سقطت من (ح).

(٥) الحج: ٤٦.

(٦) في (ح): شيء. من دون (أل).

(٧) العبارة: «من جهة القلب... يجد التغيير» ساقطة من (أ).

قوله - سُبحَانَهُ - : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيُّتُمْ فِي أَغْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَغْيُنِهِمْ ﴾^(١).

أي: يتخيلونهم بأعينهم قليلاً من غير رؤية^(٢) على الصَّحَّةِ لِجَمِيعِهِمْ^(٣)، وذلك بَلُطْفِ^(٤) من الطَّافِيهِ - تعالى - ممَّا يُصَدُّ بِهِ عن الرُّؤْيَةِ من قَتَامٍ^(٥) يَسْتَرُ^(٦) بعضهم، ولا يستر^(٧) بعضاً آخر. قَالَ ابن مسعود^(٨): رأيناهم قليلاً، حتَّى قلتُ لِمَن كَانَ إلى جانبي: أتراهم سبعين رجلاً؟ فقال: هم نحو المائة. وكانوا ألفاً^(٩).

قوله - سُبحَانَهُ - : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتاً ﴾^(١٠).

السُّباتُ من صفاتِ النَّومِ، إذا وَقَعَ على بعضِ الوُجُوهِ. وهو النَّومُ الطَّوِيلُ

(١) الأنفال: ٤٤.

(٢) في (أ): يرونه.

(٣) في (أ): بجمعهم.

(٤) في (ك): لطف.

(٥) القتام: الغبار الكثيف الذي يضرب إلى سواد أو حمرة.

(٦) في (ش): يستتر.

(٧) (ستر): ساقطة من (ك).

(٨) جامع البيان: ١٠: ١٣ - ١٤. أيضاً مجمع البيان: ٢: ٥٤٧. الجامع لأحكام القرآن: ٨: ٢٢ - ٢٣.

(٩) (ألفاً): ساقطة من (أ).

(١٠) النِّبأ: ٩.

يقال لمن وُصِفَ بكثرة النَّوْمِ، أَنَّهُ مَسْبُوتٌ^(١)، وبِهِ سُباتٌ. ولا يقال ذلك في كلِّ نائمٍ. والسُّباتُ^(٢): الرَّاحَةُ والدَّعةُ، ومنهُ السَّبْتُ للفراغِ من الخلقِ.

قالت اليهودُ: ابتداءُ^(٣) الخلقِ يومُ الأحدِ، والفراغُ في يومِ السَّبْتِ.
وقال النَّصارى: بل كان يومَ الاثنينِ إلى السَّبْتِ، والفراغُ يومَ الأحدِ.
وقال المسلمونَ: بل كان في يومِ السَّبْتِ، والفراغُ في يومِ الخميسِ، وجُعِلتِ الجمعةُ عيداً.

وقيل: السَّبْتُ، القطعُ، والخلقُ.

فمعنى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتاً﴾. أي: ليس بموتٍ^(٤)، لأنَّ النَّائمِ قد يَعْتَقِدُ من علومِهِ، وقُصودِهِ، وأحوالِهِ، أشياء كثيرةً. واللهُ - تعالى - امتنَّ علينا بالنَّوْمِ المُضاهِي للموتِ، وليس بمُخْرِجٍ^(٥) عنِ^(٦) الحياةِ، والإدراكِ، فجعلَ التَّأكيدَ بذكرِ المصدرِ قائماً مقامَ نفيِ الموتِ.

ووجهُ آخرُ: أَنَّهُ جعلَ نَوْمَنَا مُمتدّاً لما في ذلك من المنفعةِ، والرَّاحةِ. والنَّوْمُ اليسيرُ لا يُكسِبُ شيئاً من الرَّاحةِ، بل يصحبهُ - في الأكثرِ - القلقُ، والانزعاجُ،

(١) في (أ): مسوت.

(٢) السُّبات.

(٣) في (ك): ابتداءً. بصيغة الماضي.

(٤) في (ك): يموت. بصيغة المضارع بياء مشاء من تحت.

(٥) في (ك): يخرج. بصيغة المضارع بياء مشاء من تحت.

(٦) في (ك): من.

والهجوم.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾^(١).

والقلبُ إذا زالَ عَنْ^(٢) موضعه، ماتَ صَاحِبُهُ.

المراد: إنَّهم جَبُّوا، ومن شأنِ الجبانِ عندَ الهولِ، أن يَنْتَفِخَ سَحْرُهُ^(٣). والرُّتَّةُ

إذا انْتَفَخَتْ رَفَعَتْ^(٤) القلبَ، وَهَضَّتْ بِهِ إلى نحوِ الحُنْجُرَةِ. ذِكْرُهُ الْفِرَاءُ^(٥)،

وَالكَلْبِيُّ، وأبو صالحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٦). وَالْقُلُوبُ تُوصَفُ بِالْوَجِيبِ فِي أَحْوَالِ

الْجَزَعِ [قال^(٧) الشاعِرُ^(٨)]:

كَأَنَّ قُلُوبَ أَذْلَانِهَا مَعْلَقَةٌ بِقُرُونِ الظُّبَاءِ^(٩)

(١) الأحزاب: ١٠.

(٢) في (ك): مِنْ.

(٣) في (ش) و(هـ) و(أ) و(ط): يَنْخَرُهُ. وَالشَّحْرُ: الرُّتَّةُ.

(٤) في (ك): دَفَعَتْ. بِالْإِدَالِ الْمَهْمَلَةِ.

(٥) معاني القرآن: ٢: ٣٣٦.

(٦) معاني القرآن: ٢: ٣٣٦.

(٧) ما بين المعقوفين زيادة من (ح).

(٨) تأويل مشكل القرآن: ١٧٢. تأويل مختلف الحديث: ٢٣٦ وَنَسَبَهُ إلى المَرَارِ. أسالي المرتضى: ١:

٣٢٨ بلاعزو. أساس البلاغة مادة (عفر) عَرَضًا: بلاعزو. والأدلاء: جمع دليل. والبيت في

وصف فلاة خيفة ثم انظر: شعراء أمويون: ٢: ٤٣٤ معزواً إلى المَرَارِ بن سعيد الفقعسي.

(٩) في (ك): أَذْلَانِهَا. بِالْإِدَالِ الْمَعْجَمَةِ وَالظُّبَاءُ بِدَلَاءٍ مِنَ الظُّبَاءِ.

ويكون^(١) المعنى: كادت القلوب من شدة الرعب، تبلغ الحناجر، فالغى ذكر «كادت» ليوضح الأمر فيها. ولفظة^(٢) «كادت» للمقاربة.



قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٣).

المعنى: مثل^(٤) واعظ الذي كفرُوا، والداعي هم إلى الإيمان، والطاعة، كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم، وهي لا تعقل معنى دعائه. إنما تسمع صوته، ولا تفهم غرضه.

ويجوز أن يقوم قوله مقام الداعي هم، كما تقول العرب: فلان يخافك خوف الأسد. وهذا المعنى مضاف إلى الأسد. قال الشاعر^(٥):

قَلَنْتُ مُسَلِّمًا مَا دُمْتُ حَيًّا على زيدٍ بتسليم الأمر^(٦)

(١) في (ح): أو يكون.

(٢) في (ح): لفظ.

(٣) البقرة: ١٧١.

(٤) (مثل) ساقطة من (أ).

(٥) في (ك): بيت. وهي ساقطة من (أ). وفي (ش) و(هـ): شعر.

(٦) معاني القرآن: ١: ١٠٠، ٢: ٤٠٤ بلا عزو. أمالي المرتضى: ١: ٢١٥ ولم ينسبه. شرح ديوان زهير

لأبي العباس ثعلب: ٣٤. التبيان في تفسير القرآن: ٢: ٦٢ بلا عزو أيضاً.

فَعَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْغَنَمِ الَّتِي ^(١) لَا تَفْهَمُ مَا أَرَادَ النَّاعِقُ. أَضَافَ
المَثَلَ الثَّانِيَّ إِلَى النَّاعِقِ، وَهُوَ فِي الْمَعْنَى مُضَافٌ إِلَى الْمَنْعُوقِ ^(٢) بِهِ.

تَقْوِيلٌ ^(٣) الْعَرَبُ: طَلَعَتِ الشُّعْرَى. أَي: نَجْمُهَا. وَانْتَصَبَ الْعَوْدُ عَلَى
الْحَرْبَاءِ. الْمَعْنَى: انْتَصَبَ الْحَرْبَاءُ عَلَى الْعَوْدِ. قَالَ ^(٤) [الراجز] ^(٥):

[وَيَلِدُ عَامِيَةً أَعْمَاؤُهُ] كَانَ لَوْنَ أَرْضِهِ سَهَاؤُهُ
أَرَادَ: كَانَ لَوْنَ سَهَائِهِ أَرْضُهُ. قَالَ أَبُو النَّجْمِ ^(٦):

قَبْلَ دُتُو النَّجْمِ مِنْ جُوزَائِهِ ^(٧)

وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَمَثَلُنَا. أَوْ مَثَلُهُمْ. وَمَثَلُكَ - يَا مُحَمَّدُ - كَمَثَلِ الَّذِي
يَنْعَقُ. أَي: مَثَلُهُمْ فِي الدُّعَاءِ وَالتَّنْبِيهِ، وَالْإِرْشَادِ، كَمَثَلِ ^(٨) النَّاعِقِ، وَالغَنَمِ ^(٩).
فَحَذَفَ المَثَلَ الثَّانِيَّ اِكْتِفَاءً بِالأَوَّلِ. مَثَلُ قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِلَ تَقِيكُمْ﴾

(١) فِي (ك) وَ(أ): الَّذِي.

(٢) (المنعوق به): مطموسة فِي (أ).

(٣) فِي (ح): وَتَقْوِيلٌ. مَعَ الْوَاوِ.

(٤) هُوَ رُؤْيَةُ بِنِ الْعَجَّاجِ. انظُرْ دِيْوَانَهُ: ٣، وَمِنْهُ صَدْرُ الْبَيْتِ.

(٥) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوقَتَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ (ح).

(٦) هُوَ أَبُو النَّجْمِ الْمَجَلِي. وَقَدْ أَخْلَى بِهَا دِيْوَانَهُ.

(٧) تَأْوِيلٌ مُشْكَلٌ الْفَرَّانُ: ١٩٦ مَعْرُوضاً إِلَى أَبِي النَّجْمِ. أَمْثَالِي الْمَرْتَضَى: ١: ٢١٦ مَعْرُوضاً إِلَيْهِ أَيْضاً.

(٨) فِي (أ): وَكَمَثَلِ.

(٩) فِي (ح): النَّاعِقُ فِي الْغَنَمِ وَالغَنَمِ.

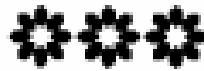
الْحَرِّ^(١). وأراد: الحرَّ^(٢) والبرْدَ. [قال] ^(٣) أبو ذؤيب^(٤): :

عصبتُ إليها القلبَ إني لأمرها مُطِيعٌ فما أدري: أرشدُ طلابها

أراد: أرشدُ أم غيٌّ؟

أو^(٥): مثلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي دُعَائِهِمْ^(٦) الْأَصْنَامَ، وَعِبَادَتِهِمْ لَهَا، كَمَثَلِ
الرَّاعِي الَّذِي يَنْعُقُ بَعْنَمِهِ، وَيُنَادِيهَا بِدَاءِهَا، وَدُعَاءِهَا، وَلَا تَفْهَمُ مَعْنَى كَلَامِهِ.

فشبهه مَنْ يَدْعُوهُ الْكُفَّارُ مِنَ الْمَعْبُودَاتِ بِالْغَنَمِ مِنْ حَيْثُ لَا تَعْقِلُ الْخَطَابَ،
/ ٩ / وَلَا تَفْهَمُهُ، وَلَا تَفْعَ عِنْدَهَا فِيهِ، وَلَا مَضْرَّةً.



(١) النحل: ٨١.

(٢) الحرّ ساقطة من (أ).

(٣) مابين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٤) هو أبو ذؤيب الهذلي. أنظر ديوان الهذليين: ق ١ : ٧١ وفيه:

عصاني إليها القلبُ إني لأمر وسامع ...

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): ومثل، مع الواو.

(٦) في (ش): إدعائهم.

فصل [- ٤ -]

[في الملائكة]

قوله - تعالى - : ﴿ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَاً لَفُضِيَ الأَمْرُ ﴾^(١).

[أي]^(٢) : لو أنزلنا ملكاً في صورته، لقامت السّاعة، ووجب استئصالهم. ثم قال: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا ﴾^(٣). أي: في صورة رجل، لأنّ أبصار البشر، لا تقدّر على النّظر إلى صورة ملك^(٤) على هيأته، للطف الملك، وقلة شعاع أبصارنا، ولذلك كان جبرئيل [- عليه السلام -]^(٥) يأتي النبي^(٦) - عليه السلام - في صورة دحية الكلبي. وكذلك^(٧) الملائكة الذين دخلوا على إبراهيم في صورة الأضياف، حتّى قدّم إليهم عجباً سويباً، لأنّه لم يعلم أنّهم ملائكة، وكذلك لَمَّا

(١) الأنعام: ٨.

(٢) زيادة من (هـ).

(٣) الأنعام: ٩.

(٤) في (ك): الملك.

(٥) ما بين المعرفتين زيادة من (ك).

(٦) (النبي) ساقطة من (أ).

(٧) في (ك): ولذلك.

تسور^(١) المحراب على داود الملكان، كأننا على صورة رجلين يختصمان إليه.



قوله - سبحانه - : ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ
وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ
الرَّاكِعِينَ﴾^(٢). الآية.

قال الجبائي^(٣): ظهور الملائكة لمريم، إنما كان معجزة لذكرياً - عليه السلام -
- لأن مريم، لم تكن نبيّة لقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحي
إِلَيْهِمْ﴾^(٤).

وقال ابن الإخشيد^(٥): كان ذلك إظهاراً لنبوة عيسى - عليه السلام - كما
كان ظهور الشهب، والغمامة، وغيرهما، معجزة النبي^(٦) - عليه السلام -
ويجوز - عندنا - أن يكون معجزة لها، وكرامة، وإن لم تكن نبيّة، لأن

(١) في (ك): تسوروا

(٢) آل عمران: ٤٢، ٤٣. وقد آثرنا كتابة الآيتين بتامهما. وفي النسخ جميعها: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ
يَا مَرْيَمُ...﴾.

(٣) مجمع البيان: ١: ٤٣٨. وفي التفسير الكبير: ٨: ٤٣ معزولاً إلى جمهور المعتزلة.

(٤) يوسف: ١٠٩. النحل: ٤٣. الأنبياء: ٧.

(٥) مجمع البيان: ٤٤٣.

(٦) في (ك) و(هـ) و(أ): وللنبي

إظهاراً^(١) المعجزات - عندنا - إنما تدلُّ على صدق من ظهرت على يده، سواءً كان نبياً، أو إماماً، أو صالحاً.

على أنه يحتمل أن يكون الله [- تعالى -] ^(٢) قال ذلك لمريم. وقد يقال: قال الله لها، وإن كان بواسطة، كما تقول: قال الله كذا، وكذا. وإن كان على لسان النبي - عليه السلام -.

قوله - سبحانه - : ﴿ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾^(٣).

إنما جاز أن تتصور الملائكة في صورة البشر، مع ما فيه من الإيهام^(٤)، لأنه قد اقترن به دلالة، وكان فيه مصلحة. فجرى مجرى السراب، الذي يُتخيل أنه ماء، من غير علم بأنه ماء.

قوله - سبحانه - : ﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾^(٥).

(١) (إظهار) ساقطة من (أ).

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك).

(٣) النجم: ١١.

(٤) في (ش) و(ك): الإيهام. بالباء الموحدة من تحت.

(٥) التحريم: ٦.

معناه: غِلَظٌ في الأخلاقِ، شِدَادٌ في القُوَى، وإن كانوا رِقَاقَ الأجسامِ، لأنَّ الظَّاهِرَ من حالِ المَلَكِ أَنَّهُ رُوحَانِيٌّ، فخرُوجُهُ عنِ الرُّوحَانِيَّةِ، كخرُوجِهِ عنِ صُورَةِ الملائكَةِ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾^(١)،
وقوله: ﴿ سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ. لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾^(٢).
قال جماعة: إنَّ الملائكَةَ كُلَّهُمْ^(٣)، رُسلُ الله.

وَقَالَ الرُّمَّانِيُّ في قوله: ﴿ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا ﴾^(٤): ظاهرُ الآيةِ يقتضي^(٥)
العمومَ، وعمومه^(٦) يقتضي أنَّهم لا يعصونه في صغيرة^(٧) ولا كبيرة^(٨).

(١) الأنبياء: ١٩.

(٢) الأنبياء: ٢٦، ٢٧.

(٣) العبارة: «كلهم رسل الله... جاعل الملائكة» ساقطة من (ك).

(٤) فاطر: ١.

(٥) في (ك): تقتضي. بالتون الموحدة من فوق.

(٦) في (هـ): عمومه. من دون واو.

(٧) في (ك) و(هـ) و(أ): صغير.

(٨) في (ك) و(هـ) و(أ): كبير.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ اللَّهُ يُضْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾^(١).

أدخل « مِنْ » للتَّبَعِيضِ، فدلَّ على أنَّ^(٢) جميعهم، لم يكوُّنوا أنبياء، كما أنَّه لما قال: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ ﴾، دلَّ على أنَّ جميع النَّاسِ، لم يكوُّنوا أنبياء.

وذهب أصحابنا إلى أنَّ فيهم رسلاً، وفيهم من ليس برسول، فلو كانوا - جميعاً - رسلاً، لكانوا - جميعاً - مصطفين، لأنَّ الرَّسُولَ لا يكونُ إلا مختاراً، مصطفى. كما قال: ﴿ وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾^(٣).

فالرُّسُلُ منهم، لا يجوزُ عليهم فعلُ القبيح، ولا دليلٌ على أنَّ جميعهم بهذه الصِّفة.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾^(٤). يدلُّ على زيادة

التَّشْبِيهِ في نفوسهم، أنَّه يعلمُ الغيبَ. وإنَّما قالوا ذلك لِمَا رَأَوْا [هـ]^(٥) من الجنِّ. أو قالوا استعظاماً لفعالهم. أو إنَّ الله كان قد أخبرهم. أو قالوا على وجه الإيجاب،

(١) الحج: ٧٥.

(٢) في (هـ): أنهم.

(٣) الدخان: ٣٢.

(٤) البقرة: ٣٠.

(٥) ما بين المعرفتين ساقطة من (ش) و(ح).

وإن خرج مخرَج^(١) الاستفهام. أو على وجه التوجُّع، والتألم.
وقيل: إنما سألوا على وجه التعريف، والاستفادة، وإنما أرادوا - بذلك -
غير الأنبياء، والمعصومين. وكأنته - تعالى - قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ
خَلِيفَةً^(٢)﴾، يكون له ولدٌ ونسلٌ، يفعلون كيت، وكيت، فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ
يُفْسِدُ فِيهَا﴾؟ يريدون^(٣) الولد.

ويحتمل أن / ١٠ / يكون قوله: ﴿مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ يريدون البعض، لا
الكل. كما يقال: بُتو شيانَ يقطعون الطريق. أي: بعضهم.

قوله - سبحانه - : ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا^(٤)﴾. يحتمل وجهين: - قال ابن^(٥)
عبّاس: تنزيهاً لله أن يكون أحد^(٦) يعلم الغيب.
والثاني: أنهم أرادوا أن يُخْرِجُوا الجوابَ مخرجَ التعظيمِ لله، فكأنهم قالوا:
تنزيهاً لك عن القبائح.

(١) في (أ): يخرج.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) في (أ): يريد.

(٤) البقرة: ٣٢.

(٥) جامع البيان: ١: ٢٠٢. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٧٨.

(٦) في (هـ): أحدأ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ كِرَاماً كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾^(١). أي: ملائكة لا يخفى عليهم شيء من الذي تفعلونه^(٢) فَيُثَبِّتُونَ ذَلِكَ كُلَّهُ.

وعلمهم بذلك: إمّا باضطرارٍ، كما تعلم أنه يقصدُ إلى خطائنا، وأمرنا، ونهينا. وإمّا باستدلالٍ، إذا رآوه، وقد ظهر منه الأمور التي لا تكون^(٣) إلا عن علم، وقصد، نحو ردِّ الوديعة، وقضاء الدين، والكيل، والوزن، ممّا يتعهد فيه أهلُ الحقوق.

قال الحسن^(٤): يعلمون ما تفعلون من الظاهر، دون الباطن.

وقيل: هو على ظاهر العموم، لأن الله، يعلمهم إياه.



قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾^(٥).

كلامٌ مجملٌ، لا يُعرَفُ ﴿ تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾، أحاداً، أم عشرات، أم مشوناً، أم

(١) الانفطار: ١١، ١٢.

(٢) في (هـ): يفعلونه. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) في (أ): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٤) جمع البيان: ٥ : ٤٥ بلفظه ومن دون نسبة إلى أحد. الجامع لأحكام القرآن: ١٩ : ٢٤٨ معروفاً

إلى الحسن.

(٥) المدثر: ٣٠.

ألف؟ وكذلك قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِينَ﴾^(١).

قال ابن عباس^(٢)، وقتادة^(٣)، والضحاك^(٤): عِدَّةُ الْمَلَائِكَةِ الْمُؤَكَّلِينَ بِالنَّارِ، فِي التَّوْرَةِ. وَالْإِنْجِيلِ، تِسْعَةَ عَشَرَ. فَكَانَ ذَكَرُ هَذَا الْعَدَدِ، تَصَدِيقاً لِلنَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾^(٥) أَي: خَزَنَةً.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ. فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾^(٦).

إِنَّمَا عُرِفَ انْتِفَاءُ الشَّهَوَاتِ عَنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ لَا يَأْكُلُونَ، وَلَا يَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَنَكَّحُونَ، وَلَا يَتَوَالَدُونَ، وَلَيْسَ لَهُمْ ذُرِّيَّةٌ بِالْإِجْمَاعِ، بِهَذِهِ الْآيَةِ.

(١) الحاقة: ١٧.

(٢) جامع البيان: ٢٩: ١٦١. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٨٨. الجامع الأحكام القرآن: ١٩: ٨٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) المدثر: ٣٠.

(٦) هود: ٦٩، ٧٠.

قوله - سُبحَانَهُ - : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾^(١). يَبَيِّنُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَجْبُولِينَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

قوله - سُبحَانَهُ - : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾^(٢).

إنَّهَا أُخْرَ ذَكَرَ جِبْرِيلَ، وَمِيكَالَ، مِنَ الْمَلَائِكَةِ، ذِكْرًا لِفَضْلِهِمَا، وَمَنْزِلَتَيْهِمَا، كَمَا قَالَ: ﴿ فِيهَا فَايَكُهُ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾^(٣)، وَكَقَوْلِهِ: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾^(٤).

أُولَئِكَ تَقَدَّمَ مِنْ قِصَّتِهَا قَبْلَهَا. وَهَذِهِ الْآيَةُ، نَزَلَتْ فِيهَا، وَفِيهَا جَرَى مِنْ ذِكْرِهِمَا.

ثُمَّ إِنَّ الْيَهُودَ لَمَّا قَالَتْ: إِنَّ جِبْرِيلَ عَدُوُّنَا، وَمِيكَالَ وَلِيُّنَا، خُصَّصَا بِالذِّكْرِ، لِثَلَا تَزْعُمُ الْيَهُودُ أَنَّ جِبْرِيلَ، وَمِيكَالَ، مَخْصُوصَانِ مِنْ جُمْلَةِ الْمَلَائِكَةِ، وَغَيْرُ دَاخِلِينَ فِي جُمْلَتِهِمْ، فَنَصَّ اللَّهُ عَلَيْهِمَا، لِإِبْطَالِ مَا يَتَأَوَّلُونَهُ مِنَ التَّخْصِيسِ.

(١) الأنبياء: ٢٩.

(٢) البقرة: ٩٨.

(٣) الرحمن: ٦٨.

(٤) آل عمران: ٤٨.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾^(١).

قال الحسن^(٢): هو مَلِكُ الْمَوْتِ، وأعوانه، وإثمهم لا يعلمونَ آجالَ العبادِ، حتى يأتِيهم^(٣) ذلك من قِبَلِ اللَّهِ، يقبضُ أرواحَ العبادِ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ ﴾^(٤).

قال المُحْصِلُونَ^(٥): إِنَّ مَلِكَ الْمَوْتِ، لا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا، لِأَنَّهُ جِسْمٌ، وَالْجِسْمُ لا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَمَاكِنِ الْكَثِيرَةِ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ. وَتَأَوَّلُوا هَذِهِ الْآيَةَ: أَنَّهُ أَرَادَ - بِمَلِكِ الْمَوْتِ - الْجِنْسَ دُونَ الشَّخْصِ^(٦) الْوَاحِدِ، كَمَا قَالَ: ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ﴾^(٧). أَرَادَ: جِنْسَ الْمَلَائِكَةِ.

(١) الأنعام: ٦١.

(٢) جامع البيان: ٧: ١٢٧ عن الحسن بن عبيدالله. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٣١٣ عن الحسن.

(٣) في (ش) و(ك) و(أ): تأتيهم. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٤) السجدة: ١١.

(٥) في (هـ): المحققون، وفي هامشها: المحصلون. وفي (أ): المخلصون.

(٦) في (ح): شخص واحد. من دون (أل) في اللفظتين.

(٧) الحاقة: ١٧.

قوله - سُبحَانَهُ - : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾^(١).

المعلقان كيف يُعلمان السحر؟ وكيف لا يراها إلا السحرة؟

ويُحمل «مَا» على الجحد، والنفي، فكأنه - تعالى - قال: ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾^(٢)، ولا^(٣) أنزل الله السحر على الملكين ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ ﴾^(٤). ويكون قوله: ﴿ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾، يعني رجلين من جملة الناس، هذان إسماهما، وإنما ذُكِرَا^(٥) بعد ذِكْرِ النَّاسِ، تَمَيِّزاً وَتَبْيِيناً، ويكون المَلَكَانِ المذكورانِ اللَّذَانِ تُنْفِي عَنْهُمَا السُّحْرَ جبريل وميكائيل، لأنَّ سحرة اليهود، ادَّعَتْ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ السُّحْرَ عَلَى لِسَانِ جبريل، وميكائيل إلى سليمان - عليه السلام - فأكذَّبَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ.

ويجوز أن يكون هاروت وماروت كَفَرَا.

وكان ابن^(٦) عَبَّاسٍ يَقْرَأُ: ﴿ وَمَا أَنْزَلَ / ١١ / عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ - بِكسْرِ اللَّامِ -

(١) البقرة: ١٠٢.

(٢) البقرة: ١٠٢.

(٣) في (ح): وما.

(٤) البقرة: ١٠٢.

(٥) في (هـ): ذكر. من دون ألف الاثنين.

(٦) جامع البيان: ١: ٤٥٩ معزوة إلى بعض القراء. أيضاً مجمع البيان: ١: ١٧٠ معزوة إلى ابن عباس

الجامع الأحكام القرآن: ٢: ٥٢.

ويقول: متى كان العِلْجَانِ مَلَكَيْنِ؟ إنَّهَا كَانَا مَلَكَيْنِ. وفيه جوابٌ، سَيَجِيءُ إن شاء الله تعالى.



فصل [- ٥ -]

[في الجنّ والشيطان]

قوله - تعالى - : ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾^(١).
يدلّ على أنّه لم يكن من الملائكة، لأنّ الجنّ، جنسٌ غيرُ الملائكة، كما أنّ
الإنس، غيرُ جنسِ الجنّ.

وقوله: ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾، استثناءٌ من غير جنسه، نحو قوله: ﴿ فَإِنَّهُمْ عَادُو لِي
إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢)، وقوله: ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾^(٣). ويكونُ
«إلا» بمعنى «لكن»، وتقديره: لكنّ إبليسَ أبى، واستكبر، وكان من الكافرين.

قوله - سبحانه - : ﴿ أَهْؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) الشعراء: ٧٧.

(٣) النساء: ١٥٧.

وَلَيْتُنَا مِنْ دُونِهِمْ ﴿١﴾.

قَالَ جَمَاعَةٌ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ مِنَ الْجِنِّ. فَلَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ لِقَوْلِهِمْ: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾^(١)، وَنَفَى عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ، مَعْنَى.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٢): كَانَ إِبْلِيسُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

وَقَالَ الطُّوسِيُّ^(٣): إِنَّ أَحْبَابَنَا تَدُلُّ^(٤) عَلَى أَنَّ إِبْلِيسَ، كَانَ مِنْ جَمَلَةِ الْمَلَائِكَةِ، وَإِنَّمَا كَفَرَ بِامْتِنَاعِهِ مِنَ السُّجُودِ.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ^(٥)، وَقَتَادَةُ^(٦) فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾^(٧) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾^(٨): عَنَى^(٩) بِالْإِلَهِ، إِبْلِيسَ، لِأَنَّهُ الَّذِي ادَّعَى الْإِلَهِيَّةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ دُونَ غَيْرِهِ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى

(١) سبأ: ٤٠، ٤١.

(٢) سبأ: ٤١.

(٣) جامع البيان: ١٥: ٢٦. الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٩٤.

(٤) التبيان في تفسير القرآن: ١: ١٥٠.

(٥) في (ك) و(أ): يدل. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) جامع البيان: ١٧: ١٧. الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٩٤.

(٧) جامع البيان: ١٧: ١٧. الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٩٤.

(٨) الأنبياء: ٢٦.

(٩) الأنبياء: ٢٩.

(١٠) في (هـ): عني. بالياء المثناة من تحت.

أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

وقيل: إِنَّهُ مِنْ طَائِفَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يَسْمُونَ جِنًّا مِنْ حَيْثُ كَانُوا خَزَنَةَ الْجَنَّةِ.

وقيل: سَمُّوا بِذَلِكَ لِاجْتِنَابِهِمْ عَنِ الْعِيُونِ، قَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ

نَسْبًا﴾^(١).

وَمَنْ رَاعَى هَذِهِ الطَّرِيقَةَ، قَالَ: مَنْ قَالَ: إِنَّ إِبْلِيسَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ، وَهُمْ

يَتَوَالَدُونَ، وَيَأْكُلُونَ، وَيَشْرَبُونَ، عَوَّلَ عَلَى خَيْرٍ غَيْرِ مَعْلُومٍ.

وهذا فاسدٌ، لَأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - أَثَبَتَ لَهُ الذُّرِّيَّةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَفْتَسَخِدُونَهُ

وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾^(٢).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

يَدُلُّ عَلَى بَطْلَانِ قَوْلٍ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ. وَإِنَّمَا جَازَ أَنْ يَأْمُرَهُ

بِالسُّجُودِ لَهُ، وَإِنْ لَمْ يَأْمُرَهُ بِالْعِبَادَةِ لَهُ، لَأَنَّ السُّجُودَ مُرْتَّبٌ فِي التَّعْظِيمِ، بِحَسَبِ

مَا يَرَادُ بِهِ.

(١) الصافات: ١٥٨.

(٢) الكهف: ٥٠.

(٣) البقرة: ٣٤.

قوله - سُبحَانَهُ - : ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾^(١)، وقوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٢).

وجه الشُّبُهَةِ الدَّاخِلَةِ على إبليس، أنَّ الفروعَ ترجعُ إلى الأصولِ، فتكونُ على قدرها في التَّكْبِيرِ، والتَّصْغِيرِ، فلَمَّا اعتقدَ أنَّ النَّارَ، أَكْرَمُ أصلًا من الطِّينِ، جاءَ منه أَنَّهُ أَكْرَمُ مِمَّنْ يَخْلُقُ من طِينٍ.

وذهبَ عليه - بجهله - أنَّ الجواهرَ كُلَّهَا مُتَمَاثِلَةٌ، وأنَّ اللهَ، يصرِّفُها بالأعراضِ، كيفَ شاءَ، معَ كرمِ جوهرِ الطِّينِ، وكثرةِ ما فيه من المنافعِ، التي تقاربُ منافعَ النَّارِ، أو تُوفي عليها.

قال الجبائي^(٣): الطِّينُ خَيْرٌ مِنَ النَّارِ، لِأَنَّهُ أَكْثَرُ مَنَافِعَ لِلخَلْقِ^(٤) من حيثُ أنَّ الأرضَ^(٥)، مستقرُّ الخلقِ، وفيها معاشُهُم، ومنها يخرجُ^(٦) أنواعُ أرزاقِهِم، لأنَّ الخَيْرِيَّةَ في الأرضِ، أو في النَّارِ: إِنَّمَا يُرَادُ بِهَا كَثْرَةُ المَنَافِعِ، دونَ كَثْرَةِ الثَّوَابِ.

(١) الإسراء: ٦١.

(٢) الأعراف: ١٢.

(٣) قول الجبائي هذا في مجمع البيان: ٣: ٤٠٢ بلفظه ومن دون عزو إليه.

(٤) في (أ): للحق.

(٥) في (ش): الأعراض.

(٦) في (هـ) و(ج): تخرج. بناء المضارعة المثناة من فوق.

قوله - سُبحَانَهُ - : ﴿لَا أُخْتِكُنْ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١). أي: لأقودتهم إلى المعاصي، كما تقادُ الدَّابَّةُ، بَحَنَكِهَا^(٢)، إذا شُدَّ فيها حَبْلٌ مُجْرِيهِ.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ : الَّذِينَ لَا يَتَّبِعُونَهُ. وَإِنَّمَا ظَنَّ إِبْلِيسُ هَذَا الظَّنَّ، بِأَنَّهُ يَغْوِي أَكْثَرَ الخَلْقِ، لِأَنَّ اللهَ، كَانَ قَدْ أَخْبَرَ المَلَائِكَةَ أَنَّهُ سَيَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يَفْسُدُ فِيهَا، فَكَانَ قَدْ عَلِمَ بِذَلِكَ.

وَقَالَ الحَسَنُ^(٣): لِأَنَّهُ وَسَّوسَ إِلَى آدَمَ، فَلَمْ يَجِدْ لَهُ عِزْمًا، فَقَالَ: بَنُو هَذَا، مِثْلُهُ فِي ضَعْفِ العِزْمَةِ.

وهذا مُعْتَرِضٌ، لِأَنَّ آدَمَ لَمْ يَفْعَلْ قِيحًا، وَلَمْ يَتْرِكْ وَاجِبًا.

قوله - سُبحَانَهُ - : ﴿لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾^(٤).

لم يقل: عَلَى وَجْهِ المُدَاخَلَةِ. وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ^(٥): وَلَمْ يَقُلْ: مِنْ فَوْقِهِمْ، لِأَنَّ

(١) الإسراء: ٦٢.

(٢) حنك الدابة: رسنها (المنجد: حنك).

(٣) جامع البيان: ١٥: ١٧. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٤٢٦. الجامع الأحكام القرآن. ١٠: ٢٨٧.

(٤) الأعراف: ١٧.

(٥) جامع البيان: ٨: ١٣٦. مجمع البيان: ٣: ٤٠٤.

رحمة الله تنزل عليهم من فوقهم، ولم يقل: من تحت أرجلهم، لأن الأتيان منه،
يوحش.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(١)، وَقَتَادَةُ^(٢)، وَإِبْرَاهِيمُ^(٣)، وَالْحَكَمُ^(٤)، وَالسُّدِّيُّ^(٥)، وَابْنُ
جُرَيْجٍ^(٦). أَي: مِنْ قِبَلِ دُنْيَاهُمْ، وَأَخْرَجْتَهُمْ، وَمِنْ جِهَةِ حَسَنَاتِهِمْ، وَسَيِّئَاتِهِمْ.
وَقَالَ مجاهدٌ^(٧): مِنْ حَيْثُ يُنْصَرُونَ.

وَقَالَ البلخي^(٨)، وأبو علي^(٩): مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، يُمَكِّنُ الاحْتِيَالَ بِهَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَلَا تُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١٠).

-
- (١) جامع البيان: ٨: ١٣٦. مجمع البيان: ٣: ٤٠٤. الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ٧٥.
(٢) جامع البيان: ٨: ١٣٦. مجمع البيان: ٣: ٤٠٤. الجامع لأحكام القرآن: ١٥: ٧٥.
(٣) جامع البيان: ٨: ١٣٦، التبيان في تفسير القرآن: ٤: ٣٦٤. عن إبراهيم بن الحكم.
(٤) جامع البيان: ٨: ١٣٦، أيضاً: التفسير الكبير: ١٤: ٤٠، الجامع لأحكام القرآن: ٧: ١٧٦ عن
الحكم بن عتيبة.
(٥) جامع البيان: ٨: ١٣٦، مجمع البيان: ٣: ٤٠٤. التفسير الكبير: ١٤: ٤٠.
(٦) جامع البيان: ٨: ١٣٦. مجمع البيان: ٣: ٤٠٤.
(٧) جامع البيان: ٨: ١٣٧. مجمع البيان: ٣: ٤٠٤. وفيه: من حيث لا يبصرون.
(٨) التبيان في تفسير القرآن: ٤: ٣٦٥.
(٩) مجمع البيان: ٣: ٤٠٤. وهو أبو علي الطبرسي صاحب المجمع.
(١٠) الحجر: ٣٩.

أي: لأخيبتهم من تناول الثواب. قَالَ الشَّاعِرُ^(١):

[فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ] وَمَنْ يَغْوِ لَا يَعْدُمُ عَلَى النَّبِيِّ لَانِهَا

ثُمَّ اسْتَنَى، وَقَالَ: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾^(٢) مَعَ حِرْصِهِ عَلَى

/ ١٢ / إغواء الجميع، مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ آيَسٌ مِنْهُمْ، وَعَلِمَ أَنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ مِنْهُ، وَأَنَّهُ

لَيْسَ لَهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ، إِلَّا بِالْإِغْوَاءِ. فَإِذَا عَلِمَ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَقْبَلُ مِنْهُ، صَرَفَهُ

عَنْ ذَلِكَ آيَاسُهُ مِنْهُ.

قَوْلُهُ - مُبْحَاثُهُ - : ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾^(٣)، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا كَانَ

لِي عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتَكُمْ فَأَسْتَجِبْتُمْ لِي﴾^(٤).

قَالَ الْجَبَّائِي^(٥): لَيْسَ لَهُ عَلَيْهِمْ قُدْرَةٌ عَلَى ضَرَرٍ^(٦)، وَنَفْعٍ، أَكْثَرُ مِنْ

(١) العين: ٢: ٢٣٨ بلا عزو. المفضليات: ٢٤٦ منسوباً إلى المرقش الأصغر. الزاهر: ٢: ٢٦٤ بلا

عزو. أمالي المرتضى: ١: ٣٦١ منسوباً إلى قعب الفزاري ومنها الشطر الأول. التبيان في تفسير

القرآن: ٢: ٣١٢ بلا عزو. المفردات في غريب القرآن: ٣٦٩ بلا عزو. الكشاف: ٣: ٢٦ معزواً

إلى المرقش.

(٢) الحجر: ٤٠.

(٣) سبأ: ٢١.

(٤) إبراهيم: ٢٢.

(٥) مجمع البيان: ٤: ٣١١ بلفظه من دون عزو إلى أحد. وكذلك: ٤: ٣٨٨.

(٦) في (ح): ضر.

الوشْوَسِيَّة، والدُّعَاءِ إِلَى الْفَسَادِ. فَأَمَّا عَلَى ضُرٍّ^(١)، فلا، لَأَنَّهُ خَلَقَ ضَعِيفٌ
مَتَخَلِّخُلٌ، لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِضْرَارِ بِغَيْرِهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَإِنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ
فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^(٢).

وذلك أنهم كانوا في الجاهليَّة، إذا سافروا في وادي^(٣)، نادوا للجن^(٤) نعوذ
بربِّ هذا الوادي، ثمَّ قالوا: احبس عنا سفهاءكم. فتقول الجنُّ: نحن لا نملكُ
لكم ضُرًّا ولا نفعًا، وهم يَقْرَعُونَ مِنَّا. فكانوا يجترئون على الإنسي، ويُرهِقُونَهُمْ،
ويجرقونهم^(٥).

وكَيْفَ يَتَسَلَّطُ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى نَفْعٍ، وَلَا ضُرٍّ؟ أَوْ كَيْفَ يَسَلْطُهُ [هـ]^(٦) اللهُ
عَلَى عِبِيدِهِ، لِيُضِلَّهُمْ عَنِ الْحَقِّ، ثُمَّ يَكْلِفُهُمْ؟ وَلَا يَجِيءُ مِنْهُ فِعْلٌ فِي غَيْرِ مَحَلِّ
الْقُدْرَةِ، وَإِنَّهُ جَسْمٌ شَفَافٌ، وَلَيْسَ مِنْهُ سِوَى إِرَادَةِ الْمَعَاصِي، وَتَزْيِينِ الشَّهَوَاتِ،

(١) العبارة في (هـ): على ضُرٍّ فلا، لا يقدر عليهم لأنه خلق...

(٢) الجن: ٦.

(٣) في (ح): وادي. بالتثوين.

(٤) في (ح): بالجن. مع حرف الجر (الباء).

(٥) في (هـ) و(أ): يجرقونهم.

(٦) ما بين المعرفتين ساقطة من (ش) و(ك) و(هـ) و(أ).

والدُّعاء إلى المنكرات.

قوله - سُبحَانَهُ - : ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾^(١)، وقوله: ﴿مِنْ شَرِّ
الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾^(٢).

وسواسُ الشَّيْطَانِ، دعاؤه إلى معصية الله، بِقَوْلِ خَفِيِّ، ويقارنُ دُعَاءَهُ^(٣)،
أَنَّهُ يُرِيدُ بِذَلِكَ تَفْعُهُ.

ويجوزُ أن يَصِلَ وسواسُهُ إلى قلبِ العبدِ بآلةٍ لطيفةٍ، ويجوزُ أن يكونَ إذا
تكلَّمَ بذلك في نفسه، أَعْلَمَنَاهُ اللهُ، كما لو تحدَّثَ إنسانٌ في نفسه، جازَ أن يَعْلَمَهُ
اللهُ. قَالَ رُوِيَّةُ^(٤):

وَسْوَسَ يَدْعُو - مُخْلِصًا - رَبَّ الْفَلَقِ

وَالْوَسْوَسَةُ تَكُونُ^(٥) مِنَ الْجِنِّ، وَالْإِنْسِ.

وَالشَّيْطَانُ. اسْمٌ لِكُلِّ بَعِيدٍ مِنَ الْخَيْرِ، قَوْلُهُ: ﴿شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾^(٦).

(١) طه: ١٢٠.

(٢) الناس: ٤، ٥.

(٣) في (ك): دعاؤه: بالرفع.

(٤) هو رُوِيَّةُ بن العجاج. انظر ديوانه: ١٨.

(٥) في (ك) و(أ): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) الأنعام: ١١٢.

ورأى^(١) النبي - عليه السلام - رجلاً يتبع حماماً في طيرانه فقال: «شيطانٌ يتبعُ شيطاناً».



قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ^(٢): ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣). الآية.

المعنى: إن إبليس حسن للمشركين أعمالهم، وحرّضهم على قتال محمد - صلى الله عليه وآله - وخروجهم من مكة، وقوى نفوسهم، وقال: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾^(٤). لأنهم خافوا بني كنانة مما كان بينهم، فأراد إبليس أن يسكن خوفهم ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾^(٥).

قال ابن عباس^(٦)، وقتادة^(٧)، والسدي^(٨)، وابن إسحاق^(٩): ظهر لهم في

(١) سنن ابن ماجة: ٢: ١٢٣٩.

(٢) (سبحانه): ساقطة من (هـ).

(٣) الأنفال: ٤٨.

(٤) الأنفال: ٤٨.

(٥) الأنفال: ٤٨.

(٦) جامع البيان: ١٠: ١٨، ١٩. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٥٤٩، الجامع لأحكام القرآن ٨: ٢٦.

(٧) جامع البيان: ١٠: ١٩.

(٨) جامع البيان: ١٠: ١٨؛ أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٥٤٩.

(٩) جامع البيان: ١٠: ١٩.

صورة سُرَاقَةَ بن مالك بن جُعشم الكِنَافِيَّ في جماعةٍ من جندهِ، وَقَالَ لهم: هذه كِنَانَةٌ^(١) قد أتكم بِجُنْدِهَا^(٢). فَلَمَّا رَأَى الملائكةَ نَكَصَ على عَقَبِيَّهِ. فَقَالَ الحارثُ ابنُ هشامٍ: إلى أينَ يا سُرَاقَةُ^(٣)؟ فقال: إنِّي أرى ما لا تَرَوْنَ. وهو قولُ أبي جعفر^(٤)، وأبي عبد الله^(٥) - عليهما السلام -^(٦).

وقيل: إنَّه رأى جبرئيلَ بين يدي النَّبِيِّ - عليه السلام -.

وَقَالَ أبو عليُّ الجبائِيُّ^(٧): حَوَّلَهُ اللهُ على صورةِ إنسانٍ عَلَمًا لِلنَّبِيِّ - عليه السلام -^(٨) فيما يُجَبَّرُ به.

وَقَالَ الحسنُ^(٩)، والبلخيُّ^(١٠): إنَّها هو يوسوسُ من غير أن يحولَ في صورةِ إنسانٍ.

(١) في (هـ): كناية. بياء مشاة من تحت بعد الألف.

(٢) في (ك) و(هـ) و(أ): بجند لها.

(٣) في (ك): ياسراق. مرثعا.

(٤) هو محمد بن علي الباقر (ع). مجمع البيان: ٢: ٥٤٩.

(٥) هو جعفر بن محمد الصادق (ع) مجمع البيان: ٢: ٥٤٩.

(٦) في (ك) و(هـ): عليه السلام.

(٧) مجمع البيان: ٢: ٥٤٩.

(٨) في (هـ): صلى الله عليه وآله.

(٩) مجمع البيان: ٢: ٥٤٩.

(١٠) مجمع البيان: ٢: ٥٤٩. وفي (أ): سقطت وار العطف.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾^(١) .
 ومما^(٢) جاء في الحديث^(٣) - مرفوعاً - : ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْسِهِ ﴾ .
 فالهمزات، دَفَعُهُمْ بِالْإِغْوَاءِ إِلَى الْمَعَاصِي . وَالْهَمْزُ^(٤) : شِدَّةُ الدَّفْعِ . وَمِنْهُ سُمِّيَتْ
 الهمزة للآلف، لَأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ أَقْصَى الْحَلْقِ ، بِاعْتِمَادٍ شَدِيدٍ .

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾^(٥) ،
 وقوله : ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ ﴾^(٦) .
 فَتَزَعُ الشَّيْطَانِ ، وَشَوَسَتْهُ ، وَدَعَاؤُهُ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَإِيقَاعِ الْعَدَاوَةِ بَيْنَ
 النَّاسِ .

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾^(٧) .

(١) المؤمنون: ٩٧ .

(٢) في (ك) و(أ): مَا .

(٣) سنن ابن ماجه: ١ : ٢٦٥، ٢٦٦ باختلاف في اللفظ يسير .

(٤) لسان العرب (همز) .

(٥) يوسف: ١٠٠ .

(٦) الأعراف: ٢٠٠ .

(٧) الأعراف: ٢٧ .

إفتانُ الشيطانِ، يكونُ بالدُّعاءِ إلى المعاصي من الجهة التي تميلُ إليها
النُّفوسُ، وتشتَّهها. وإنما جازَ أن يُنهي الإنسانُ بصيغة النهي للشيطانِ، لأنَّهُ^(١)
أبلغُ في التحذيرِ من حيثُ يقتضي^(٢) أنَّه^(٣) يطلِّبُنَا بالمكْرُوهِ، ويقصدُنَا بالعداوةِ.
فالنَّهيُّ له^(٤) يدخلُ فيه النهيُّ لنا عن تركِ التحذيرِ مِنْهُ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ إِنَّا يَا مُرْكُمِ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ ﴾^(٥).

الأمرُ من الشيطانِ، هو دعاؤه إلى الفعلِ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾^(٦).

إخبارٌ منه: أنَّ^(٧) إبليسَ، يعلمُ أنَّ اللهَ - تعالى - لا يجدُ أكثرَ خلقِهِ شاكرينَ.

(١) في (هـ): لا آتِه.

(٢) في (أ): يفتضي.

(٣) في (ك) و(هـ): أن.

(٤) (لُ) مطموسة في (أ).

(٥) البقرة: ١٦٩.

(٦) الأعراف: ١٧.

(٧) في (ك) و(هـ) و(أ): إخبارٌ من إبليسَ أنَّ اللهَ تعالى. وفي (ح): إخبارٌ من أن...

قال أبو علي^(١): يُمكنُ أَنَّهُ عِلْمُهُ مِنْ جِهَةِ الْمَلَائِكَةِ، بِإِخْبَارِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ.

وَقَالَ الْحَسَنُ^(٢): يَجُوزُ أَنَّهُ / ١٣ / أَخْبَرَ عَنْ ظَنِّهِ ذَلِكَ كَمَا قَالَ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُمْ^(٣)﴾، لِأَنَّهُ لَمَّا غَوَى آدَمَ، قَالَ: ذَرَيْتُهُ هَذَا أَوْعَفُّ. وَظَنَّ أَنَّهُمْ يَسْتَحْبُونَهُ^(٤)، وَيَتَابِعُونَهُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾^(٥).

قال أبو علي^(٦): إِنَّهَا عَلِمَ إِبْلِيسُ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَالَ لَهُ هَذَا الْقَوْلَ عَلَى لِسَانِ بَعْضِ الْمَلَائِكَةِ.

وَقَالَ ابْنُ رِقْبَةَ^(٧): إِنَّهُ رَأَى مَعْجَزَةً تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ.

(١) هو أبو علي الطبرسي: مجمع البيان: ٣: ٤٠٤.

(٢) مجمع البيان: ٣: ٤٠٤.

(٣) سبأ: ٢٠.

(٤) في (ك) و(هـ) و(أ): يُسَبِّحُونَهُ.

(٥) الأعراف: ١٣.

(٦) هو أبو علي الطبرسي: مجمع البيان: ٣: ٤٠٤.

(٧) لم أقف عليه.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾^(١).

قال الجبائي^(٢) : وصفَ كَيْدَهُ بِالضَّعْفِ . لِضَعْفِ قُوَّتِهِ لِأَوْلِيَائِهِ ، بِالِإِضَافَةِ

إِلَى نُصْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ .

وَقَالَ الْحَسَنُ^(٣) : أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ سَيَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ ، فَلِذَلِكَ كَانَ ضَعِيفًا .

ويقال : لضعفِ دَوَاعِي أَوْلِيَائِهِ إِلَى الْقِتَالِ ، بِأَنَّهَا مِنْ جِهَةِ الْبَاطِلِ ، إِذْ لَا تُصِيرُ

هُمْ ، وَإِنَّمَا يِقَاتِلُونَ بِمَا تَدْعُو إِلَيْهِ الشُّبُهَةُ ، وَالْمُؤْمِنُونَ يِقَاتِلُونَ بِمَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْحُجَّةُ .

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا ﴾^(٤).

قال الجبائي^(٥) : فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الصَّرْعَ ، لَيْسَ مِنْ قِبَلِ الشَّيْطَانِ ، لِأَنَّهُ

لَوْ أَمَكَّنَهُ أَنْ يَصْرَعَهُ ، لَكَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ .

وَأَجَازَ أَبُو الْهَدَيْلِ^(٦) ، وَابْنُ الْإِخْشِيدِ^(٧) ذَلِكَ ، وَقَالَ^(٨) : إِنَّهُ يَجْرِي مَجْرَى

(١) النساء: ٧٦ .

(٢) مجمع البيان: ٢ : ٧٦ .

(٣) مجمع البيان: ٢ : ٧٦ .

(٤) النحل: ٩٩ .

(٥) مجمع البيان: ١ : ٣٨٩ .

(٦) مجمع البيان: ١ : ٣٨٩ .

(٧) مجمع البيان: ١ : ٣٨٩ .

(٨) في النسخ جميعها: قال . بإسناد الفعل إلى المفرد الغائب . وما أثبتناه هو الموافق للسياق .

قوله: ﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^(١)، لأنَّ الله - تعالى - قال: ﴿إِنَّا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾^(٢). وإنَّما أراد به سلطانَ الإغواء، والإضلالِ عن الحقِّ.

قوله - سبحانه - : ﴿يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^(٣).

مثَلٌ عندَ الجبَّائيِّ^(٤) - لا حَقِيقَةَ لَهُ - على وجهِ التَّشْبِيهِ بحالٍ مَنْ تَغَلَّبَ عليه المُرَّةُ السُّوداءُ، فتضعفُ نفسُهُ، ويلجُّ الشَّيْطَانُ بإغوائِهِ عليه، فيقعُ عندَ تلكَ الحالِ، ويحصلُ به الصَّرْعُ من فعلِ الله. وتُسبَبُ إلى الشَّيْطَانِ مجازاً، لِمَا كَانَ عندَ وَسْوَئِهِ.

وكان أبو الهذيل^(٥)، وابنُ الإخشيديِّ^(٦)، يُجيزان^(٧) كَوْنَ الصَّرْعِ من فعلِ الشَّيْطَانِ في بعضِ النَّاسِ، دونَ بعضٍ، لأنَّ الظَّاهِرَ من القرآنِ يشهدُ به. وليسَ في العقلِ، ما يمنعُ منه.

(١) البقرة: ٢٧٥.

(٢) النحل: ١٠٠.

(٣) البقرة: ٢٧٥.

(٤) مجمع البيان: ١: ٣٨٩.

(٥) مجمع البيان: ١: ٣٨٩.

(٦) مجمع البيان: ١: ٢٨٩.

(٧) في (هـ): يجيزان. بالخاء المعجمة من فوق.

وَقَالَ الْجَبَّائِيُّ^(١): لَا يَجُورُ ذَلِكَ، لِأَنَّ الشَّيْطَانَ، خَلَقَ ضَعِيفٌ، لَمْ يُقَدِّرْهُ اللهُ عَلَى كَيْدِ الْبَشَرِ بِالْقَتْلِ، وَالتَّخْيِيطِ. وَلَوْ قَوِيَ عَلَى ذَلِكَ، لَقَتَلَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ، وَالدَّاعِينَ إِلَى الْخَيْرِ، لِأَنَّهم أَعْدَاؤُهُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَإِنِّي أَعْبُدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٢).
معناه: الاستعاذة من طعن الشيطان للطفل الذي يستهل صارخاً، فَوَقَاهَا^(٣) اللهُ - عَزَّوَجَلَّ - وولدها عيسى منه بِحِجَابٍ. كَمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ^(٤) عَنِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

وَقَالَ الْحَسَنُ^(٥): إِنَّهَا^(٦) اسْتَعَاذَتْ مِنْ إِغْوَاءِ الشَّيْطَانِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾^(٧).

(١) مجمع البيان: ٢: ٧٦.

(٢) آل عمران: ٣٦.

(٣) في (هـ): فَوَقَاهَا. بقافين بينهما الواو.

(٤) مجمع البيان: ١: ٤٣٥.

(٥) مجمع البيان: ١: ٤٣٥.

(٦) في (أ): إِنَّهَا.

(٧) الأعراف: ٢٧.

إنَّها كانوا يروننا، ولا نراهم، لأنَّ أبصارهم، أحدُّ من أبصارنا، وأكثرُ ضوءاً من أبصارنا، وأبصارنا قليلةُ الشُّعاعِ. ومع ذلك أجسامُهُم شَفَافَةٌ، وأجسامنا كثيفةٌ. فَصَحَّ أن يَرونا، ولا يَصحُّ منا أن نراهم، ولو تكثَّفوا، لصَحَّ منا - أيضاً - أن نراهم.

وَقَالَ أبو علي^(١): في الآية دلالةٌ على بطلانِ قولٍ من يقول: إنَّهُ يرى الجنَّ من حيثُ أن الله عمُّ الأَ نراهم. قَالَ: وإِنَّا يجوزُ أن يَروا في زمنِ الأنبياءِ، بأن يكثَّفَ^(٢) الله أجسامَهُم.

وَقَالَ أبو الهذيل^(٣)، وابن الإخشيد^(٤): يجوزُ أن يمكَّنهم أن يتكثَّفوا، فيراهم - حيثُ - من يختصُّ بخدمتهم. وهذا أقوى.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾^(٥)، ﴿وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾^(٦).

(١) أبو علي الطبرسي مؤلف مجمع البيان. انظر مجمع البيان: ٢: ٤٠٩.

(٢) في (ك): يكشف. بالشين المعجمة.

(٣) مجمع البيان: ٤٠٩.

(٤) مجمع البيان: ٢: ٤٠٩.

(٥) الأنبياء: ٨٢.

(٦) ص: ٣٨.

قال الجبائي^(١): كَثَّفَ اللهُ أجسامهم حتى تهباً لهم تلك الأعمال، مُعْجِزاً^(٢) لسليان. وقال^(٣): لأنهم كانوا يبنون له البنيان، ويغوصون في البحار، ويُخْرِجون ما فيها من اللؤلؤ، وذلك لا يتأتى مع رِقَّةٍ^(٤) أجسامهم.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً ﴾^(٥)، وقوله: ﴿ مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ﴾^(٦)، وقوله: ﴿ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ ﴾^(٧).
إنما جاز أن يقصدوا لإستراق السمع، مع علمهم بأنهم لا يصلون، وأنهم يُخْرِقُونَ بالشَّهْبِ، لأنهم - تارة - يَسْلَمُونَ إذا لم يكن - هناك - من الملائكة شيء، وتارة يهلكون كَرَاجِبِ الْبَحْرِ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾^(٨).

(١) مجمع البيان: ٢ : ٤١٠

(٢) في (ح): معجزة.

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ): قال. من دون واو العطف.

(٤) في (أ): دقة. بالذال المهملة.

(٥) الصافات: ٨، ٩.

(٦) الجن: ٩.

(٧) الحجر: ١٨.

(٨) الأنعام: ١٢٨.

قال الرَّجَّاحُ^(١)، والرُّمَّانِيُّ^(٢): وجهُ استمتاعِ الجنِّ بالإنسِ، أنَّهم إذا اعتقدوا أنَّ الإنسَ، يتعوذونَ بهم، ويعتقدونَ أنَّهم ينفعونهم، ويضرُّونهم، أو أنَّهم يقبلونَ منهم، إذا دَعَوْهُم، كانَ في ذلك تعظيمٌ لهم، وسرورٌ، ونفعٌ. ذَكَرَ ذلكَ.

/ ١٤ / وَقَالَ الْبَلْخِيُّ^(٣): وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: ﴿اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ مَقْصُورًا عَلَى الْإِنْسِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾^(٤)، يدلُّ على أنَّ فيهم مؤمنينَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿لَمْ يَطْمِئِنُّوا بِالْإِنْسِ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾^(٥).
في الآية دلالة على أنَّ للمؤمنين من الجنِّ أزواجاً من الحوَرِ.



(١) معاني القرآن وإعرابه: ٢: ٣٢٠.

(٢) مجمع البيان: ٢: ٣٦٥.

(٣) مجمع البيان: ٢: ٣٦٥.

(٤) الجن: ١، ٢. وفي (أ) تكملة الآية: ﴿وَلَكِنْ نَشْرِكُ بِرَبِّنَا أَحْدَاً﴾.

(٥) الرحمن: ٥٦، ٧٤.

فصل [- ٦ -]

[في تسبيح المخلوقات لله]

قوله - تعالى - : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾^(١)، وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٢).

لا يخلو^(٣) ذلك من: التَّسْبِيحِ الْمَسْمُوعِ، أو تسبيح مجهول، أو من جهة الدلالة.

ولا يجوزُ الأوَّلُ، لأنَّهُ جمادٌ. والفرقُ بينَ الجمادِ، وَالْحَيَوَانِ بِالنُّطْقِ. وَكَلَّوْا أَرَادَ ذَلِكَ، لَقَالَ: وَلَكِنْ لَا تَسْمَعُونَ تَسْبِيحَهُمْ. وَلَمْ يَقُلْ: ﴿ لَا تَفْقَهُونَ ﴾^(٤).
ولا يجوزُ الثَّانِي، لأنَّهُ تَثْبِيْتُ فسادِ ما لا يعقلُ. وسواءُ إثباتُ ما لا يعقلُ، ونفيه، لأنَّهما - في الدَّلَالَةِ وَالْجَوَازِ - سواءٌ في جميعِ الأبوابِ، فلم يبقَ إلَّا من جهةِ الدَّلَالَةِ.

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) التور: ٤١.

(٣) العبارة في (هـ) مصححة على النحو الآتي: لا يخلو ذلك إما أن يكون من التَّسْبِيحِ...

(٤) الإسراء: ٤٤.

ولا خلاف في أن جميع المخلوقات، تُسَبَّحُ^(١) الله بالدلالة على أن لها صانعاً. ومن عادة العرب، أن تجعل الدلالة قولاً، ونطقاً، وكلاماً وإشارةً. والتَّسْبِيحُ: هو التَّقْدِيسُ عملاً لا يجوزُ عليه في صفاته، ولم يزل الله مقدساً، منزهاً، قبل خلقه، فمن كان من العقلاء، عارفاً به، فتسبيحه لفظاً، ومعنى. وما ليس بعاقل من الحيوان والجماد، فتسبيحه ما فيه من الأدلة على وحدانيته، وتنزيهه عملاً لا يليقُ به.

ورجوعُ التَّقْدِيسِ إلى ما لا يعقل، ككُفْرِ الكافر، يعودُ نقصه إليه من غير أن يضرَّ الله منه شيءٌ. وكذلك قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾^(٢)، ﴿وَتُسَبَّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾^(٣)، ﴿يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾^(٤). فيكونُ معناه: أي^(٥): يَسْبُحُ أهلها، كَقَوْلِهِ: ﴿وَسَبَّحِلِ اللَّيْلِ﴾^(٦).

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحِطُ بِهِ﴾^(٧) الآية.

(١) في (أ): يسبح، بياض المضارعة المثناة من تحت.

(٢) الحديد: ١، الحشر: ١، الصف: ١.

(٣) الرعد: ١٣.

(٤) سبأ: ١٠.

(٥) (أي) سقطت من (ح).

(٦) يوسف: ٨٢.

(٧) النحل: ٢٢.

وقوله: ﴿قَبِئَتْ أُولَئِكَ فِي أَعْيُنِ اللَّهِ وَخَالَتْهُمُ أَعْيُنُ اللَّهِ وَأَشْرَفُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجَنَّةِ وَالْجَنَّةِ وَالْجَنَّةِ وَالْجَنَّةِ﴾^(١)،
وقوله: ﴿قَالَتْ تَمَلَّكُ﴾^(٢).

قال أبو علي^(٣): لا يمتنع أن يكون الله خلقاً في هذه الحيوانات من المعارف ما تفهم به الأمر، والنهي، والطاعة، فيما يراؤ منها، والوعيد على ما خالفت، وإن لم تكن كاملة العقل، مكلفة، وأنها تُحِبُّ - بذلك - كما يُحِبُّ مراهقو صبياننا، لأنه لا تكليف إلا على الملائكة، والإنس، والجن.

وَقَالَ الطُّوسِيُّ^(٤): هذا خلاف الظاهر، لأن الاحتجاج الذي حكاه عن الهدهد، احتجاج عارف بالله، وبما يجوز عليه، وما لا يجوز. قوله: ﴿وَجَدْتُمَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٥)، ثم قال: ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ﴾^(٦)، ثم^(٧) قال: ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾^(٨)، ثم قال: ﴿فَهُمْ لَا

(١) المائدة: ٣١.

(٢) ص: ١٩.

(٣) النمل: ١٨.

(٤) هو الطبرسي صاحب مجمع البيان. انظر مجمع البيان: ٤: ٣١٨.

(٥) التبيان في تفسير القرآن: ٨: ٧٩.

(٦) النمل: ٢٤.

(٧) النمل: ٢٤.

(٨) (ثم قال): ساقطة من (أ).

(٩) النمل: ٢٤.

يَهْتَدُونَ^(١)، ثُمَّ قَالَ: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ. اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(٢).

والمراد^(٣) بقوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾^(٤)، أي: إنَّه ظهرَ منها دلالةُ القولِ لباقي النملِ على التَّخْويفِ من الضَّررِ بالمقامِ، وإنَّ النَّجَاةَ في الهربِ إلى مساكنِها. ويكونُ^(٥) إضافةُ القولِ إليها مجازاً، واستعارةُ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ^(٦) في الفَرَسِ:

[وَأَزَوَّرَ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا بِلَبَانِهِ] وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحْمُحُمِ^(٧)

أو أنَّه وقعَ من النَّملةِ كلامٌ ذو حروفٍ منظومةٍ^(٨)، يتضمَّنُ^(٩) للمعاني المذكورةِ، مثلَ ما يقعُ^(١٠) من المجنونِ، والصَّبيِّ، مع زوالِ التَّكْلِيفِ، والكمالِ

(١) النمل: ٢٤.

(٢) النمل: ٢٥، ٢٦.

(٣) في (ح): أو المراد.

(٤) النمل: ١٨.

(٥) في (ح): تكون. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٦) هو عنتر بن شداد العبسي.

(٧) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ٣٦٠. شرح القصائد التسع المشهورات: ٢: ٥٣٠.

شرح القصائد العشر: ٢١١. ومنها صدر البيت.

(٨) في (هـ): منظومة. بالضاد المعجمة. وفي (ا): مقطوعة.

(٩) في (هـ): تتضمَّن. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(١٠) في (ش) و(ح): وقع.

عنهم، وذلك يكون معجزاً لسليمان - عليه السلام -^(١).

وَقَالُوا: ^(٢) هو مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ عَلَى لِسَانِ النَّمْلَةِ، لِأَمْرِ أَرَادَهُ، لِأَنَّهُ ﴿لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾^(٣)، لِأَنَّهُ كَمَا كَانَ عَاقِبَةُ^(٤) النَّعْمِ أَنْ سَلِيَانَ، إِنْ مَرَّ عَلَيْهِ، حَطَمَهُ.

وَقِيلَ: «النَّمْلُ» اسْمُ رَجُلٍ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، كَمَا نَسَمِيَ^(٥) بِضَبِّ^(٦). وَكَلِبٍ وَالْمَرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾^(٧)، أَلْهَمَهُ، كَمَا قَالَ: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾^(٨).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾^(٩).

(١) (عليه السلام) سقطت من (ح).

(٢) في (ح): وقيل.

(٣) البقرة: ٢٦.

(٤) في (هـ): من عاقبة.

(٥) في (ح): يُسَمَّى. بياء المضارعة المثناة من تحت وبصيغة المبني للمجهول.

(٦) في (ك): نصب بنون موحدة من فوق بعدها صاد مهملة.

(٧) المائدة: ٣١.

(٨) النحل: ٦٨.

(٩) التور: ٤١.

قال مجاهد^(١): الصَّلَاةُ لِلإِنسَانِ، وَالتَّسْبِيحُ لِكُلِّ شَيْءٍ. وَالصَّلَاةُ: الدُّعَاءُ. وَالدُّعَاءُ إِنَّمَا يَكُونُ لَطَلْبٍ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ. وَالتَّسْبِيحُ هُوَ التَّبْعِيدُ^(٢) مِمَّا لَا يَسْتَحِقُّهُ. فَأَرَادَ أَنْ كَلَّمَ مِنَ الطَّيْرِ قَدْ عَلِمَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَيَطْلُبُهُ وَيَدْعُوهُ، وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ الإِجْتِنَابُ مِنْ مِضَارِهِ، وَلَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ لَهَا إِشَارَاتٌ، وَأَسْبَابٌ، وَتَفْهِيمٌ، يَفْهَمُ^(٣) بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، وَذَلِكَ مَنطِقُهُمْ.

قوله - سُبحَانَهُ - : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ / ١٥ / لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ ﴾^(٤) الآية.

وقوله : ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾^(٥).

معنى السجود: الذلُّ، والتواضعُ، تسخيراً للخالق. قال سويد بن أبي كاهل^(٦):

سَاجِدُ المِنخَرِ لَا يَرْفَعُهُ
خَاشِعُ الطَّرْفِ أَصَمُّ المُسْتَمِعِ

(١) جامع البيان: ١٨: ١٥٢. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ١٤٨.

(٢) العبارة: «التبديد مما لا... يحتاج إليه» مكررة في (أ).

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ): بفهم. بالباء الموحدة من تحت وبصيغة المصدر.

(٤) الحج: ١٨.

(٥) الرحمن: ٦.

(٦) ديوان سويد بن أبي كاهل البشكري: ٢٤.

وَقَالَ أُمِيَّةٌ^(١):

هُوَ الَّذِي سَحَّرَ الْأَرْوَاحَ يَنْشُرُهَا وَيَسْجُدُ النُّجْمُ لِلرَّحْمَنِ وَالشَّجَرُ^(٢)
وَقَالَ الطُّوسِيُّ^(٣): سَجُودُهُمَا، مَا فِيهَا مِنَ الْآيَةِ الدَّالَّةِ عَلَى حُدُوثِهَا، وَعَلَى
وَجُوبِ الْخُضُوعِ لِلَّهِ، وَالتَّذَلُّلِ لَهُ، لِمَا خَلَقَ فِيهَا مِنَ الْأَقْوَاتِ الْمَخْتَلِفَةِ فِي^(٤)
النَّبَاتِ وَالشَّارِ. فَلَا شَيْءَ أَدْعَى إِلَى الْخُضُوعِ، وَالْعِبَادَةِ لِمَنْ أَنْعَمَ بِهِذِهِ النُّعْمَةَ
الْجَلِيلَةَ، مِمَّا فِيهِ.

وَقَالَ مجاهدٌ^(٥)، وابنُ جبيرٍ^(٦): سَجُودُهُمَا، ظِلَاهُمَا الَّذِي يُلْقِيَانِهَا بِكَرَّةٍ،
وَعَشِيًّا. فَكُلُّ جَسْمٍ لَهُ ظِلٌّ فَهُوَ يَقْتَضِي الْخُضُوعَ، بِمَا فِيهِ مِنْ دَلِيلٍ^(٧) الْحَدُوثِ.
وَقَالَ الحسنُ^(٨)، وقتادة^(٩)، وابنُ زيدٍ^(١٠): إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْجُدُ لِلَّهِ طَوْعًا،

(١) هو أمية بن أبي الصلت.

(٢) أخل به ديوانه المطبوع.

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ٩: ٤٦٤.

(٤) في (ك) و(هـ): وفي مع الواو.

(٥) جامع البيان: ٢٧: ١٢٨، التبيان في تفسير القرآن: ٧: ٣٠٢، الدر المشور: ٦: ١٧، الجامع

لأحكام القرآن: ١٧: ١٥٤.

(٦) جامع البيان: ٢٧: ١١٧، أيضاً: مجمع البيان: ٥: ١٩٨.

(٧) في (هـ): قالوا.

(٨) جامع البيان: ٢٧: ١١٨، التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٢٣٤.

(٩) جامع البيان: ٢٧: ١١٨، التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٢٣٤.

(١٠) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٢٣٤.

والكافر كَرِهًا. يعني: بالسَّيفِ.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ^(١): سَجُودُ الْكَرِهِ، بِالتَّذْلِيلِ، وَالتَّصْرِيفِ^(٢) مِنْ عَافِيَةٍ إِلَى مَرَضٍ، وَمِنْ غِنَى إِلَى فَقْرٍ، وَمِنْ حَيَاةٍ إِلَى مَوْتٍ.

وَقَالَ الرَّجَاجُ^(٣): الْمَعْنَى: إِنَّ فِيمَنْ يَسْجُدُ لِلَّهِ، مَنْ يَسْهُلُ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَفِيهِمْ مَنْ يَشْقُ عَلَيْهِ، فَيَكْرَهُهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾^(٤).

وَقِيلَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْجُدُ لِلَّهِ طَوْعًا، وَالْكَافِرَ فِي حَكْمِ السَّاجِدِ كُرْهًا، بِمَا فِيهِ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَالذُّلَّةِ الَّتِي تَدْعُو إِلَى الْخُضُوعِ لِلَّهِ - تَعَالَى -.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾^(٥) الْآيَةَ.

يَدُلُّ^(٦) عَلَى بُطْلَانِ قَوْلِ الطَّبَائِعِيِّ: إِنَّ الْمَاءَ الْوَاحِدَ، وَالتُّرْبَةَ الْوَاحِدَةَ، يُخْرِجُ

(١) هو الطبرسي: مجمع البيان: ٥: ١٩٨. ونقله الطوسي في التبيان: ٦: ٢٣٤ عن أبي علي الجبائي.

(٢) في (ك) و(ح): للتصريف. ويسقوط (الواو) وفي (أ): يسقوط الواو فقط.

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ٢٣٤.

(٤) الأحقاف: ١٥.

(٥) الأنعام: ٩٩.

(٦) في (ش) و(أ): تدل. بناء المضارعة المثناة من فوق.

الله منها ثماراً مختلفة، وأشجاراً متباينة، واختلافها يدلُّ على بطلان قولهم.

قوله - سبحانه - : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ ﴾^(١).

وجه الدلالة من ذلك: أن^(٢) المُجْرِي لها بالرياح، هو القادر الذي لا يعجز أن يُرسلها في الوجوه التي يُريدون السير فيها. ولو اجتمع جميع الخلق أن يُجروا^(٣) الفلَّك في بعض الجهات، مخالفاً لجهة الرياح لما قدروا عليه.

ودخل ابن ميثم على الحسن بن سهل، وإلى جنبه ملحد، قد عظمه^(٤) الناس. فقال له: قد رأيتُ بياك عجباً!! قال: وما هو؟

قال: رأيتُ سفينةً تعبرُ الناسَ من جانبٍ إلى جانبٍ، بلا ملاح، ولا ماخِر^(٥)!!

فقال الملحد: إن هذا - أصلحك الله - لمجنون.

(١) لقمان: ٣١.

(٢) (أَنْ) ساقطة من (أ).

(٣) في (هـ): يجبروا.

(٤) في (أ): عظمت.

(٥) في (ش) و(ك) و(أ) و(ط): ناير. وفي (ح): ماحر. بالحاء المهملة.

قال: وكيف ذلك^(١)؟

قال: خشبٌ جمادٍ، لا حياة له، ولا قوًى، ولا عقل، كيف يعبرُ بالناسِ؟

قال ابنُ مَيْمُونٍ: فأثماً^(٢) أعجبُ: هذا، أو هذا^(٣) الماءُ الجاري، يجري على وجهِ الأرضِ يمنةً، ويسرةً، بلا روحٍ، ولا حياةٍ، ولا قوًى، وهذا النباتُ الذي يخرجُ من الأرضِ، وهذا المطرُ الذي ينزلُ من السماءِ؟ تزعمُ أن لا مدبرَ لها كلها، وتُنكِرُ أن تكون سفينةٌ تحركُ^(٤) بلا مدبرٍ، وتُعبِّرُ الناسَ؟

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿هُوَ الَّذِي يُسَبِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(٥).

نَسَبَهُ إِلَى نَفْسِهِ، أَمَا فِي الْبَحْرِ، فَلِأَنَّهُ بِالرِّيحِ، وَاللَّهُ الْمَحْرُكُ لَهَا دُونَ غَيْرِهِ، وَأَمَا فِي الْبَرِّ، فَلِأَنَّهُ كَانَ بِاِقْتِدَارِهِ، وَتَمَكِينِهِ، وَتَسْبِيهِ.

وَقَالَ رَجُلٌ^(٦) لِلصَّادِقِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : مَا الدَّلِيلُ عَلَى اللَّهِ؟ وَلَا تَذَكُرُ^(٧) لِي

(١) في (هـ): ذلك.

(٢) في (أ): فأثماً.

(٣) في (ش): وهذا.

(٤) في (ك): يحرك. وفي (ح): تتحرك.

(٥) يونس: ٢٢.

(٦) معاني الأخبار: ٥. باختلاف في اللفظ يسير.

(٧) في (ك): تذكر. بتشديد الكاف.

العالم، الجوهر، والعرض.

فقال - عليه السلام - هل ركبت في البحر؟ قال: نعم.

قَالَ: فَهَلْ عَصَفْتَ بِكُمْ الرِّيحُ حَتَّى خَفْتُمُ الْغَرَقَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَهَلْ انْقَطَعَ رِجَاؤُكَ مِنَ الْمَرْكَبِ وَالْمَلَّاحِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَهَلْ تَتَّبَعْتَ نَفْسَكَ أَنْ تَمَّ مِنْ يُنَجِّيكَ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ - تعالى - (١). قَالَ تَعَالَى (٢): ﴿ تَمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ

تَجْتَرُونَ ﴾ (٣).

قَوْلُهُ - سُبحَانَهُ - : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا ﴾ (٤).

وَلَمْ يَقُلْ : كُلُّ مَا عَلَيْهَا ، فَيَدْخُلُ (٥) فِيهَا الْحَيَاتُ وَالْعِقَابُ (٦) ،

وَنَحْوَهَا.

(١) (تعالى) سقطت من (ك) و(ح).

(٢) (قال تعالى) سقطت من (هـ).

(٣) النحل: ٥٣.

(٤) الكهف: ٧.

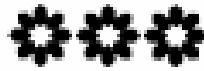
(٥) في (هـ): فتدخل. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٦) في (أ): العقاب.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(١)، وَابْنُ زَهْرَةَ^(٢): «لَهَا»، كَأَنَّهُ يَشِيرُ إِلَى النَّبَاتِ خَاصَّةً.

ويقال: من النَّبَاتِ وَالذَّوَابِّ، لِأَنَّهَا^(٣) تَدُلُّ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ

أَقْسَمَ بِالْتِّينِ وَالزَّيْتُونِ^(٤)، وَالشَّمْسِ^(٥) وَالْقَمَرِ^(٦)، وَالطُّورِ^(٧) وَالذَّارِيَاتِ ؟



(١) مجمع البيان: ٣: ٤٥. من دون نسبة إلى أحد.

(٢) في (ح): الزهري.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): لَأَنَّ

(٤) التين: ١.

(٥) الشمس: ١.

(٦) القمر: ٢.

(٧) الطور: ١.

فصل [- ٧ -]

[في قدرة الله]

قوله - تعالى - : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾^(١).

أي: من قدرَ على أن يجعلَ في الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ - الَّذِي هُوَ فِي غَايَةِ الرُّطُوبَةِ - نَارًا حَامِيَةً، مَعَ تَضَادِّ النَّارِ لِلرُّطُوبَةِ، أَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِعَادَةِ؟

ثُمَّ قَالَ: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾^(٢)

لأنَّ مِنْ شَأْنِ الْقَادِرِ عَلَى الشَّيْءِ أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَى جِنْسٍ مِثْلِهِ، وَجِنْسٍ ضِدِّهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ. أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ

(١) يس: ٨٠.

(٢) يس: ٨١.

نَحْنُ الْمُنشِئُونَ»^(١).

لا يدلُّ على أنَّه^(٢) نارُ الشَّجَرِ^(٣)، إِلَّا مِنْ قَادِرٍ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الطَّبْعَ غَيْرَ مَعْقُولٍ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ تُسْتَدَّ^(٤) إِلَيْهِ الْأَفْعَالُ. وَلَوْ جَازَ ذَلِكَ، لَجَازَ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِ اللَّهِ. وَلَوْ كَانَ الطَّبْعُ مَعْقُولاً، لَكَانَ ذَلِكَ الطَّبْعُ، لِأَبَدٍ أَنْ يَكُونَ فِي الشَّجَرِ. وَاللَّهُ الَّذِي أَنْشَأَ الشَّجَرَةَ^(٥). وَمَا فِيهَا. فَقَدْ رَجَعَ إِلَى قَادِرٍ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ بِوِاسِطَةٍ. وَلَوْ جَازَ أَنْ تَكُونَ النَّارُ مِنْ غَيْرِ قَادِرٍ عَلَيْهَا، لَجَازَ أَنْ يَكُونَ مِنْ عَاجِزٍ، وَلَوْ جَازَ ذَلِكَ، لَجَازَ وَقُوعُ الْفَعْلِ مِمَّنْ لَيْسَ بِقَادِرٍ عَلَيْهِ مَنًّا.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾^(٦).

قال الحسن^(٧): خَوْفًا مِنَ الصَّوَاعِقِ الَّتِي تَكُونُ مَعَ الْبَرْقِ، وَطَمَعًا فِي الْغَيْثِ، الَّذِي يُزِيلُ الْجَدَبَ، وَالْقَحْطَ.

(١) الواقعة: ٧١، ٧٢.

(٢) في (ح): أَنْ.

(٣) في (هـ): لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ نَارَ الشَّجَرِ. وَفِي هَامِشِهَا: لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّارَ مِنَ الشَّجَرِ.

(٤) في (ش): تَسْتَيْد.

(٥) في (ح): الشَّجَرِ. بِصِيغَةِ الْجَمْعِ.

(٦) الرُّعْد: ١٢.

(٧) مجمع البيان: ٣: ٢٨٢.

وَقَالَ قَتَادَةُ^(١): خَوْفًا لِلْمَسَافِرِ مِنْ أَذَاهُ، وَطَمَعًا لِلْمَقِيمِ فِي الرِّزْقِ بِهِ.
وَقَالَ مجاهد^(٢): ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ﴾^(٣)، المعنى: إِنَّ السَّحَابَ ثَقَالٌ
بِالماءِ.

وقيل: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: ليخافوا من عذابه بالنَّارِ، ويطمعونَ في أن
يتعقَّبَ ذلكَ مطرًا، يتنفعونَ به.



قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ
الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾^(٥).

إنَّما جمع بينها، لما فيها من التَّسْوِيَةِ، فالكتابُ يتضمَّنُ عِلْمَ السَّنَنِ الْمَسْوِيِّ
بَيْنَ الشَّرِيفِ، وَالْمَشْرُوفِ. وَالْمِيزَانُ يُخْرِجُ تِلْكَ السَّنَنَ إِلَى الْعَمَلِ. وَأَمَّا السَّمَاءُ، فَلَمَّا
فِيهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ، وَغَيْرِهَا، مَسِيَّبًا لِإِضْلَاحِ الْعَالَمِ.
وَأَمَّا قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾^(٦)، خَصَّ
الْمَوْزُونَ دُونَ الْمَكِيلِ بِالذِّكْرِ، لِأَنَّ غَايَةَ الْمَكِيلِ تَنْتَهِي إِلَى الْوِزْنِ، فَكَانَ الْوِزْنُ

(١) جامع البيان: ١٣: ١٢٣. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٢٨٣.

(٢) جامع البيان: ٣: ١٢٤.

(٣) الرُّعْد: ١٢.

(٤) الرحمن: ٧.

(٥) الحديد: ٢٥.

(٦) الحجر: ١٩.

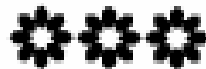
أَعَمَّ مِنَ الْكَيْلِ^(١). ثُمَّ إِنَّهُ - تعالى - أَرَادَ بِالْمُوزُونِ، الْمَقْدَارَ الْوَاقِعَ بِحَسَبِ الْحَاجَةِ، فَلَا يَكُونُ نَاقِصًا عَنْهَا، وَلَا زَائِدًا^(٢) عَلَيْهَا، يُقَالُ: كَلَامُ فُلَانٍ مُوزُونٌ، وَأَفْعَالُهُ مُقَدَّرَةٌ مُوزُونَةٌ. وَعَلَى هَذَا تَأَوَّلَ الْمُسْلِمُونَ ذِكْرَ الْمَوَازِينِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾^(٣).

الْمُسْتَقَرُّ^(٤): الْمَوْضِعُ الَّذِي يَقْرَأُ فِيهِ الشَّيْءُ، وَهُوَ قَرَارُهُ، وَمَكَانُهُ الَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ. وَالْمُسْتَوْدَعُ: الْمَعْنَى الْمَجْعُولُ فِي الْقَرَارِ، كَالْوَلَدِ فِي الْبَطْنِ، وَالنُّطْفَةِ فِي الظَّهْرِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا﴾^(٥).

اللَّيَاسُ سَاتِرٌ مُمَاسٌ لِمَا سَتَرَ، وَاللَّيْلُ سَاتِرٌ الْأَشْخَاصِ بِظُلْمَتِهِ، مُمَاسٌ هَا بِجِسْمِهِ الَّذِي فِيهِ الظُّلْمَةُ.



(١) في (ش): الكيل.

(٢) في (هـ): زائد. من دون تنوين النصب.

(٣) الأنعام: ٩٨.

(٤) في (هـ): المستقر هو الموضع.

(٥) النبا: ١٠.

فصل [- ٨ -]

[في قدرة الله]

قوله - تعالى - : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾^(١)، كَالسَّمَكِ وَالْحَيَاتِ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾^(٢)، مثلُ ابنِ آدمَ، وَالطَّيْرِ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾^(٣)، كَالْبَهَائِمِ^(٤)، وَالسَّبَاعِ.

ولم يذكر المشي على أكثر من أربع، لأنه كالذي يمشي على أربع في مرأى^(٥) العين، فترك ذكره، لأن العبرة، تكفي بذكر الأربع.

وَقَالَ الْبَلْخِيُّ^(٦): لَأَنَّ عِنْدَ الْفَلَّاسِفَةِ أَنَّ مَا زَادَ عَلَى الْأَرْبَعِ، لَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ، وَاعْتِمَادُهُ عَلَى أَرْبَعٍ فَقَطْ.

(١) التُّور: ٤٥.

(٢) التُّور: ٤٥.

(٣) التُّور: ٤٥.

(٤) في (أ): البهائم. من دون كاف التشبيه.

(٥) في (ك) و(هـ): مرأى. بالياء المثناة من تحت.

(٦) مجمع البيان: ٤: ١٤٨.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾^(١)، وقوله: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾^(٢).

لأنَّ أصلَ الخلقِ من ماءٍ، ثمَّ قَلَبَ إلى النَّارِ، فخلقَ الجنَّ منها، وإلى الرِّيحِ، فخلقَ الملائكةَ منها، ثمَّ إلى الطَّيْنِ، فخلقَ آدمَ منه.

وإنَّما قال: ﴿ مِنْهُمْ ﴾، تغليبا لما يعقلُ على ما لا يعقلُ، إذا اختلطَ في خلقِ كُلِّ دَابَّةٍ.

وَقَالَ الحسن^(٣): ﴿ مِنْ مَاءٍ ﴾، أي: من نطفةٍ. وجعلَ قوله: ﴿ كُلُّ دَابَّةٍ ﴾، خاصًّا فيمَن يَخْلُقُ من نطفةٍ. وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ - وقد رأى أشياء مواتٌ منه - هذا كما يقولُ: جعلتُ من هذا الطَّيْنِ صورةَ كُلِّ شَيْءٍ. فعلَ هذا، يجوزُ أن يكونَ جعلتُ صورةَ كُلِّ طَيْرٍ، وكُلِّ سَبْعٍ. ولو قلتَ: لم أجعل من هذا الطَّيْنِ، إلَّا صورةَ كُلِّ طَيْرٍ، لم يجوزُ أن يكونَ - ها هنا - مجموعٌ غيرَ صورةِ الطَّيْرِ.

(١) الأنبياء: ٣٠. وفي (ك) و(هـ): تكلمة الآية: ﴿ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

(٢) التور: ٤٥.

(٣) قول الحسن هذا هو المرويُّ عن أبي العالِيَةِ. انظر مجمع البيان: ٤: ٤٥ وكذا في الدر المشور:

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾^(١).

أي: بالمطر. وإرسال الرياح، تحريكها، وإجراؤها في الجهات المختلفة بحسب ما يعلم في من المصلحة شمالاً وجنوباً، وصباً، ودبوراً، لما قدرُوا عليه، فمن قدر على ذلك، يعلم أنه قادرٌ لنفسه، لا يُعجزه شيءٌ للعبادة خالصةً.



قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾^(٢)، وقال: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتُمُ الرِّجْفَ﴾^(٣).

لا تناقض بينهما، لأنه غير ممتنع أن تنضم إلى الريح، صاعقة في إهلاك قوم عاد، فيسوغ أن يُجبر - في موضع - أنه أهلكهم بالريح، وفي آخر، أنه أهلكهم بالصاعقة.

وقد يجوز أن تكون^(٤) الريح نفسها، هي الصاعقة، لأن كل شيء صَعَقَ النَّاسَ مِنْهُ، فهو صاعقة. وكذلك القول في الرجفة، أنه غير ممتنع أن يقرن بالصاعقة الرجفة.

(١) الروم: ٤٦.

(٢) الذاريات: ٤١.

(٣) العنكبوت: ٣٧.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): يكون. بياض المضارعة المثناة من تحت.

وقد يمكن^(١) أن تكون^(٢) الرِّجْفَةُ هِيَ الصَّاعِقَةُ، لأنَّهُمْ صُعِقُوا عِنْدَهَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّيمِ ﴾^(٣).

قالوا: إنَّ الماءَ في عهدِ نوحٍ، لما عمَّ جميعَ الأرضِ، لم ينجُ من الغرقِ إلا أصحابُ السَّفِينَةِ، كالرِّيحِ المسخَّرَةِ^(٤)، لما اعتصمَ منها هودٌ وصحبه، بحيثُ لم تهبَ فيه هذه الرِّيحُ المُهْلِكَةُ. واللهُ - تعالى - قادرٌ على أن يخصَّ بالرِّيحِ أرضاً دونَ أرضٍ، أو يكفَّ عن هودٍ؟

الجوابُ: إنَّه غيرُ ممتنعٍ أن يكفَّ عن هودٍ، وصحبه، هبوبها، وتأثيرِ اعتماداتها، كما كفَّ إحراقُ النَّارِ عن إبراهيم، بِرِزْدِهَا^(٥) في جسمه، وإن كانَ حاصلًا فيها.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ

(١) في (أ): العبارة: وقد يكون يمكن.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) الذَّارِيَات: ٤٢.

(٤) في (ش): الَّتِي تَبْحُرُ.

(٥) في (أ): يبردها. بياء مثناة من تحت بعدها باء موحدة من تحت.

قَائِبِينَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا^(١).

وهذه الأشياء، جمادات، لا يصح تكليفها؟

المراد: عرضنا على أهل السموات، وأهل الأرض، وأهل الجبال كقوله:

﴿ وَسئَلِ الْقَرْيَةَ^(٢) ﴾.

وقيل: المعنى - في ذلك - تفخيم شأن الأمانة، وتعظيم حقها، وإن - من

عظيم منزلتها - أنها لو عرضت على الجبال^(٣)، والسموات، مع عظيمها - وكانت

تعلم بأمرها - لأشفقت منها. غير أنه خرج مخرج الواقع، لأنه أبلغ في المقدور.

وقال البلخي^(٤): معنى العرض، والإباء، ليس هو مما يفهم بظاهر

[الكلام]^(٥)، بل إنما أراد - تعالى - أن يجبر بعظم شأن الأمانة، وأنه وجد

السموات مع عظيمها، لا تحتملها، وأن الإنسان حملها. أي: احتملها، ثم خانها.

وهذا كقولهم: سألت الربيع، وخاطبت الدار، فقالت: كذا. - ورؤيا قالوا: فلم

تجب - وقوله: ﴿ اثْبِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالنا آئِنا طائِعِينَ^(٦) ﴾. وقوله: ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ

(١) الأحزاب: ٧٢.

(٢) يوسف: ٨٢.

(٣) في (ك): الحبال. بالحاء المهملة.

(٤) في مجمع البيان: ٤: ٣٧٤ بلا عزو إلى أحد. وهو في (أوائل المقالات): ١٥٨ - ١٥٩ معزو إلى

البلخي وجماعة من أهل العدل.

(٥) ما بين المعرفتين ساقطة من (ش).

(٦) فصلت: ١١.

سُبِينًا إِذَا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَنْقَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنشِقُ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدَاكُمُ^(١). قَالَ
جرير^(٢):

لَمَّا اتَى خَبْرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالُ الْخَشَعُ
وَقَالَ آخِرُهُ^(٣):

فَقَالَ لِي الْبَحْرُ إِذَا جِئْتُهُ وَكَيْفَ يُجِيرُ ضَرْبُ ضَرْبِرَا
ومعنى الإباء: الامتناع. يقال: هذه الأرض تأبى الزرع، والغرس. أي: لا
تصلح لها، فيكون المعنى: فأين أن تجملنها. أي لا^(٤) يصلح لحمل الأمانة، إلا
من كان حيًا، قادرًا، عالمًا، سميعًا، بصيرًا.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾^(٥).

أي: أهلها^(٦). كقوله: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾^(٧). ويقال: السخاء

(١) مريم: ٨٩، ٩٠.

(٢) ديوان جرير: ٢: ٩١٢.

(٣) الثبيان في تفسير القرآن: ٨: ٣٦٩ بلا عزو وفيه: يميز. مجمع البيان: ٤: ٣٧٤. بلا عزو.

(٤) (لا) ساقطة من (ها).

(٥) الدخان: ٢٩.

(٦) الأسماء والصفات: ٣٩٨.

(٧) محمد: ٤.

حَائِمٌ. وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ الْمِبَالِغَةَ فِي وَصْفِ الْقَوْمِ، بِسُقُوطِ الْمُنْزَلَةِ، كَمَا يُقَالُ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ لِفَقْدِهِ، وَأَظْلَمَ الْقَمَرُ، وَبَكَأَ اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالسَّمَاءُ، وَالْأَرْضُ. قَالَ جَرِيرٌ^(١):

الشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومُ اللَّيْلِ وَالْقَمَرُ^(٢)
وَيَكُونُ الْإِخْبَارُ عَنْ فَقْدِ الْإِنْتِصَارِ، وَالْأَخْذِ بِالثَّأْرِ. وَالْعَرَبُ كَانَتْ لَا تَبْكِي عَلَى الْقَتِيلِ إِلَّا بَعْدَ الْأَخْذِ بِثَأْرِهِ.

وَبِمَعْنَى الْإِخْلَالِ عَنِ الْإِخْتِلَالِ بَعْدَهُ [قَالَ^(٣) الشَّاعِرُ^(٤)]:

بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ أَجْلِهِمْ فَتَهَلَّلَتْ دُمُوعِي فَيَأِي الْجَازِ عَيْنِ الْوَمُ
وَسئَلُ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٥): أَوْ تَبْكِيَانِي عَلَى أَحَدٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. مَصَلَاةٌ فِي الْأَرْضِ، وَمَضْعَدٌ عَمَلُهُ فِي السَّمَاءِ.

وَقَالَ الْمُرْتَضَى^(٦): الْبُكَاءُ، كُنَايَةٌ عَنِ الْمَطْرِ. وَالْعَرَبُ تُشَبِّهُ الْمَطَرَ بِالْبُكَاءِ.

(١) فِي (أ): قَالَ جَرِيرٌ قَوْلَهُ.

(٢) دِيهَوَانُ جَرِيرٍ: ٢: ٧٣٦. وَفِي (أ): الْقَمَرُ. مِنْ دُونَ أَلْفِ الْإِطْلَاقِ.

(٣) مَا بَيْنَ الْمُعْقُوفَتَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ (ح).

(٤) أَمَالِي الْمُرْتَضَى: ١: ٥٣. مَعْرُوضًا إِلَى مِزَاحِمِ الْعَقِيلِيِّ. وَكَذَلِكَ: مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٥: ٦٥. وَفِيهَا: وَتَهَلَّلَتْ.

(٥) جَمَاعَةُ الْبَيَانِ: ٢٥: ١٢٤ - ١٢٥. أَمَالِي الْمُرْتَضَى: ١: ٥٣. مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٥: ٦٥. صَحِيحُ

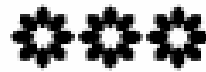
الْتَرْمِذِيِّ: ١٢: ١٣٦. الدَّرُ الْمَشْهُورُ: ٧: ٤١١.

(٦) أَمَالِي الْمُرْتَضَى: ١: ٥٤.

فَيَكُونُ مَعْنَى الْآيَةِ: إِنَّ السَّمَاءَ، لَمْ تَسِقِ قُبُورَهُمْ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَسْقُونَ السَّحَابَ
لِقُبُورِ مَنْ فَقَدُوهُ. قَالَ عَدِيُّ بْنُ ^(١) حَاتِمٍ فِي وَفَاةِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ^(٢):

إِنَّ الَّذِي بَكَتِ السَّمَاءُ لِفَقْدِهِ عَمِيَّتْ عَلَيْنَا بِعَدَّةِ الْأَنْبَاءِ
وَالْأَرْضُ ^(٣) خَاشِعَةٌ لَهَا بِجِبَالِهَا وَالنَّاسُ لَا مَوْتَى ^(٤) وَلَا أَحْيَاءَ
أَبُو ذُؤَيْبٍ ^(٥):

كَسَفَتْ لِمَصْرَعِهِ النَّجُومُ وَبَدَرُهَا وَتَزَعَزَعَتْ ^(٦) أَرْكَانُ بَطْنِ الْأَبْطُحِ



(١) لم أقف على مورد أخذه.

(٢) في (أ): بعد قوله (عليه السلام): قوله تعالى.

(٣) في (أ): قوله (والأرض خاشعة).

(٤) في (أ): مولى.

(٥) أخل به شعره المجموع ضمن ديوان المهذلين.

(٦) في (هـ): تزعزعت.

فصل [- ٩ -]

[في إثبات وجوده سبحانه]

قوله - تعالى -: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾^(١).
قال الجبائي^(٢): في الآية، دلالة على بطلان قول الأصم، ونفاة^(٣)
الأعراض، وقولهم: ليس - هنا - غير الأجسام، لأنه قال: ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي
حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾. فأثبت «غيراً»، لما كانوا فيه، وهو العراض. واختير
متكلمً ليناظر ابن الراوندي في إثبات الأعراض^(٤)، فزادهم الناس
ونكص المتكلم، فلما حضر المتكلم، فلم ينظر الخليفة إليه، لغضبه عليه.
فقال: يا أمير المؤمنين! أنشدك! هل كنت قبل نُكُوصي على هذه الصفة أم
تجدد^(٥) حالة أخرى؟ قال: بل تجددت! قال: هي التي ينفها هذا الرجل،
وأمير المؤمنين يعرف من نفسه.

(١) النساء: ١٤٠.

(٢) مجمع البيان: ٢: ١٢٧.

(٣) في (ك): نفاء. بالهاء غير المثناة المنقوطة.

(٤) في (هـ): الأعراض. بالعين المعجمة.

(٥) في (ح): تجددت. مع ناء التانيث الساكنة.

وناظر بعضهم الصَّاحِبَ في ذلك، فقال الصَّاحِبُ: هل تحصلُ منَّا أفعالٌ؟
قال: نعم. قال: هي جواهرٌ أو أعراضٌ؟ فبهت!

وقال أبو الهذيل للأصم - وهو ينفي الحركة -: خبرني عن قوله: ﴿الزَّائِنَةُ
وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾^(١)، وعن قوله - في القاذف -:
﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾^(٢)، أيها أكثر؟

قال: حدُّ الزَّانِي بعشرين.

قال: فما تلك الزيادة، هي نفسُ الجلاد، أو نفسُ المجلود، أو الهواء، أو
الخشب، أو ثمَّ شيءٌ غيرُ هذا يسمَّى الجلد؟

قال: لا أقول شيئاً من ذلك.

قال: فكأنك قلت: لا شيءٌ أكثر من لا شيءٍ بعشرين^(٣).



قوله - سبحانه -: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْيَارَ﴾^(٤).

(١) التور: ٢.

(٢) التور: ٤.

(٣) أمالي المرتضى: ١: ١٨٠ - ١٨١.

(٤) الفتح: ٢٢.

في هذه الآية، دلالة على أنه يعلم ما لم يكن أن^(١) لو كان كيف يكون. وفيه إشارة إلى أن المعدوم، معلوم.

وقال^(٢) الموبد^(٣) هشام بن الحكم: أحول^(٤) الدنيا شيء؟ قال: لا. قال: فإن^(٥) أخرجت يدك من الدنيا، فثم شيء يردّها؟ قال: ليس^(٦) شيء يردّ يدك^(٧)، ولا شيء يخرج يدك. قال: فكيف أعرف هذا؟

قال: يا موبد^(٨) [لو كنت]^(٩) أنت، وأنا على طرف الدنيا، فقلت لك: يا موبد^(١٠) إني لا أرى^(١١) شيئاً، فقلت: ولم [لا]^(١٢) ترى؟ فقلت: لأنه^(١٣) - ها هنا -

(١) في (ها): ألر.

(٢) في (ح): وتول.

(٣) في (ش) و(ك) و(ها) و(أ): الموبد. بالبدال المهملة.

(٤) في (ش): الأحول.

(٥) (فإن): ساقطة من (أ).

(٦) في (ح): لا شيء.

(٧) في (ح): يدي.

(٨) في (ش) و(ك) و(ها) و(أ): الموبد. بالبدال المهملة.

(٩) ما بين المعقوفين زيادة من (ح).

(١٠) في (ش) و(ك) و(ها) و(أ): موبد. بالبدال المهملة.

(١١) في (ك) و(أ): لأرى.

(١٢) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش).

(١٣) في (ك) و(ها) و(أ) و(ط): لأنه ليس ها هنا ظلام.

ظلامٍ يمنعني. فقلت: يا هشام، إني لا أرى شيئاً، فقلت: ولم لا ترى؟ فقلت: ليس لي ضياءٌ أنظر به. فهل تكافأت المسألتان في التناقض؟ قال: نعم.

قال: فإذا تكافأتا في التناقض، لم تتكافأ في الإبطال أن ليس شيء. فأشار الموبد^(١) بيده: أن أصبت^(٢).



قوله - سبحانه - : ﴿ وَقَدْ خَلَقْتكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً ﴾^(٣). وقوله: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً ﴾^(٤). وقوله: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾^(٥) وقوله: ﴿ هَلْ أَمَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِنْ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ﴾^(٦). وقوله: ﴿ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَجْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ﴾^(٧).

تعلق المثبتون بهذه الآيات^(٨).

(١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): موبد. بالبدال المهملة.

(٢) العقد الفريد: ٢: ٢٢٤.

(٣) مريم: ٩.

(٤) مريم: ٦٧.

(٥) الطور: ٣٥.

(٦) الإنسان: ١.

(٧) النور: ٣٩.

(٨) في (ش) و(ح): الآية. وما أثبتناه هو الموافق للمقام.

وقالت^(١) النُّفَاةُ^(٢): إِنَّمَا قَالَ: ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾، ولم يقل: ولم يُسَمَّ شَيْئًا. والكونُ إِنَّمَا يتناولُ الموجودَ دونَ المعدومِ. والإنسانُ خُلِقَ من نطفَةٍ، وأدمُ خُلِقَ من الترابِ. وكلاهما موجودانِ. وَخُلِقَ الخَلْقُ من الآباءِ، والأُمَّهاتِ.

ومعناه: أُخْلِقُوا من غيرِ أصلٍ يرجعون^(٣) إليه؟

ويقال: من غيرِ شيءٍ. أي: لِغَيْرِ شَيْءٍ.

ومعنى الآياتِ: إِنَّ عَادَةَ العَرَبِ إذا أرادتِ الإخبارَ عن خسارةِ قدرِ شيءٍ، تصفهُ بأنه لا شيءٌ، وليسَ بشيءٍ^(٤). لا يقصدونَ إلى أَنَّهُ غيرُ موجودٍ، لأنَّهم يصفونَ الموجودَ الحاضرَ بذلك، كما يصفونَ المعدومَ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^(٥).

قالت النُّفَاةُ^(٦): أي يكونُ شيءٌ عظيمٌ.

(١) في (ح): قَالَ. من دون تاء التانيث الساكنة.

(٢) في (هـ): النُّفَاةُ. بالهاء غير المثناة المنقوطة.

(٣) (ش): ترجعون. بقاء المضارعة المثناة من فوق.

(٤) (شيء) ساقطة من (أ).

(٥) الحج: ١.

(٦) في (هـ): النُّفَاةُ. بالهاء غير المنقوطة.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ خُذاً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(١)، وقوله [سبحانه] ^(٢): ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣).

فإنه يسوغ للمُثَبِّتِينَ أَنْ يَسْتَدِلُّوا بِهَا.

وكذلك قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤).

الموجود لا يوصفُ بالقدرةِ عليهِ أحدٌ، إلا على سبيلِ الإعادةِ. واشتهرَ عن أهلِ اللُّغَةِ قولهم: شيءٌ معدومٌ. فلو كانَ لفظُهُ^(٥) «شيءٌ»، لا يقعُ إلا على موجودٍ، لكانَ هذا القولُ متناقضاً. ويجري ذلك مجرى قولهم: موجودٌ معدومٌ. ونحنُ نعلمُ الصَّوْتَ عندَ تقضيهِ، والجسمَ بعدَ حجابِهِ.



قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(٦).

(١) الكهف: ٢٤.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (أ).

(٣) النحل: ٤٠.

(٤) البقرة: ٢٨٤. وفي مواضع أخرى من القرآن.

(٥) في (ح): لفظ.

(٦) الحشر: ٢١.

إِنَّمَا أَخْرَجَ^(١) مَخْرَجَ الْمَثَلِ. قَوْلُهُ فِي عَقِبِهِ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾^(٢).

المعنى: في خشوع الحجارة - أنه يظهر فيها ما لو^(٣) ظهر من حي مختار، قادر، كان بذلك خاشعاً، كقوله: ﴿جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾^(٤)، لأن ما ظهر فيه من فعل الحيوان، لو ظهر من حي، لدل على أنه يريد أن ينقض، ليس أن الجدار يريد شيئاً في الحقيقة.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(٥).

يريد - بذلك - التذلل تسخيراً. قَالَ جرير^(٦):

لَمَّا اتَى خَبْرَ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعْتَ سَوْرَ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالِ الْخَشَعُ

ويقال: ﴿يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾: كَأَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ، بِغَيْرِهِ مِمَّنْ يَعْقِلُ لِدَلَالَتِهِ

(١) (ك) و(هـ) و(أ): خَرَجَ.

(٢) الحشر: ٢١.

(٣) في (أ): ما لو منها.

(٤) الكهف: ٧٧.

(٥) البقرة: ٧٤.

(٦) ديوان جرير: ٢ / ٩١٣.

على الخالق. فكأنه يقول: يدعو إلى خشية الله، إذا نُظِرَ إليه، قَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ. كما تقول العرب - لما لا يُنطق، إذا نطق - عَجَباً لَهُ، فقالوا: / ١٩ / سُبْحَانَ اللَّهِ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَجِرُّ الْجِبَالَ هَدًّا ﴾^(١).

هذا، كما تقول العرب: هذا الكلام، يَفْلِقُ الصَّخْرَ، وَيَهْدُ الْجِبَالَ، وَيَسْتَنْزِلُ الوَعُولَ. قَالَ الشَّاعِرُ^(٢):

ولو أن ما بي بالحصى فلق الحصى وبالريح لم يُسَمَّعْ لُنَّ هبوبُ
قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ^(٣)، وَقَتَادَةُ، وَالصُّحَاكُ^(٤): يَتَفَطَّرْنَ^(٥) من فوقهن، من عظمة الله، وجلاله.

وقالوا: إِنَّ السَّمَوَاتِ تَكَادُ تَتَفَطَّرْنَ^(٦) من فوقهن، إِسْتِعْظَاماً لِلَّهِ، لِلْكَفْرِ^(٧)

(١) مريم: ٩٠.

(٢) أمالي المرتضى: ١: ٤٢٩، بلا عزو.

(٣) جامع البيان: ١٦: ١٣٠. الدر المنثور: ٥: ٥٤٣.

(٤) الدر المنثور: ٥: ٥٤٤.

(٥) في (ش) و(ك): يَتَفَطِّرْنَ.

(٦) في (ك): تَفَطَّرْنَ.

(٧) في (أ): لِلْفِكْرِ.

بالله، والعصيان له، مع حقوقه الواجبة على خلقه، وذلك على وجه التمثيل.

قوله - سبحانه - : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾^(١).

والضحك والبكاء من فعل الإنسان.

قوله: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾^(٢)، وقوله: ﴿أَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ

تَعْجِبُونَ. وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾^(٣)، وقوله: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ

يَضْحَكُونَ﴾^(٤).

سَبَّ الضَّحْكَ والبكاء إلينا، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فَعَلْنَا، لَمْ يَحْسُنْ ذَلِكَ.

أما الآية الأولى، فمعناها: أنه أضحك، وأبكى، بأن^(٥) فَعَلَ سَبَّ ذَلِكَ مِنَ

الشُّرُورِ، وَالْحَزَنِ. كما يُقَالُ: أَضْحَكَنِي فُلَانٌ، وَأَبْكَانِي. أَي: مِنْ سَبَبِيهَا^(٦).

وَقَالَ الْحَسَنُ^(٧): إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ لِلضَّحْكِ والبكاءِ.

(١) النجم: ٤٣.

(٢) التوبة: ٨٢.

(٣) النجم: ٥٩، ٦٠.

(٤) المطففين: ٣٤.

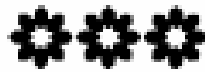
(٥) (بأن) سقطت من (ح).

(٦) في (أ): سببها.

(٧) مجمع البيان: ٥: ١٨٢.

والضُّحْكُ: تَفْتُحُ أَسْرَارِ الْوَجْهِ^(١) عَنْ سُرُورٍ فِي الْقَلْبِ، فَإِذَا هَجَمَ عَلَى
الْإِنْسَانِ مِنْهُ مَا لَا يُمْكِنُهُ دَفْعُهُ، فَهُوَ مِنْ فَعَلَ اللهُ، وَكَذَلِكَ^(٢) الْبُكَاءُ.

وَقِيلَ: أَضْحَكَ الْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ، وَأَبْكَى السَّمَاءَ بِالْمَطَرِ.



(١) فِي (أ): الْوَجْدُ.

(٢) فِي (أ): لِذَلِكَ.

فصل [-١٠-]

[في بطلان أقوال المنجّمين]

قوله - تعالى - : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾^(١).

لما أخبر الله بهذه الأحوال عن النجوم، كان أجرى العادة بأن يحدث أمراً عند طلوع كوكب، أو غروبه، أو اتصاله، أو مقارنته. لكن لا طريق لنا إلى العلم بأن ذلك قد وقع، وثبت.

ثم أن تلك العادة، يجوز أن تختلف باختلاف الأزمان، فلا يفعل ذلك. لأنه مختار فيها، ولا تأثير للكواكب البتة، لأنها ليست بحيّة، قادرة، فتفعل بالاختيار، ولا علة موجبة، فتؤثر بالإيجاب، وإنما هي أجسام، يُسيرها الله، كما يريد.

والدليل على نفي كون الفلك، وما فيه من شمس، وقمر، وكواكب أحياء: الإجماع.

(١) يونس: ٥.

وَإِذَا قَطَعْنَا عَلَى نَفْيِ الْحَيَاةِ، وَالْقُدْرَةِ عَنْهَا، فَكَيْفَ تَكُونُ فَاعِلَةً.

ثُمَّ أَنَّ الْحَرَارَةَ الشَّدِيدَةَ، كَحَرَارَةِ النَّارِ، تَنْفِي^(١) الْحَيَاةَ. وَحَرَارَةُ الشَّمْسِ، أَقْوَى مِنْ حَرَارَةِ النَّارِ. وَمَا كَانَ بِهَذِهِ الصُّفَةِ مِنَ الْحَرَارَةِ، يَسْتَجِيلُ^(٢) أَنْ يَكُونَ حَيًّا.

وَإِنْ كَانَتْ قَادِرَةً، إِنَّمَا تَفْعَلُ فِي غَيْرِهَا عَلَى سَبِيلِ التَّوْلِيدِ^(٣). وَلَا بُدَّ مِنْ وَضَلَةٍ^(٤) بَيْنَ الْفَاعِلِ، وَالْمَفْعُولِ فِيهِ. وَالْكَوَاكِبُ غَيْرُ مِمَّا سَبَّحْنَا. وَلَا وَضَلَةٌ بَيْنَنَا، وَبَيْنَهَا، فَكَيْفَ تَكُونُ فَاعِلَةً فِينَا؟ وَالْهَوَاءُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ^(٥) آلَةً فِي الْحَرَكَاتِ الشَّدِيدَةِ، وَحَمَلِ الْأَثْقَالِ.

ثُمَّ لَوْ كَانَ الْهَوَاءُ آلَةً تَحْرُكُنَا بِهَا الْكَوَاكِبُ، لَوَجِبَ أَنْ نُحِسَّ بِذَلِكَ، كَمَا نُحِسُّ مِنْ غَيْرِ الْهَوَاءِ، إِذَا حَرَّكْنَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾^(٦) ، ﴿ وَالْقَمَرَ قَدْرُنَاهُ

(١) فِي (ك): تَنْفِي. بِالْقَافِ الْمَثَنَاءِ.

(٢) فِي (ش) وَ(ك) وَ(هـ) وَ(أ): تَسْتَجِيلُ. بِنَاءِ الْمَضَارِعَةِ الْمَثَنَاءِ مِنْ فَوْقِ.

(٣) فِي (ش): التَّوَكِيدِ.

(٤) فِي (هـ): وَضَلَةٌ. بِالْهَاءِ غَيْرِ الْمَنْقُوطَةِ. وَفِي (ح): صَلَةٌ.

(٥) فِي (ش) وَ(ك) وَ(أ): تَكُونُ.

(٦) الرَّحْمَنِ: ٥.

مَنَازِلٍ ﴿^(١)﴾، ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ﴿^(٢)﴾.

فلا تعلق لهم فيها، لأننا نعرف أنَّ للنُّجُومِ ﴿^(٣)﴾ سِيراً، ومَنَازِلَ، واجتماعاتٍ واحتراقاتٍ، وحركاتٍ، وحرارةَ الشَّمْسِ، وكسوفَها، ونورَ القمرِ، وخسوفَهُ، وأثنا تجري بحسابه، وأنَّ سِيراً ﴿^(٤)﴾ كُلُّ واحدٍ منها، خلافُ سِيراً الأخرِ، وأنَّ سِيراً جميعها، يجري على مقدارٍ معلومٍ، ونعلمُ بها عددَ السُّنَنِ، والحسابَ، وبها يَقَعُ الفصلُ بينَ الأيامِ، والليالي إلاَّ أَنَّهُ لا مجالٌ للفعلِ فيه، وإنَّما يُعَلَمُ ذَلِكَ سَمْعاً، والخلافُ بينَ المُسْلِمِينَ، والمنجَمِينَ في مَوَاضِعِينَ:

أحدهما: في تركيبِ الأفلاكِ، والأرضِ، وما يتلو ذلك.

والآخر: في الأحكامِ التي يدَّعونها: أنَّ جميعَ حوادثِ العالمِ، نشوءاً، وتوليداً ﴿^(٥)﴾، وحدوثاً، وتغيُّراً، يتولَّد ﴿^(٦)﴾ عن الكواكبِ، ويسببها يحدثُ، حتَّى ادَّعوا أنَّ حياةَ الحيوانِ، وموتَهُمِ ﴿^(٧)﴾، وتوالدهمُ، ورزقُهُم، وخيرُهُم، وشرُّهُم،

(١) يس: ٣٩.

(٢) النجم: ١.

(٣) في (ش): النجوم. من دون حرف. الجر (اللام).

(٤) في (هـ): وإن كان سير.

(٥) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): تولدوا.

(٦) في (هـ): تتولد.

(٧) في (ح): موته وتوالده ورزقه وخيره وشره.

مُتَعَلِّقٌ بِقُوَاهَا^(١)، وَأَنَّ جَمِيعَ مَا يَحْدُثُ فِي^(٢) الْجَوِّ مِنَ الْأَمْطَارِ، وَالتُّلُوجِ، وَالرَّعْدِ
وَالْبَرْقِ، وَالصَّوَاعِقِ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ مَا يَحْدُثُ فِي الْأَرْضِ مِنَ الزَّلَازِلِ، وَالْخَسْفِ،
وَفِي بَطُونِ الْمَعَادِنِ، وَفِي عَمَقِ الْبِحَارِ مِنْهَا.

/ ٢٠ / وَلَوْ كَانَ^(٣) الْأَمْرُ، عَلَى مَا أَدَّعَوْهُ، لِبَطْلِ الْأَمْرِ، وَالتَّهْيِ، وَارْتِفَاعِ
الْمَدْحِ، وَالتَّذَمُّ. وَبَارْتِفَاعِ ذَلِكَ، يَرْتَفِعُ الْعِقَابُ^(٤)، وَالتُّوَابُ، وَبِطْلَانِهِ تَبْطُلُ
التُّجُوتُ، وَالتُّرَائِعُ أَجْمَعُ.

عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ - بِيْطْلَانِ ذَلِكَ - بَطْلَانُ جَمِيعِ الْعُلُومِ، وَلِبَطْلَتِ^(٥) الْفَائِدَةِ فِي
تَعْلَمِ عِلْمِ النُّجُومِ، لِأَنَّ بَتَعْلَمِهِ لَا يُسْتَفَادُ شَيْءٌ، إِذْ لَا يُمَكِّنُ أَحَدًا^(٦)، أَنْ يَقْدُمَ
شَيْئًا، أَوْ يُؤَخَّرَ، إِلَّا مَا يُوْجِبُهُ النُّجْمُ. فَسَوَاءٌ: عَلِمَهُ أَوْ لَمْ يَعْلَمَهُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾^(٧).

(١) فِي (ح): بِقُوَاهَا.

(٢) فِي (هـ): فِيهِ.

(٣) فِي (ش): وَلَوْ لَا الْأَمْرَ.

(٤) فِي (هـ): التُّوَابِ وَالْعِقَابِ.

(٥) فِي (هـ): لِبَطَلَتْ.

(٦) فِي (ش): أَحَدًا.

(٧) الْبُرُوجِ: ١.

لَيْسَ فِيهِ أَثَمًا إِثْنَا عَشَرَ، أَوْ أَقَلُّ، أَوْ أَكْثَرُ، عَلَى أَنَّ الْبُرُوجَ هِيَ الْقُصُورُ.
فَالآيَةُ إِلَى بُطْلَانِ مَذْهَبِهِمْ، أَقْرَبُ.

ثُمَّ أَنَّ الْإِخْبَارَ بِالْغَيْبِ مِنْ جَمَلَةِ الْمَعْجَزَاتِ. وَلَوْ كَانَ الْعِلْمُ بِهَا يُحَدِّثُ طَرِيقًا
نُجُومِيًّا، لَمْ يُعْرَفِ الْمُعْجِزُ. وَقَدْ اجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ - قَدِيمًا وَحَدِيثًا - عَلَى تَكْذِيبِهِمْ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾ ^(١).
وَأَنَّ الْأَهْلَةَ ﴿ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ ﴾ ^(٢)، وَأَنَّ لَهُ ﴿ مَنَازِلَ لِيَتَعَلَّمُوا عَدَدَ
السِّنِينَ وَالْحِسَابِ ﴾ ^(٣) ﴿ وَيَا نَجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ ^(٤). فَلَوْ كَانَتِ الْحَوَادِثُ مِنْهَا،
لَوَجِبَ ذِكْرُهَا، وَالْإِمْتِنَانُ بِهَا، إِذِ النِّعْمَةُ بِهَا أَجَلٌ. وَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ يُمَنَّ اللَّهُ عَلَى
عِبَادِهِ بِمَا خَلَقَ هُمْ مِنْ صُنُوفِ مَخْلُوقَاتِهِ.

فَيَذَكَّرُ الْيَسِيرَ مِنَ الْفَائِدَةِ، وَيَدَعُ ذِكْرَ مَا هُوَ أَجَلٌ مِنْهُ بِكَثِيرٍ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴾ ^(٥)، ﴿ وَزَيَّنَّا

(١) يونس: ٥.

(٢) البقرة: ١٨٩.

(٣) يونس: ٥.

(٤) النحل: ١٦.

(٥) الصافات: ٦.

السَّاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ ﴿١﴾.

وهذا خلاف قولهم، لأنه - تعالى - يَبَيِّنُ أَنَّ الكَوَاكِبَ، زِينَةُ ﴿٢﴾ سَمَاءِ الدُّنْيَا.

قوله - سُبحَانَهُ - : ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ﴿٣﴾.

بَيَّنَّ أَنَّهَا فِي فَلَكٍ وَاحِدٍ، يَسْبَحُونَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي فَلَكٍ، لَوْجِبَ أَنْ يَقُولَ: وَكُلٌّ ﴿٤﴾ فِي فَلَكِهِ يَسْبَحُ.

قوله - سُبحَانَهُ - : ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ ﴿٥﴾.

الْخِصْمُ مُعْتَرِفٌ بِأَنَّ الكَوَاكِبَ لَا تُدَبِّرُ شَيْئًا، بَلْ تَفْعَلُ - عِنْدَهُمْ - طَبْعًا. وَلَا يَجُوزُ أَنَّهَا تُدَبِّرُ. وَالْخِصْمُ لَا يَعْتَرِفُ بِأَنَّهَا تُدَبِّرُ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهَا الْمَلَائِكَةُ. وَذَلِكَ أَوْلَى.

(١) فصلت: ١٢.

(٢) في (ش) و(هـ) و(أ): زينت. بالناء المبسوطة.

(٣) يس: ٤٠.

(٤) (كَلَّ) ساقطة من (أ).

(٥) النازعات: ٥.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾^(١).

الشَّمْسُ، والقمرُ، آيتان من آياتِ الله، لما فِيهِمَا من عِظَمِ النُّورِ، وغيرِهما،
بغيرِ علاقَةٍ، ولا دعامةٍ.

ونورُ الشمسِ - لما كان أضعفَ الأنوارِ - سَمَاءُ ضِيَاءٍ. كما قيلَ للنَّارِ ناراً، لما
فِيهَا من الضِّيَاءِ. ولما كان نورُ القمرِ دونَ ذلك^(٢)، سَمَاءُ [نوراً]. و[^(٣) نورُ الشَّمْسِ،
وضيائُها يَغْلِبُ عليه. ولذلك لا يقالُ: أضاءَ اللَّيْلُ، بل يقالُ: أثارَ اللَّيْلُ، وليلةٌ
منيرةٌ. ويقولونَ: في قلبه نورٌ. ولا يُقالُ: فِيهِ ضِيَاءٌ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٤).

وَحَدَّ النَّجْمِ. وَقَالَ - فِيمَا تَقَدَّمَ - : ﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾^(٥)، لأنَّ النُّجُومَ
على ثلاثةِ أَصْرُبٍ:

ما يُهْتَدَى بها، مثلُ الفَرْقَدَيْنِ، وَالْجَدِيِّ، لِأَنَّهَا لَا تَزُولُ.

(١) يونس: ٥.

(٢) في (هـ): دون ذلك نوراً.

(٣) ما بين المعرفتين سقطت من (ش) و(ك) و(هـ) و(أ).

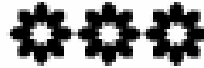
(٤) النحل: ١٦.

(٥) الأعراف: ٥٤.

وَضَرَبُ هِيَ زِينَةُ السَّمَاءِ، كما قال: ﴿إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ
الْكَوَاكِبِ﴾^(١).

فقوله: ﴿وَالنَّجْمِ﴾ يُرِيدُ النُّجُومَ، فَاجْتَزَأَ بِالوَاحِدِ عَنِ الْجَمْعِ، كَمَا قَالَ:
﴿أَوِ الطُّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾^(٢).

وَالنَّجْمُ فِي قَوْلِهِ: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾^(٣)، يَرِيدُ بِهِ: الثَّرِيًّا. ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا
هَوَى﴾^(٤)، يَعْنِي: نَزُولَ الْقُرْآنِ. ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾^(٥)، يَرِيدُ: كُلَّ مَا
نَجَمَ مِنَ الْأَرْضِ، مِمَّا لَا يَقُومُ عَلَى سَاقٍ.



(١) الصافات: ٦.

(٢) النور: ٣١.

(٣) الطارق: ٣.

(٤) النجم: ١.

(٥) الرحمن: ٦.

فصل [- ١١ -]

[في صحّة الطبّ وفي الرؤيا]

قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾^(١)، وقوله: ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ﴾^(٢).

الطبّ^(٣) صحيح، وعلمه ثابت، وطريقه، الوحي. وإنما أخذوه عن الأنبياء. والطريق إلى حقيقة ذلك بالسمع. ومعرفة الدواء بالتوقيف.

وكان الصادقون - عليهم السلام - يأْمُرُونَ بعض أصحاب الأمراض باستعمال ما يضر من كان المرض به، فلا يضره، وذلك لعلمهم بانقطاع المرض، وذلك على سبيل المعجز لهم. والصحة، والمرض من الله.

والمرض نوعان: مبتدأ يخلقه الله. وما يخلقه عند سبب. كما قال إبراهيم: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ ﴾. أي: من تعدّ مني.

(١) الشعراء: ٨٠.

(٢) الإسراء: ٨٢. وفي (أ) تكملة الآية: ﴿ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

(٣) في (أ): الطب.

الصَّادِقُ - عليه السلام - في خبر: إني^(١) رأيتُ الرَّجُلَ منهمُ الماهرَ في طَبِّهِ، إذا سألته، لم يَقِفْ على حدودِ نفسه. وتألَّفَ بدنه، وتركيبِ أعضائه. ومجرى الأغذية في جوارحه، ومخرجِ نَفْسِهِ، وحركةِ لِسَانِهِ، ومُسْتَقَرُّ كَلَامِهِ، ونورِ بصرِهِ، وانتشارِ ذكْرِهِ، واختلافِ شَهْوَاتِهِ، وانسِكَابِ عِبْرَاتِهِ، ومجمعِ سمعِهِ، / ٢١ / وموضعِ عقلِهِ، ومسكنِ روحِهِ، ومخرجِ عطشِهِ، وهَيِّجِ غُموِمِهِ، وأسبابِ سرورِهِ، وعلمِهِ بما حدثَ فيه من بَكمٍ، وصَمَمٍ، وغيرِ ذلك، لم يكن - عندهم - أكثر من أقاويلَ استحسَنوها، وَعِلَلٍ فيما بينَهُم جَوِّزوها^(٢).

ودخلَ موسى بن جعفر^(٣) - عليها السلام - على الرَّشِيدِ، فقالَ لَهُ الرَّشِيدُ: يا ابن رسول الله، أَخْبِرني عَنِ الطَّبَائِعِ الأَزْبِجِ^(٤).

فقال - عليه السلام -: أَمَّا الرِّيحُ، فَإِنَّهُ مَلِكٌ يُدَارِي. وَأَمَّا الدَّمُ، فَإِنَّهُ عَبْدٌ عاصٍ، ورُبُّها قَتَلَ العَبْدَ مولاَهُ. وَأَمَّا البَلْعُ، فَإِنَّهُ خَصْمٌ جَدِيلٌ، إن سَدَدتُهُ من جانبٍ، انفتَحَ من جانبٍ آخَرَ. وَأَمَّا المِرَّةُ، فَإِنَّها الأَرْضُ إن اهتَزَّتْ، رَجَفَتْ بها فَوَقَّها.

(١) في (هـ): أي. بالباء الموحدة من تحت.

(٢) الاحتجاج: ٢: ٨٥.

(٣) عيون أخبار الرضا: ١: ٨١، ٢: ٧٩ باختلاف في اللفظ يسير، علل الشرائع: ١٠٦ - ١٠٧.

الاختصاص: ١٩٨.

(٤) في (أ): الأرض.

فَقَالَ هَارُونُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، تُنْفِقُ عَلَى النَّاسِ مِنْ كُنُوزِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١).

قال المفسرون^(٢): يعني الرؤيا الصالحة.

وَقَالَ النَّبِيُّ^(٣) - عَلَيْهِ السَّلَامُ -^(٤): ذَهَبَتِ النَّبِيُّةُ، وَبَقِيَتِ الْمُبَشِّرَاتُ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٥): ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾^(٦). يريدُ: تعبِيرَ

الرُّؤْيَا.

وَشَكَرَ اللَّهُ - تَعَالَى -^(٧) يَوْسُفَ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ

الْأَحَادِيثِ﴾^(٨).

(١) يونس: ٦٤.

(٢) الدر المنثور: ٤: ٣٧٤ - ٣٧٥. الجامع لأحكام القرآن: ٨: ٣٥٨.

(٣) مسند أبي يعلى الموصلي: ٧: ٣٨. بزيادة في اللفظ فيه. الدر المنثور: ٤: ٣٧٦ فردوس الأخبار: ٢: ٣٧٠.

(٤) في (ح): صلى الله عليه وآله.

(٥) في جامع البيان: ١٢: ١٥٣ منسوب إلى مجاهد وكذا في الدر المنثور: ٤: ٤٩٩، وفي مجمع البيان:

٣: ٢١٠ منسوب إلى قتادة.

(٦) يوسف: ٦.

(٧) (تعالى) سقطت من (ح).

(٨) يوسف: ١٠١.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ^(١): ﴿إِنِّي أَرَى فِي السَّمَاءِ﴾ ^(٢).
 وَقَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - لِنَبِيِّهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ^(٣): ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي
 أَرَيْنَاكَ﴾ ^(٤). وَقَالَ: ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ ^(٥).
 وَقَالَ الرَّضَا ^(٦) - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ، وَحَيٍّ.
 وَقَالَ الْمُرْتَضَى ^(٧): مَجْرَدُ مَنَامَاتِ الْأَنْبِيَاءِ، لَا يُوجِبُ الْعَمَلَ، إِلَّا إِذَا قَارَنَهُ
 وَحَيٍّ، يَسْمَعُهُ مِنَ الْمَلَكِ، عَلَى الْوَجْهِ الْمَوْجِبِ لِلْعِلْمِ: إِنِّي سَأْرِيكَ فِي مَنَامِكَ وَقَتًا
 كَذَا مَا يَجِبُ أَنْ تَعْمَلَ بِهِ.
 وَذَهَبَ النَّظَامُ إِلَى إِبْطَالِ الرُّؤْيَا كُلِّهَا، مَا خَلَا رُؤْيَا يُوسُفَ، وَرَسُولِ اللَّهِ.
 وَالذَّهْرِيَّةُ تُبْطِلُ الرُّؤْيَا كُلِّهَا.
 وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ عَلَى التَّصَدِيقِ بِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَالْإِسْلَامِ.
 وَزَعَمَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّ الرُّؤْيَا هِيَ تَمَنِّي ^(٨) يَقَعُ لِلْإِنْسَانِ، فَيَتَّصِرُ لَهُ مَا

(١) (عليه السلام) سقطت من (ح).

(٢) الصفات: ١٠٢.

(٣) (عليه السلام) سقطت من (ح).

(٤) الإسراء: ٦٠.

(٥) الفتح: ٢٧.

(٦) الدر المنثور: ٧: ١٠٤ عن رسول الله (ص)، وكذا في فردوس الأخيار: ٢: ٣٩٩ وهو في الأسماء

والصفات: ١٣٧ منسوب إلى بعض أهل التفسير منهم ابن عباس وعمرو بن عبيد.

(٧) أمالي المرتضى: ٢: ٣٩٤.

(٨) في (ح): مَنَى - وهو تحريف.

يَتَعَنَّى، كَالْإِنْسَانِ يَقْدُرُ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُ فِكْرًا، وَتَحْيِيلًا.

وَسَأَلَ رَجُلٌ مُعَبَّرًا، فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، يَقْتَتِلَانِ، وَتَنَاطَرَتِ الْكَوَاكِبُ فِيهَا بَيْنَهُمَا! فَقَالَ لَهُ: مَعَ أَيِّمَا كُنْتَ؟ قَالَ: مَعَ الْقَمَرِ! فَقَرَأَ الْمُعَبَّرُ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَن حَمَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾^(١)، كُنْتَ مَعَ الظُّلْمَةِ عَلَى النُّورِ. فَقُتِلَ الرَّجُلُ مَعَ مَعَاوِيَةَ فِي صَفِينٍ.

وَقَالَ رَجُلٌ لِعَلِيٍّ^(٢) بِنِ الْحُسَيْنِ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - : رَأَيْتُ فِي مَنَامِي، كَأَنِّي أَبُوؤُ فِي يَدَيَّ!! فَقَالَ: تَحْتَكِ مَحْرَمٌ^(٣). فَانظُرُوا، فَإِذَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ رَضَاعٌ.

وَقَالَ رَجُلٌ لِلرُّضَا^(٤) - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فِي الْمَنَامِ، يَقُولُ لِي: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا دُفِنَ فِي أَرْضِكُمْ بَعْضِي، وَاسْتُحْفِظْتُمْ وَدِيَعَتِي، وَغُيِّبَ فِي تَرَاكُمِ لَحْمِي؟

فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : أَنَا الْمَدْفُونُ فِي أَرْضِكُمْ، وَأَنَا بَضْعَةٌ مِنْ نَبِيِّكُمْ، وَأَنَا الْوَدِيعَةُ، وَاللَّحْمُ الْخَبْرُ.



(١) الإسراء: ١٢.

(٢) ربيع الأبرار: ٤: ٣٣٧.

(٣) في (ك): محرم. بتشديد الراء.

(٤) عيون أخبار الرضا: ٢: ٢٥٧. باختلاف يسير في اللفظ. أمالي الصدوق: ٥٧.

فصل [-١٢-]

[في معنى العلم الذي أوتي قارون وفي كنوزه]

قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾^(١).

لم^(٢) يُقَلِّ قَارُونَ: أُوتِيْتُهُ بِعِلْمٍ. وَليْسَ - فِي اللُّغَةِ - أَنْ يُقَالَ: أُعْطِيْتُ كَيْتَ^(٣) عَلَىٰ عِلْمٍ، أَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ سَبَبًا لِلْعَطِيَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الْعِلْمَ كَثِيرٌ فَمَنْ أَيْنَ لَنَا أَنْ الْمُرَادَ بِهِ، الْكَيْمِيَاءُ؟

وَمَعْنَى الْآيَةِ: إِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنْ كُلِّ مَنْ يُؤْتِيهِ اللَّهُ مَالًا، أَنَّهُ يَقُولُ مِثْلَ مَا قَالَ قَارُونَ، وَكَمَا قَالَ: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾، رَدًّا عَلَيْهِ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ ﴾^(٤). يَعْنِي: امْتِحَانٌ، لَا اسْتِحْقَاقٌ. وَلَا تَعَلَّقَ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿ عِنْدِي ﴾، لِأَنَّهُ يَرِيدُ: أَنْ هَذَا كَمَا قُلْتُهُ فِيهَا أَرَاهُ، وَأَتَوَهَّمُهُ.

(١) القصص: ٧٨.

(٢) في (ش): ولم. مع الواو.

(٣) في (ك): اعطيتك. وفي (ح): اعطيت كذا.

(٤) الزمر: ٤٩.

وقالت المعتزلة: الكيمياء باطلٌ، لأنَّ أصحابه^(١)، يدَّعونَ قلبَ الجنسِ.
وعندنا أنَّه من المعجزاتِ، ولا يؤخذُ إلا بالوحي، مثل الطَّبِّ، والنُّجومِ.
وقالوا^(٢): إنَّ موسى علَّم قارونَ منها الثُّلثَ، وعلَّم يوشعَ الثُّلثَ، وعلَّم
ابن هارونَ الثُّلثَ، فخدَّعها^(٣) قارونُ.

ويقال^(٤): إنَّ موسى - عليه السلام - سألتُهُ امرأته^(٥) شيئاً، فقال: خذي من
هذا الثَّبتِ، فاجعليه على المسِّ، فإنَّه سيَصيرُ ذهباً.

فسمعَ منه قارونُ، ونهاها عن ذلك، وأعطاه شيئاً، واشتغلَ به.
وروي عن أمير المؤمنين - عليه السلام - أنَّه قال: هيَ أختُ النبوةِ،
وعصمةُ المرأةِ، والنَّاسُ يتكلَّمونَ فيها بالظَّاهرِ، وإنِّي لأعرفُ ظاهرها، وباطنها.
وقد نُسبَ إلى أئمتنا - عليهم السلام - في ذلك أشياء. والله أعلمُ.

/ ٢٢ / قوله - سبحانه - : ﴿وَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ

(١) في (أ): أصحاب. من دون الضمير (الهاء).

(٢) في الجامع لأحكام القرآن: ١٣: ٣١٥ منسوب هذا القول للنقاش.

(٣) في (ش): خدَّعها.

(٤) في الجامع لأحكام القرآن: ١٣: ٣١٥: إنَّ موسى علَّم أخته التي هي زوج قارون، فأخذها قارون
منها.

(٥) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): امرأة.

بِالْعُصْبَةِ^(١). يَحْتَمِلُ^(٢) أَنَّ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَ أَخْبَرَ قَارُونَ بِهَلَاكِ قَوْمِ
فِرْعَوْنَ، فَاسْتَسَلَفَ مِنْهُمْ، وَاسْتَعَارَ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَخْلَصَ لَهُ جَمِيعُ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُورِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٣).
لَا يَدُلُّ إِلَّا عَلَى غِنَاهُ.



(١) القصص: ٧٦.

(٢) في (ك) و(ها) و(أ) و(ح): تحتل.

(٣) القصص: ٧٩.

فصل [-١٣-]

[في السُّحر والعين والحسد]

قوله - تعالى - : ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾^(١).

ليس للسُّحر حقيقة، لأنَّ هذه اللَّفظة، تدلُّ على بطلان معناها، وآياتُ القرآن، تدلُّ على كفرِ فاعله - إذا^(٢) اعتقدَ صحَّته - وفسقِهِ، إن لم يعتقِدْ. قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُليْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾^(٥)، وقوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾^(٦).

(١) الفلق: ٤.

(٢) في (ش): فإذا.

(٣) البقرة: ١٠٢.

(٤) البقرة: ١٠٢.

(٥) البقرة: ١٠٢.

(٦) طه: ٦٩.

فَمَنْ اعْتَقَدَ قَلْبَ الْحَيَوَانِ مِنْ صُورَةٍ إِلَى صُورَةٍ، وَإِنْشَاءً^(١) الْأَجْسَامِ عَلَى وَجْهِ الْإِخْتِرَاعِ، وَطَاعَةَ الْجِنِّ وَالشَّيْطَانِ، وَتَحْوَاهَا مِنْ^(٢) زَخَارِفِهِمْ^(٣)، فَقَدْ كَفَرَ. لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ - مَعَ ذَلِكَ - الْعِلْمُ بِصِحَّةِ الْمَعْجَزَاتِ عَلَى النَّبَوَاتِ، لِأَنَّهُ أَجَازَ مِثْلَهُ مِنْ جِهَةِ السَّحْرِ.

وَالَّذِي يَتَحَقَّقُ مِنْ ذَلِكَ وَجوهٌ، مِنْهَا: التَّخْيِيلَاتُ. كَفَعَلَ الْمَشْعَبِذِ، يُرِي الشَّيْءَ بِخِلَافِ مَا هُوَ بِخَفَّةِ يَدِهِ. وَمِنْهُ: التَّوَصُّلُ بِالْأَدْوِيَةِ الَّتِي جَرَتْ الْعَادَةُ أَنَّ عِنْدَ شُرْبِهَا يَحْدُثُ حَوَادِثُ. وَمِنْهَا: أَنْ يَدْخُنَ بِهَا يَصُلُّ الدُّخَانُ إِلَى دِمَاقِهَا، فَيُحَدِّثُ نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ. وَمِنْهَا: أَنْ يُؤَلَّدَ لِفِعْلِهِ فِي مَسْحُورٍ^(٤)، بِشَرْطِ الْمَأْسِيَةِ. وَمِنْهَا: أَنْ يَفْعَلَ بِالنَّبِيْمَةِ مَا يُؤَدِّي إِلَى الضَّرْرِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي...﴾^(٥) الشُّورَةُ^(٦).

أَي: مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسَةِ الَّتِي تَكُونُ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ.

(١) فِي (ح): أَنْشَأَ. بِصِيغَةِ الْفِعْلِ الْمَاضِي.

(٢) (ش) وَ(هـ): وَمِنْ.

(٣) فِي (أ): جَازَ فِهِمْ.

(٤) فِي (ش): مَسْجُورٍ. بِالْجِيمِ الْمَعْجَمَةِ مِنْ تَحْتِ.

(٥) النَّاسِ: ٤، ٥.

(٦) سُورَةُ النَّاسِ: بِرَقْمِ: ١١٤ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

أَوْ قَلَّتْ: مِنْ شَرِّ ذِي الْوَسْوَاسِ، وَهُوَ الشَّيْطَانُ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ^(١): إِنَّهُ يَوْمَسُوسٌ، فَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ، خَنَسَ. فَأَمَّا ﴿وَالنَّاسِ﴾^(٢) عَطَفَ عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: مِنَ الشَّيْطَانِ الَّذِي هَذِهِ صِفَتُهُ. أَوْ قَلَّتْ: مِنْ شَرِّ ذِي الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ عَلَى الْعَمُومِ. ثُمَّ فَسَّرَ بِقَوْلِهِ: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾^(٣).

قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ - حِكَايَةٌ عَنْ يَعْقُوبَ -: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾^(٤).
 قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٥)، وَقَتَادَةُ^(٦) وَالضَّحَّاكُ^(٧)، وَالسُّدِّيُّ^(٨)، وَالْحَسَنُ^(٩)،

(١) مجمع البيان: ٥ : ٥٧١.

(٢) الناس: ٦.

(٣) الناس: ٦.

(٤) يوسف: ٦٧.

(٥) جامع البيان: ١٣ : ١٣. أيضاً: مجمع البيان: ٣ : ٢٤٩. الدر المنثور: ٤ : ٥٥٧. الجامع لأحكام القرآن: ٩ : ٢٢٦.

(٦) جامع البيان: ١٣ : ١٣. أيضاً: مجمع البيان: ٣ : ٢٤٩. الدر المنثور: ٤ : ٥٥٧. التفسير الكبير: ١٨ : ١٧٤. الجامع لأحكام القرآن: ٩ : ٢٢٦.

(٧) جامع البيان: ١٣ : ١٣. أيضاً: مجمع البيان: ٣ : ٢٤٩. الدر المنثور: ٤ : ٥٥٧. الجامع لأحكام القرآن: ٩ : ٢٢٦.

(٨) جامع البيان: ١٣ : ١٣. أيضاً: مجمع البيان: ٣ : ٢٤٩.

(٩) مجمع البيان: ٣ : ٢٤٩. التبيان في تفسير القرآن: ٦ : ١٦٧. الدر المنثور: ٤ : ٥٥٧. التفسير الكبير: ١٨ : ١٧٣.

والبلخي^(١)، والرَّمَانِي^(٢)، وأكثرُ المفسرينَ: إِنَّهُ خَافَ عَلَيْهِمُ الْعَيْنَ.
 وَقَالَ - تعالى - فِي حَقِّ نَبِيِّنَا - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾^(٣)، وقال: ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾^(٤).
 وقد فسره الصَّادِقُ^(٥) - عليه السلام - فقال: هُوَ الْعَيْنُ، وَالْعَيْنُ^(٦) حَقٌّ.
 وَهُوَ قَوْلُ النَّبِيِّ^(٧) - عليه السلام -^(٨) وقد عوَّذَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَقَالَ فِي
 عَوْدَتِهِ: وَأَعِيدُكُمَا مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ.
 وَالْمَعْوِذَتَيْنِ^(٩) لِأَجْلِهِنَّ سَمِّيَتَا.
 وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمُتَكَلِّمُونَ فِي ذَلِكَ: فَأَنْكَرَهُ أَبُو عَلِيٍّ^(١٠)، وَأَبُو الْقَاسِمِ^(١١).

(١) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

(٣) القلم: ٥١. والعبارة: «وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ نَبِيِّنَا... بِأَبْصَارِهِمْ» سقطت من (ح).

(٤) الفلق: ٥.

(٥) مجمع البيان: ٣: ٢٤٩.

(٦) في (هـ): للعين.

(٧) مجمع البيان: ٣: ٢٤٩. التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

(٨) في (ح): صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(٩) المعوذتان هما: سورة الفلق، وسورة النَّاسِ. وكان النَّبِيُّ - عليه السلام - يعوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ -

عليهما السلام - بالمعوذتين. انظر: مجمع البيان: ٥: ٥٦٩.

(١٠) هو أبو علي الجبائي. مجمع البيان: ٣: ٢٤٩. التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

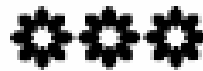
(١١) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

وَقَالَ الْجَاهِظُ^(١): لَا يُنْكَرُ أَنْ يَنْفَصَلَ مِنَ الْعَيْنِ الصَّائِبَةِ إِلَى الشَّيْءِ
الْمُسْتَحْسَنِ أَجْزَاءٌ لَطِيفَةٌ، وَيؤْتَرُ فِيهِ كَالْخَاصِيَّةِ.

ولو كان، كما قال، لما اِخْتَصَّ ذَلِكَ بِبَعْضِ الْأَشْيَاءِ دُونَ بَعْضٍ، وَلِأَنَّ
الْأَجْزَاءَ، جَوَاهِرُ مُتَمَاثِلَةٌ.

وَقَالَ الْحَسَنُ^(٢)، وَالرُّمَّانِيُّ^(٣)، وَالْقَاضِي^(٤): إِنَّ الْعَيْنَ تَحْصُلُ بِالْعَادَةِ مِنْ فِعْلِ
اللَّهِ، كَمَا يَحْصُلُ الشِّفَاءُ عِنْدَ الْأَدْوِيَةِ. وَهُوَ اخْتِيَارُ الْمُرْتَضَى^(٥).

وَقَالَ الطُّوسِيُّ^(٦): لَيْسَ يَمْتَنَعُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَجْرَى الْعَادَةِ، بِضَرْبٍ مِنَ الْمَصْلُحَةِ أَنَّهُ
مَتَى مَا نَظَرَ إِنْسَانٌ إِلَى غَيْرِهِ عَلَى وَجْهِ مَخْصُوصٍ، اِقْتَضَتْ الْمَصْلُحَةُ إِهْلَاكَهُ، أَوْ
إِمْرَاضَهُ، أَوْ إِتْلَافَ مَالِهِ.



(١) قول الجاهظ - هذا - بنصه في: مجمع البيان: ٣: ٢٤٩.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

(٤) مجمع البيان: ٣: ٢٤٩، التفسير الكبير: ١٨: ١٧٣.

(٥) مجمع البيان: ٣: ٢٤٩.

(٦) التبيان في تفسير القرآن: ٦: ١٦٧.

فصل [- ١٤ -]

[في معنى اللوح وفي معنى أم الكتاب]

قوله - تعالى - : ﴿ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾^(١).

قال أبو جعفر^(٢) بن بابويه: اللوح، والقلم، ملكان.

والملائكة لا تُسمى أقلاماً، ولا ألواحاً.

وَقَالَ الشَّيْخُ المَفِيدُ^(٣): اللوح، كتابُ الله - تعالى - كتبَ فيه ما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ. يوضِّحُه: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾^(٤) والقلم هو ما أحدثَ اللهُ به^(٥) الكتابةَ فيه، وجعلَ اللوحَ، أصلاً، لتعرفَ الملائكةُ منه من غيبٍ، أو وحي. وإنما سُمِّيَ اللوحُ الَّذي يُكتبُ فيه، لأنَّه نُجِّتَ على تلكَ الهيئة. وكذلك

(١) البروج: ٢٢.

(٢) شرح عقائد الصِّدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢٢٠. معاني الأخبار: ٣٠ عن جعفر الصادق (ع).

(٣) شرح عقائد الصِّدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢٢٠.

(٤) الأنبياء: ١٠٥.

(٥) (به) سقطت من (ح).

قوله: ﴿ وَخَلَقْنَا عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُوسِرٍ ﴾^(١). ورجلٌ عظيمُ الألواحِ، أي: اليدين، والرجلين. ولو عني به ما ذكروه، لعرفه، لأنه مقصودٌ، مخصوصٌ. وإنما ينكسر الشيء متى ما كان ذا جنسٍ، وأشباهه.

وأصل اللوح: التلألؤ. من: لاح الشيء: يلوخ، ولاح البرق. فمعنى ﴿لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾: إنه قرآنٌ شريفٌ / ٢٣ / في نظمٍ عجيبٍ، يتلأأ حسناً محفوظاً.

قوله - سبحانه - : ﴿ وَإِنَّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ ﴾^(٢). إنه لا تعلق فيه. وأمُّ كلُّ شيءٍ: أصله. يقال: أمُّ القرى، أمُّ الولد، ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾^(٣). وقد فسره^(٤) الله - تعالى - فقال: ﴿ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾^(٥).

قوله - سبحانه - : ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ ﴾^(٦).

(١) القمر: ١٣.

(٢) الزخرف: ٤.

(٣) القارعة: ٩.

(٤) في (هـ): فسر.

(٥) آل عمران: ٧.

(٦) النمل: ٧٥.

فَاللُّوحُ لَا يُسَمَّى كِتَابًا، وَإِذَا فُسر بِهِ، فَاَلْتَعَلَّقُ بِهِ عَادِلٌ عَنِ الظَّاهِرِ، ثُمَّ: إِنَّ اللَّهَ وَصَفَهُ^(١) بِذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ، فَقَالَ: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾^(٢) ﴿حَمِّمْنَا الْكُتُبَ وَالْقُرْآنَ الْمُبِينِ﴾^(٣). فَكَأَنَّهُ قَالَ: لَا غَائِبَةٌ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، إِلَّا وَذَلِكَ مُبَيَّنٌّ فِي الْقُرْآنِ، لِقَوْلِهِ: ﴿مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٤). وَيَدُلُّ عَلَيْهِ عُنُقُ الْآيَةِ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ﴾^(٥).



قوله: سبحانه: ﴿وَكَلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ﴾^(٦).

وَاللُّوحُ لَا يُسَمَّى إِمَامًا، وَيُسَمَّى الْقُرْآنُ إِمَامًا. وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي كَيْفِيَّةِ ذَلِكَ:

فَقَالَ الْبَلْخِيُّ^(٧)، وَالْجَبَّائِيُّ، وَالرُّمَّانِيُّ: إِنَّهُ عَلَامَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ لِلْمَلَائِكَةِ، إِذَا

(١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): وضعه. بالضاد المعجمة بعدها عين مهملة.

(٢) إبراهيم: ١.

(٣) الزخرف: ١، ٢.

(٤) الأنعام: ٣٨.

(٥) النمل: ٧٦.

(٦) يس: ١٢.

(٧) أوائل المقالات: ١٥٨ - ١٥٩ وفيه: وهذا مذهب أبي القاسم البلخي وجماعة من أهل العدل.

وفي البدء والتاريخ لأبي زيد البلخي: ١: ١٦١: «قال أكثر المفسرين».

سَمِعُوهَا، عَلِمُوا أَنَّهُ أَحَدُتْ أَمْرًا، كَمَا قَالَ: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آتِيَا طَوْعًا أَوْ
كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(١).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْأَمْرَ خَاصٌّ فِي الْمَوْجُودِينَ الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ: ﴿كُونُوا
قِرْدَةً خَاسِئِينَ﴾^(٢)، وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُمْ لِأَنَّهُ لَا يُؤْمَرُ الْمَعْدُومُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهُ أَمْرٌ لِلْمَعْدُومِ مِنْ حَيْثُ هُوَ - اللَّهُ - مَعْلُومٌ، فَصَحَّ أَنْ
يُؤْمَرَ، فَيَكُونُ.

وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهَا خَاصَّةٌ فِي الْمَوْجُودَاتِ مِنْ إِمَائَةِ الْأَحْيَاءِ، وَإِخْيَاءِ الْمَوْتَى،
وَمَا جَرَى مَجْرَى ذَلِكَ.

[و] ^(٣) الجواب، الأول، صحيح، وما سواه مُعْتَرَضٌ عَلَيْهِ.

وَقَالَ الطُّوسِيُّ^(٤): إِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَثَلِ، وَمَعْنَاهُ: إِنَّ^(٥) مَنَزِلَةَ الْفِعْلِ فِي الشُّهُولَةِ،
وِانْتِفَاءِ التَّعَدُّرِ، كَمَنْزِلَةِ مَا يُقَالُ لَهُ: كُنْ، فَيَكُونُ. كَمَا يُقَالُ: قَالَ فُلَانٌ بِرَأْسِهِ: كَذَا،
وَقَالَ بِيَدِهِ: كَذَا. إِذَا حَرَّكَ رَأْسَهُ، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ. وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا فِي الْحَقِيقَةِ^(٦)، قَالَ

(١) فضلت: ١١.

(٢) البقرة: ٦٥.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ش) و(ك) و(هـ) و(أ).

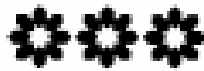
(٤) التبيان في تفسير القرآن: ٩: ١١٠ - ١١١.

(٥) في (ك): إنّه.

(٦) في (أ): في الحقيقة قدر.

الشاعر^(١):

إمْتَلَأَ الْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي مَهْلًا زُوَيْدًا قَدَمَلَاتَ بَطْنِي
وهذا وجهٌ صحيحٌ.



(١) الكامل: ٢: ٩١ وفيه: «قد حنق الحوض... سألًا زويدًا» ولم ينسبه. مجالس ثعلب: ١: ١٥٨

وفيه: «سألًا زويدًا» الزاهر: ٢: ٣٣٥ منسوباً إلى أبي النجم وفيه: «سألًا زويدًا...» الخصائص:

٢٣: ١ ولم ينسبه: متشابه القرآن: ١: ١٠٨ بلا عزو. التبيان في تفسير القرآن: ١: ٤٣٦، ٨: ٨٥

بلا عزو.

فصل [-١٥ -]

[في معنى الكرسيّ وفي الروح]

قوله - تعالى^(١) - ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٢).

إن كان أرادَ كُرْسِيًّا بعينه، فهو كما قال - تعالى - ويجوز أن يكونَ مقدرته^(٣)، وسلطانه. يُقال: فلانٌ كريمُ الكرسي. أي: الأصل. قال الشاعر^(٤):
 تحفُّ بهِ بيضُ الوجوهِ وعصبَةٌ كراسيُّ بالأحداثِ حينَ تنوبُ
 ويقال: وَسِعَ عِلْمُهُ السَّمَاوَاتِ، وَالْأَرْضَ. والكراسيُّ^(٥): العلماءُ.

(١) في (ح): سبحانه.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) في (هـ): بقدرته.

(٤) جامع البيان: ٣: ١١. نكت الانتصار لنقل القرآن: ١٥٣ الثبيان في تفسير القرآن: ٢: ٣٠٩.

أساس البلاغة (كرس). مجمع البيان: ١: ٣٦١ وفيه: تحفُّ بهم... تنوب، وكلها بلا عزو،

وكذا: في البدء والتاريخ: ١: ١٦٧. الجامع لأحكام القرآن: ٣: ٢٧٧. الأساس لعفاند

الأكياس: ٧٧ معزو إلى أبي ذؤيب الهللي وليس في ديوانه.

(٥) أساس البلاغة (كرس). لسان العرب (كرس).

وَالْكُرْأَسَةُ: جُزْءٌ مِنَ الْعِلْمِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ وَنَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾^(١).
اختلفَ النَّاسُ فِي الرُّوحِ: أَنَّهُ جِسْمٌ، أَوْ عَرَضٌ؟

ولغة العرب، تدلُّ عليها. قولهم: كلُّ ذي روحٍ، فحكمها كذا. وقولهم -
فيمن مات - : خرجتْ مِنْهُ الرُّوحُ. وهذه صورةٌ لم تَلِجْهَا^(٢) الرُّوحُ.

وَقَالَ الْبَلْخِيُّ^(٣): هُوَ الْحَيَاةُ الَّتِي يَتَهَيَّأُ^(٤) بِهَا الْمَحَلُّ، لِوُجُودِ الْقُدْرَةِ، وَالْعِلْمِ،
وَالِاخْتِيَارِ. وَاخْتَارَهُ الشَّيْخُ الْمَفِيدُ^(٥).

وَقَالَ أَكْثَرُ الْمُتَكَلِّمِينَ: إِنَّهُ جِسْمٌ، رَفِيقٌ. هَوَانِي^(٦) مَرْدَّدٌ فِي مَخَارِقِ الْحَيَوَانِ،
بِهَا يَتَمُّ كَوْنُ الْحَيِّ حَيًّا^(٧). وَاخْتَارَهُ الْمُرْتَضَى^(٨)، وَالطُّوسِي^(٩). يُوَضِّحُ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

(١) الإسراء: ٨٥.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): تلجه.

(٣) مجمع البيان: ٣: ٤٣٧. البدء والتاريخ: ٢: ١٢٦، ١٢٩.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): تتهياً. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٥) شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢٢٥.

(٦) في (هـ): هواء. من دون ياء النسب.

(٧) (حياً) ساقطة من (أ).

(٨) أمالي المرتضى: ١: ١٢.

(٩) الثبيان في تفسير القرآن: ٦: ٥١٥.

﴿ فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴾^(١). والبلوغُ، فعلٌ، والفعلُ لا يتأني من العَرَضِ.

وَقَالَ يُونَانِي^(٢) لِحَبِيبِهِمْ: أَخْبَرَنِي عَنْ مَعْبُودِكَ هَذَا، أَرَأَيْتَهُ قَطُّ؟

قَالَ: لَا. قَالَ: فَلَمَسْتُهُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَشَمَمْتُهُ؟

قَالَ: لَا. قَالَ: فَذُقْتُهُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَسَمِعْتُهُ؟

قَالَ: لَا. قَالَ: فَمِنْ أَيْنَ عَرَفْتُهُ؟

قَالَ: جَهَنَّمَ: فَهَلْ رَأَيْتَ رُوحَكَ، أَوْ شَمَمْتُهُ، أَوْ ذُقْتُهُ، أَوْ سَمِعْتُهُ، أَوْ لَمَسْتُهُ؟

قَالَ: لَا. قَالَ: فَكَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّ لَكَ رُوحاً؟



(١) الواقعة: ٨٣.

(٢) الاحتجاج: ١ : ٨٤. الرد على الزنادقة والجهنمية لأحمد بن حنبل (ضمن كتاب عقائد السلف):

٦٥، ٦٦. العقد الفريد: ٢ : ٢٢٥.

فصل [- ١٦ -]

[المعارف ليست ضرورية إلا معرفة الله]

قوله - تعالى - : ﴿ فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾^(١).

يدلُّ على بطلان قول من يقول: إنَّ المعارفَ، ضروريةٌ، لأنه - تعالى - أخبرَ أنَّهم في شكِّهم يتردَّدون. وهذه صفةُ الشاكِّ، المتحرِّر في دينه، الذي ليسَ على بصيرةٍ من أمره.

قوله - سبحانه - : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾^(٢).

يدلُّ على بطلان قول من قال: إنَّ المعارفَ، ضروريةٌ، لأنَّ الله - تعالى - أخبرَ عنهم أنَّهم لم يَكُونُوا مُشْرِكِينَ عندَ أنفسهم في دارِ الدنيا، وأنَّ اللهَ كذَّبَهُمْ،

(١) التوبة: ٤٥.

(٢) الأنعام: ٢٣.

وأَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَإِنْ اَعْتَقَدُوا خِلَافَهُ فِي الدُّنْيَا.
فَأَمَّا مَعَارِفُهُمْ فِي الْآخِرَةِ [فهي] ^(١) ضَرُورِيَّةٌ، حَاصِلَةٌ عَلَى وَجْهِهِمْ
مُلْجَاوِنٌ إِلَيْهَا. فَعَلَى الْوَجْهِينِ جَمِيعًا، لَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ مِنْهُمْ الْقَبِيحُ لَا مَحَالَةَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُبْلِكُونَ إِلَّا
أَنْفُسَهُمْ ﴾ ^(٢). فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى قَوْلٍ مِنْ قَالَ: إِنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ، ضَرُورِيَّةٌ، وَإِنَّ مَنْ
لَا يَعْرِفُ [اللَّهُ، وَلَا يَعْرِفُ] ^(٣) نَبِيَّهُ، لَا ^(٤) حُجَّةَ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى / ٢٤ / بَيَّنَّ أَنَّ
هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ، قَدْ أَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ، بِنَهْيِهِمْ عَنْ قَبُولِ الْقُرْآنِ، وَتَبَاعُدِهِمْ عَنْهُ،
وَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ بِأَهْلَاكِ أَنْفُسِهِمْ بِذَلِكَ. فَلَوْ كَانَ مَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ. وَلَا نَبِيَّهُ، وَلَا
دِينَهُ، لَا ^(٥) حُجَّةَ عَلَيْهِ، لَكَانَ هَؤُلَاءِ مَعْذُورِينَ، وَلَمْ يَكُونُوا هَالِكِينَ. وَذَلِكَ
خِلَافٌ مَا ^(٦) نَطَقَ بِهِ ^(٧) الْقُرْآنُ.

(١) زيادة يقتضياها السياق.

(٢) الأنعام: ٢٦.

(٣) ما بين المعرفتين ساقطة من (ش).

(٤) في (ش): وآ، مع الواو.

(٥) في (ش): ولا: مع الواو.

(٦) في (هـ): مَنْ

(٧) (به): ساقطة من (ل).

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ مُخْسِنُونَ صُنْعًا ﴾^(١).

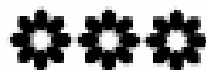
في الآية دلالة على أن المعارف، ليست ضرورة، لما حَسِبُوا غَيْرَ ذَلِكَ، لأنَّ
الضَّرُورِيَّاتِ، لا شكَّ فيها.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ فَاعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾^(٢).

دالٌّ على أن معرفة الله، باكتسابٍ، لأنَّها لو كانت ضرورةً لَمَا أَمَرَ بِهَا.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾^(٣).

فيها دلالة على فساد قول من يقول: إنَّ المعارف، ضرورة، لأنَّها لو كانت
ضرورةً، لما حاجَّ إبراهيمُ للكافر، ولا ذَكَرَ لَهُ الدَّلَالَاتِ على إثبات الصَّانع،
وفيها دلالة على فساد التَّقْلِيدِ، وحسن المحاجَّةِ، والجدالِ.



(١) الكهف: ١٠٤.

(٢) محمد: ١٩.

(٣) البقرة: ٢٥٩.

فصل [-١٧-]

[في الحث على النظر والتدبر]

إعلم أن الله - تعالى - قد حث على النظر في طريق معرفته، فقال: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ ﴾^(١)، ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾^(٢)، ﴿ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾^(٣)، ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾^(٤)، ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^(٥)، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾^(٦)، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^(٧)، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾^(٨)، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٩)، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

(١) الغاشية: ١٧.

(٢) القصص: ٧٢، الزخرف: ٥١، الذاريات: ٢١.

(٣) السجدة: ٢٦.

(٤) يونس: ٣، هود: ٢٤، ٣٠، النحل: ١٧، المؤمنون: ٨٥، الصافات: ١٥٥.

(٥) البقرة: ٧٦. وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم.

(٦) الرعد: ٤.

(٧) الرعد: ٣، الروم: ٢١، الزمر: ٤٢، الجاثية: ١٣.

(٨) يونس: ٦٧.

(٩) النمل: ٥٢.

(١٠) الحجر: ٧٧، العنكبوت: ٤٤.

لِلْمُتَوَسِّمِينَ^(١)، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾^(٢)، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَرَحْمَةً﴾^(٣)، ﴿إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَجْحَدُ﴾^(٤)، ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾^(٥)، ﴿أَفَلَمْ
يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ﴾^(٦)، ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ﴾^(٧)، ﴿قُلْ انظُرُوا
مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾^(٨)، ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾^(٩)، ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ
خُلِقَ﴾^(١٠)، ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ﴾^(١١)، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ﴾^(١٢).

وَقَالَ النَّبِيُّ^(١٣) - عليه السلام - : من عَرَفَ نَفْسَهُ، فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ. وقال^(١٤) -

عليه السلام - : أَعْرَفَكُم بِنَفْسِهِ، أَعْرَفَكُم بِرَبِّهِ.

(١) الحجر: ٧٥.

(٢) ق: ٣٧.

(٣) العنكبوت: ٥١.

(٤) طه: ٣.

(٥) الروم: ٨.

(٦) ق: ٦.

(٧) الأعراف: ١٨٥.

(٨) يونس: ١٠١.

(٩) عبس: ٢٤.

(١٠) الطارق: ٥.

(١١) الغاشية: ١٧.

(١٢) الفرقان: ٤٥.

(١٣) الاحتجاج: ١: ٨٧. غرر الحكم ودرر الكلم للأمدى: ٢٣.

(١٤) الاحتجاج: ١: ٨٧. أمالي المرتضى: ٢: ٣٢٩. غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٣.

وَقُرَّبَ^(١) إِلَى زَيْنِ الْعَابِدِينَ - عَلَيْهِ السَّلَام - طُهُورُهُ فِي وَقْتِ وِزْدِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ، لِيَتَوَضَّأَ، فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَجَعَلَ يُفَكِّرُ فِي خِلْقَتِهَا، حَتَّى أَصْبَحَ.

وَتَرَى^(٢) إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَام - فِي غَارٍ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْهُ، رَأَى الْكَوَاكِبَ، ثُمَّ الْقَمَرَ، ثُمَّ الشَّمْسَ، فَقَالَ - عَلَى سَبِيلِ الْفِكْرِ، أَوْ قَبْلَ الْبُلُوغِ، أَوْ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ، أَوْ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِفْهَامِ -: ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾^(٣).

قَوْلُ^(٤) الشَّاعِرِ^(٥):

مَا رَاحَ يَوْمٌ عَلَى حَيٍّ وَلَا يَنْكَرَا إِلَّا رَأَى عِزَّةً فِيهِ إِنْ عَتَبَرَا^(٦)
وَجَاءَ سُوفِسْطَانِي^(٧) إِلَى مُتَكَلِّمٍ مُنَاطِرًا - وَهُوَ رَاكِبٌ - فَأَمَرَ الْمُتَكَلِّمَ أَنْ تُغَيِّبَ^(٨) دَابَّتَهُ، فَلَمَّا أَرَادَ الْإِنْصِرَافَ، لَمْ يَجِدْهَا، فَقَالَ لِلْمُتَكَلِّمِ: فَقَدْتُ دَابَّتِي! فَقَالَ: أَوْ رَاكِبًا جِثَّتْ؟ فَلَعَلَّكَ جِثَّتْ رَاكِبًا، وَتَخَيَّلَ إِلَيْكَ الرُّكُوبُ، أَوْ^(٩) تَكُونُ

(١) الاحتجاج: ١: ٨٧.

(٢) في (ك): تَرَى.

(٣) الأنعام: ٧٦، ٧٧، ٧٨.

(٤) (قول) سقطت من (هـ) و(أ) و(ح). وفي (ح): شاعر. من دون (أل).

(٥) الكامل: ٢: ١٤ معزواً في جملة أبيات إلى ابن عيينة.

(٦) في (هـ): ما راح يوماً.

(٧) فرق وطبقات المعتزلة: ٩٤ منسوبة إلى أبي القاسم البلخي.

(٨) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يغيب. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٩) في (ش) و(ك) و(أ): وتكون. مع الواو.

ظاناً، أو ناسياً؟

قال: لستُ بِنَائِمٍ، وَلَا مَغْلُوبٍ!

فقال المتكلمُ: كَيْفَ تَدْعِي أَنَّهُ لَا حَقِيقَةَ لشيءٍ، وَأَنَّ الْأَشْيَاءَ بظنُّ،

وبحسبٍ، وَأَنَّ حَالَ الْيَقْظَانِ^(١) كحَالِ النَّائِمِ!

قال: فوجمَّ السُّوفِطَانِي^(٢)، وَرَجَعَ عَنِ مَقَالِهِ^(٣).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾^(٤).

قال ذلك لقوم، كانوا غيرَ مقرِّينَ، بما أُخْبِرُوا بِهِ مِنْ شَأْنِ الْأُمَمِ، قَبْلِهِمْ،

لأَنَّ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ، كَانَ مَقْرَأً بِذَلِكَ. وَمَنْ كَانَ مُنْكَرًا مِنْهُمْ، فَإِنَّهُ دُعِيَ - بِهَذِهِ الْآيَةِ -

إِلَى النَّظَرِ، وَالتَّدْبِيرِ، ليعرفَ، بِذَلِكَ مَا عَرَفَهُ غَيْرُهُ.

وسأل ابنُ أبي العوجاء^(٥)، الصَّادِقَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - دليلاً على حدوثِ^(٦)

العالمِ.

(١) في (هـ): اليقضان. بالضاد المعجمة.

(٢) في (هـ): السوفطاني.

(٣) فرق وطبقات المعتزلة: ٩٤. منسوباً إلى أبي القاسم البلخي.

(٤) الأنعام: ٦.

(٥) التوحيد: ٢٩٧. الكافي: ٧٧. الاحتجاج: ٢: ٧٦.

(٦) في (ش) و(ك) و(أ): حدث.

فقال - عليه السلام - ما وجدتُ شيئاً صغيراً، ولا كبيراً، إلا وُضِمَّ إليه مثله، صَارَ أكبر، وفي ذلك زَوَالٌ، وانتَقَالَ عَنِ الْحَالَةِ الْأُولَى، وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَمَا زَالَ، وَلَا حَالٌ، لِأَنَّ الَّذِي يَزُولُ، وَيَحُولُ، يَجُوزُ أَنْ يُوْجَدَ، وَيَبْطُلَ، فَيَكُونُ وَجُودُهُ بَعْدَ عَدَمِهِ [دخولاً] ^(١) في الحديث، وفي كونه في الأزَلِ دخوله في القَدَمِ، ولن يجتمع صفةُ الأزَلِ، والحديث، في شيءٍ واحدٍ.

وَقَالَ [الصَّادِق] ^(٢) - عليه السلام - لابنِ أَبِي العَوجَاءِ - وقد سَمِعَ مِنْهُ: لَسْتُ بِمَصْنُوعٍ -: فلو لم تكن مصنوعاً، كيف كنتَ تكونُ؟
وقيل ^(٣) لِلرُّضَا ^(٤) - عليه السلام -: ما الدليلُ على حدوثِ ^(٥) العالمِ؟
قال: أنتَ لم تكنِ ثمَّ كنتَ، وقد علمتَ أنَّكَ [لا] ^(٦) تكونُ ^(٧) نفسَكَ، ولا كونَكَ من هو مثلكَ.

وأصغى الباقر ^(٨) - عليه السلام - إلى إتحالِ بعضِ المعطَّلةِ، ثمَّ قال:

(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ). والخبر في التوحيد: ٢٩٣. الكافي ١: ٧٦، الاحتجاج: ٢: ٧٢.

(٣) التوحيد: ٢٩٣. أمالي الصدوق: ٣١٤. الاحتجاج: ٢: ١٧١. الأرشاد: ٣١٦.

(٤) في (ك) و(أ): الرضا. من دون حرف الجر (اللام).

(٥) في (ش) و(ك) و(أ): حدث.

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيهما المقام.

(٧) في (ك): تكن.

(٨) التوحيد: ٢٥ - ٢٥١ بلفظ مختلف. الاحتجاج: ١: ٨٩.

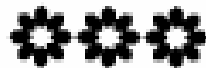
أرأيت إن كان ما تقولهُ، وتُثبتهُ مِن هذِهِ، حقاً يضرُّنا ما نَحْنُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: لا. قَالَ:
فإن كان ما تقولهُ^(١) حقاً، وما تقولهُ أنت باطلاً، يُمكنك أن تستقبل العمل بعد
الموت؟ قَالَ: لا.

قال: فأبي الحالين أفضل عندك؟ [حالٌ تُوجدُ عندك]^(٢) للحاجة إليها، أو
حالٌ تُخزي، وتُورثُ الندم.

وحسبُ العاقلِ، هذا، من عزِّ أولياءِ الله، وِخزيِ أعدائه.

شعر^(٣):

جميعُ ما تشهدهُ مؤلفٌ مُرتكبٌ، منوعٌ، مصنفٌ^(٤)



(١) في (ك): تقوله. بقاء المضارعة المثناة من فوق.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٣) (شعر) ساقطة من (أ). وهي في (هـ): شاعر.

(٤) لم نقف على قائله ولا مورد أخذه.

فصل [- ١٨ -]

[في كون العاقل مطالباً بالحجة وفي ذم التقليد]

قوله - تعالى - : ﴿لِمُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(١).

فيها دلالة على أن العاقل، لا يعذر في الإقامة على الدعوى^(٢) بغير حجة، لما^(٣) فيه من البيان^(٤) على الفساد، والانتقاص، ولأن العقل طريق إلى العلم، فكيف يضل عن الرشيد من قد جعل إليه السبيل؟

قوله - سبحانه - : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ الآية^(٥).

(١) آل عمران: ٦٥.

(٢) في (أ): الدنى.

(٣) في (ش) و(ك) و(أ): لها.

(٤) في (ح): البيان. بنون موحدة من فوق قبل الألف. وهو تحريف.

(٥) آل عمران: ٦٤، وثلاثها: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَكَانُوا هُنَا أُمَّةً وَاحِدَةً أَلَا نَجْعَدُ إِلَّا إِلَٰهًا وَاحِدًا يَلْعَبُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ كَلِمَاتٍ بَيْنَهُنَّ لُغُوبٌ وَأَنزَلْنَاهَا فِي قُلُوبِهِمْ لِيَتَكْفُرُوا وَاللَّهُ يَكْفُرُ عَنِ الْقَوْمِ الْغَافِلِينَ﴾.

لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَ عَدِيٌّ^(١) بِنِ حَاتِمٍ: مَا كُنَّا^(٢) نَعْبُدُهُمْ بِأَرْسُولِ
اللَّهِ.

فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: أَمَا^(٣) كَانُوا يُحِلُّونَ لَكُمْ، وَيُحَرِّمُونَ، فَتَأْخُذُونَ
بِقَوْلِهِمْ؟ قَالَ: نَعَمْ.

فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: هُوَ ذَاكَ.

الصَّادِقُ^(٤) - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي هَذِهِ الْآيَةِ: وَاللَّهُ مَا صَلَّوْا^(٥)، وَلَا صَامُوا،
وَلَكِنْ أَحَلُّوْا لَهُمْ حَرَامًا، وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمْ حَلَالًا، فَعَبَدُوهُمْ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ الْآيَاتَانِ^(٦).

(١) المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب - عليه السلام - : ١٣٩ . مجمع البيان: ١ : ٤٥٥ .

(٢) في (أ) : أكنَّا . مع همزة الاستفهام

(٣) (أنا) ساقطة من (أ) .

(٤) الكافي: ١ : ٥٣ ، ٢ : ٣٩٨ . شرح عقائد الصِّدِّيقِ أَوْ تَصْحِيحِ الْاِعْتِقَادِ: ٢١٩ مجمع البيان: ١ :

٤٥٥ .

(٥) في (أ) : أصَلُّوا

(٦) الْآيَاتَانِ: ١٧٠ ، ١٧١ من سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا

عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْا كَمَا أَنْزَلُوا كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ. وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ

بِهَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمْرٌ قَلِيلٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾

قال ابن عباس^(١) - في هذه الآية^(٢) -: دعا النبي - عليه السلام - الكفار، واليهود، إلى الإسلام، فقالوا^(٣): بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا.
 الصادق^(٤) - عليه السلام - من أخذ دينه من أفواه الرجال، أزالته الرجال، ومن أخذ دينه من الكتاب، والسنة، زالت الجبال، ولم يزل.
 إن الله - تعالى - ذمهم على تقليد آبائهم، ووئخهم على ذلك، ولو جاز التقليد، لم يتوجه^(٥) إليهم توبيخ، ولا لوم. وقد ذم الله التقليد في آيات: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٦)، ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾^(٧)، ﴿فَلَيْمَ مُحَاجُونَ فِيهَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٨)، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٩)، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(١٠)، ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي﴾^(١١). وحكى

(١) مجمع البيان: ١: ٢٥٤. الدر المنثور: ١: ٤٠٥. الجامع لأحكام القرآن: ٢: ٢١٠.

(٢) (هذه) ساقطة من (أ).

(٣) في (ك): فقال.

(٤) شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢١٩.

(٥) في (أ): نتوجه. بنون المضارعة الموحدة.

(٦) الحج: ٣.

(٧) يونس: ٣٦.

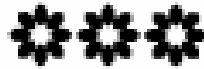
(٨) آل عمران: ٦٦.

(٩) الأنعام: ١٠٤.

(١٠) الإسراء: ٣٦.

(١١) البقرة: ١٢٠.

عن إبراهيم - عليه السلام - : ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَائِلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ؟ قَالُوا
 وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ : لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(١).



(١) الأنبياء: ٥٢-٥٣-٥٤.

فصل [- ١٩ -]

[في معرفة الله]

قوله - تعالى - : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾^(١).

وقيل للنبي^(٢) - عليه السلام - : بم^(٣) عرفت ربك؟ قال^(٤): بما عرفني ربي.
قيل: وكيف عرفك؟

قال: لا تُشبههُ صورةً، ولا يُحسُّ^(٥) بالحواس، ولا يُقاسُ بقياس^(٦)
الناس^(٧).

وقال - عليه السلام - لآخر -: بالنوم مرّةً، وباليقظة أخرى، فلولا مدبرٌ،
وصانعٌ، يأتي بأحدٍهما مرّةً، وبالآخر، أخرى، لبقيتُ على صفةٍ واحدةٍ، فلما

(١) الذاريات: ٢١.

(٢) الكافي: ١: ٨٦. التوحيد: ٢٨٥. الهداية: ٤. أمالي المرتضى: ١: ١٤٩.

(٣) في (هـ): بيّ.

(٤) (قال): ساقطة من (أ).

(٥) في (هـ): يُحاس.

(٦) (بقياس الناس): ساقطة من (أ).

(٧) في (هـ): بالناس.

رأيتُ زوالَ الصُّفَةِ الأولى، وحدثَ الصُّفَةِ الأخرى، عرفتُ أنه لأجلِ مدبِّرِ صانعِ فَعَلَهُ.

وقال^(١) - عليه السلام - لآخر -: بفسخ العزائم، وحل العقود.

وقال^(٢) - عليه السلام -: إعرفوا اللهَ بالله. أي: بنصب أدلته على نفسه.

وقيل للصَّادق^(٣) - عليه السلام -: ما الدليلُ على أن للعالم صانعاً؟ قال:

أكبرُ الأدلَّة، في نفسي، لأنِّي وجدتها لا^(٤) تعدو أحدَ أمرين: إمَّا أن أكونَ خلقتها، وأنا موجودٌ، وإيجادُ الموجودِ، محالٌّ. وإمَّا أن أكونَ خلقتها، وأنا معدومٌ، فكيفَ يخلقُ لا شيءٌ؟ فلما رأيتها فاسدين من الجهتين جميعاً، علمتُ أنِّي صانعاً، ومدبِّراً.

محمدُ بنُ عليٍّ الخراساني: قال الرُّضا^(٥) - عليه السلام - للزُّنديقِ الذي سأله

عن الدليلِ^(٦) على الله - تعالى -: إنِّي لما نظرتُ إلى جسدي، ولم يكن فيه^(٧) زيادةً،

(١) الخصال: ١: ٣٣ باختلاف يسير في اللفظ. وفي التوحيد: ٢٨٨، ٢٨٩ عن أمير المؤمنين عليه

السلام في جملة حديث. البدء والتاريخ: ١: ٧٢ منسوباً إلى عالم من بني اسرائيل.

(٢) الكافي: ١: ٨٥. التوحيد: ٢٨٢ عن أمير المؤمنين (ع) في جملة حديث.

(٣) التوحيد: ٢٩٠.

(٤) العبارة: «لا تعدو... خلقتها» ساقطة من (أ).

(٥) الكافي: ١: ٧٨. التوحيد: ٢٥١، عيون أخبار الرُّضا: ١: ١٣٢. الاحتجاج: ٢: ١٧١ - ١٧٢.

(٦) في (أ): الذي ليل.

(٧) في (ش) و(هـ): فيها.

ولا نقصانٌ في العرضِ والطُّولِ، ودفعِ المكارِهِ عنه، وجرُّ المنافعِ إليه، علمتُ أنَّ لهذا البُنيانِ بانياً، فأقررتُ - مع ما أرى من دَوْرانِ الفلكِ - بقدرتهِ، وإنشاءِ السَّحابِ، وتصريفِ الرِّيحِ^(١)، ومجرى الشَّمسِ، والقمرِ، والنُّجومِ، وغيرِ ذلك من الآياتِ البيناتِ، علمتُ أنَّ لها مقدراً، ومُنشئاً.

هشام بن الحكم: قَالَ الصَّادِقُ^(٢) - عليه السلام - لرجلٍ من الزُّنادقةِ -:
الدَّلِيلُ^(٣) عَلَى اللَّهِ، وَجُودُ الْأَفَاعِيلِ، الَّتِي دَلَّتْ عَلَى أَنَّ صَانِعاً صَنَعَهَا.

وقَالَ^(٤) لآخر: إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ حُصْناً مُلْتَزِقاً، أَمْلَسَ، لَا فُرْجَ فِيهِ، وَلَا خَلَلَ، ظَاهِرُهُ مِنْ فِضَّةٍ سَائِلَةٍ، وَبَاطِنُهُ مِنْ ذَهَبٍ^(٥) مَائِعَةٍ: يَنْفَلِقُ مِنْهُ طَاوُوسٌ، وَغُرَابٌ، وَنَسْرٌ، وَعَصْفُورٌ، فَعَلِمْتُ أَنَّ لِلْخَلْقِ صَانِعاً.

ابن جبير: عرفتُ رَبِّي بِالظَّاهِرِ، بِإِتْقَانِ التَّصْوِيرِ، وَالبَاطِنِ بِنَقْضِ التَّدْبِيرِ.
أعرابيٌّ: وَيَحْكُكُ! إِنَّ البَعْرَةَ تَدُلُّ عَلَى البَعِيرِ، وَالرُّوثَةَ^(٦) تَدُلُّ عَلَى الحَمِيرِ،
وَآثَارَ القَدَمِ تَدُلُّ عَلَى المَسِيرِ، فَهَيْكَلُ عُلُوبِيٍّ، بِهِذِهِ اللَّطَافَةِ، وَمَرَكِزُ سَفَلِيٍّ بِهِذِهِ

(١) في (هـ) و(أ): الرِّيحِ.

(٢) الكافي: ١ : ٨١، التوحيد: ٢٤٤. الاحتجاج: ٢ : ٦٩.

(٣) في (هـ) العبارة هكذا: «ما الدليل على الله؟ قال: وجود الأفاعيل...»

(٤) الاحتجاج: ٢ : ٧٢ بزيادة في اللفظ فيه. وكذا في الإرشاد: ٣١٦.

(٥) الذَّهَبُ: القطعة من الذهبِ. [المعجم الوسيط: (ذهب)].

(٦) العبارة: «الرُّوثَةُ تَدُلُّ... عَلَى المَسِيرِ» ساقطة من (أ).

الكثافة، أما يدلان على الصانع الخبير؟

آخر: وجدت أصدادا مجموعة / ٢٦ / فقلت: أجمعت بالطبع أم بالصنع؟
فنظرت فلم يكن في الطبع قبول الأفراد، فعلمت أنها من صنع صانع، رأيت
الورقة، والنورة^(١)، أكلته النحلة، والشرفة^(٢)، فتولدت من أحدهما، خلاف ما تولدت
من الآخر، فدلتني ذلك على أنها من صنع حكيم لطيف.

الأصبع: قال رجل لأمر المؤمنين - عليه السلام -^(٣): لقد قدم إلى حينا
رجل زنديق، يتكلم بكلام لا نعرفه، وأنا نخاف^(٤) أن يبطل^(٥) علينا ديننا، فإن
رأيت أن تعلمنا كلاماً، تبطل^(٦) به حجته، وتدحض^(٧) به مقالته، فافعل.

قال: فدعا - عليه السلام - بدواة، وبياض، وكتب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. من علي بن أبي طالب، وصي محمد النبي إلى عدو
الله، ومضّل عباده. أمّا بعد:

(١) النورة: الزهرة البيضاء. جمعها: نور. [المعجم الوسيط: (نور)].

(٢) الشرفة: دودة القر. جمعها: سرف. [المعجم الوسيط (سرف)]. وفي (هـ): الشرفة.

(٣) (عليه السلام) ساقطة من (أ).

(٤) في (هـ): تخاف. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٥) في (هـ): تبطل. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٦) في (هـ): تبطل. بنون المضارعة الموحدة من فوق.

(٧) في (ش) و(ك): ندحض. بنون المضارعة الموحدة من فوق.

فوقَ ذا العالمِ الَّذي نحنُ فيه
 عالمٌ واسعٌ كبيرٌ عظيمٌ
 أينَ ماءُ الغيومِ والرَّعدُ والبرقُ
 أينَ ماوى الظلامِ في مطلعِ الشمسِ
 أينَ ماوى الحرورِ أيامَ قرٍ
 أينَ فيضُ المرورِ إن نقصَ الماءُ
 أينَ ماوى النهارِ في جنديسِ الليلِ
 أينَ ماوى الثلوجِ أيامَ حرٍ
 أينَ ذا كلُّهُ يكونُ إذا ما
 كلُّ هذا الذي^(١) بدلُ [أن] لذا الخلقِ
 فلما قرأ الزنديقُ الكتابَ، هَرَبَ.

قوله - سبحانه - : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ

عَلَيْهِ ﴾^(٤)

(١) (أن) سقطت من ش.

(٢) في (هـ) و(أ): إذا.

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ): إذا.

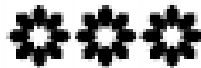
(٤) الرُّوم: ٢٧.

الأشياء كلها سواءً، عنده، والوجه فيه ما قال ابن عباس^(١): ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾. أي: هيّن عليه أوّل خلقه. قال ذو الرّمّة^(٢):

أخي قفراتٍ دبّيت في عظامه
شفاقاتٌ أعجاز الكرى وهو أخضع
يريد: خاضع^(٣). وقال معن بن أوس^(٤):

لعمرك ما أدري وإنّي لأوجّل
على أينما تعدو المنية أوّل
أي: وجّل^(٥).

ويحتمل أنه جواب قوله: ﴿قال من مجي العظام وهي رميم﴾. قل مجيها
الذي أنشأها أوّل مرّة^(٦)، لأنّ الإنشاء أصعب من الإعادة^(٧).



(١) نسب في مجمع البيان: ٤: ٣٠٢ إلى ابن عباس غير هذا الرأي. وهو في الدر المشور: ٦: ٤٩١ منسوب إلى ابن عباس. وهو في الجامع لأحكام القرآن: ١٤: ٢١ منسوب إلى الربيع والحسن ونسب إلى ابن عباس غيره.

(٢) ديوان شعر ذي الرّمّة: ٣٤٨. شفاقات: بقايا. أعجاز الكرى: أواخر النوم.

(٣) العبارة: (يريد: خاضع) سقطت من (ح).

(٤) ديوان معن بن أوس المزني: ٩٣. وفيه: تغدو... بالغين المعجمة.

(٥) في (أ): أجل. وفي (ح): يريد في الأول: خاضع. وفي الثاني: وجل.

(٦) يس: ٧٨، ٧٩.

(٧) في (هـ): العادة.

فصل [-٢٠-]

[في قدرة الله]

قوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ... ﴾^(١) إلى قوله: ﴿ ...عَزِيزٌ ﴾^(٢)،
 وقوله: ﴿ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ... ﴾^(٣) إلى قوله: ﴿ ...قَدِيرٌ ﴾^(٤). وقوله: ﴿ أَلَا
 هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾^(٥)، ﴿ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٦).

عامٌّ. فهو قادرٌ على الأشياءِ كلها على ثلاثة أوجه:

على المعدوماتِ بإيجادها، وإنشائها.

وعلى الموجوداتِ بتغييرها، وإفنائها.

وعلى مقدوراتِ غيره، بأن يقدرُ عليها، أو يمنعُ منها.

(١) الحج: ٧٣.

(٢) الحج: ٧٤.

(٣) الروم: ٥٠.

(٤) الروم: ٥٠.

(٥) الزمر: ٥.

(٦) البقرة: ٢٠، ١٠٦، ١٠٩، ١٤٨، ٢٥٩.

وقيل: خاص في مقدوراتهِ. وَلَفْظُ «كُلُّ» يستعمل للتَّخصيصِ، كقوله:
﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١)، ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢).

سأل أبو شاكر^(٣) الديصاني هشام بن الحكم: أومن قدرة الله - تعالى - أن
يُدخِلَ السَّمَاوَاتِ، والأرضين، وما بينهما في بيضة، لا تكبرُ البيضةُ، ولا تصغرُ
الدُّنيا.

قال: فذكرتُ ذلك لأبي عبد الله - عليه السلام - فقال: كم لك من
الحواسِّ؟ قلتُ: خمسٌ.

قال: فأيهنَّ أضعفُ؟ قلتُ: العينُ

قال: العينُ، بِمَ^(٤) تبصرُ؟ قلتُ: بالنَّاطِرِ.

قال: فكم مقدارُ النَّاطِرِ في رأي العينِ؟

قلتُ: أقلُّ من عَدَسَةٍ.

قال: فابصرُ، ما ترى أمامَكَ؟ صِفْ لي.

قلتُ: دوراً، وقصوراً، وأنهاراً، وأشجاراً، والسَّمَاءَ، والأرضَ. قال: إنَّ

(١) الأحقاف: ٢٥.

(٢) النمل: ٢٣.

(٣) التوحيد: ١٢٢-١٢٣. الكافي: ١: ٧٩. الإرشاد: ٣١٦ باختلاف اللفظ عن الصادق (ع).

(٤) في النسخ جميعها: بها. والصواب ما أثبتناه لدخول حرف الجر (الباء) على (ما) الاستفهامية.

الَّذِي أَرَاكَ ذَلِكَ، بِأَقْلٍ مِنْ عَدْسَةٍ، فَكَذَلِكَ يَحْكُمُ فِي الْبَيْضَةِ.

وَسُئِلَ الصَّادِقُ^(١) - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَنْ ذَلِكَ بَعِينِهِ، فَقَالَ:

إِنَّ اللَّهَ لَا يُنْسَبُ إِلَى الْعَجْزِ^(٢)، وَالَّذِي سَأَلْتَنِي لَا يَكُونُ.

وَجَمَعَ^(٣) الْجَعْدُ^(٤) بِنُ دَرْهَمٍ مَاءً، وَتَرَاباً فِي قَارورَةٍ، فَاسْتَحَالَ دوداً، فَقَالَ:
أَنَا خَلَقْتُ ذَلِكَ.

فَبَلَغَ ذَلِكَ الصَّادِقَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ، فَقَالَ: فليُقَلِّ: كَمْ هُوَ؟ وَكَمْ الذَّكَرَانُ
مِنْهُ، وَالْإِنَاثُ؟ وَكَمْ وَزْنُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا؟ وَلِيَأْمُرِ الَّذِي يَسْعَى إِلَى هَذَا الْوَجْهِ أَنْ
يَنْصَرِفَ إِلَى غَيْرِهِ. فَاِنْقَطَعَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(٥).

قَوْلٌ مِنْ قَالٍ إِنَّ ﴿ كُنْ ﴾ سَبَبٌ لِلْحَوَادِثِ الَّتِي يَفْعَلُهَا^(٦) اللَّهُ - تَعَالَى -

(١) التوحيد: ١٣٠ منسوباً إلى أمير المؤمنين (ع) عن أبي عبد الله الصادق (ع).

(٢) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): عجز.

(٣) في (هـ): جمع.

(٤) التوحيد: ٢٩٥ - ٢٩٦ منسوباً إلى ابن أبي العوجاء. أمالي المرتضى: ١: ٢٨٤.

(٥) البقرة: ١١٧، آل عمران: ٤٧، ٥٩. الأنعام: ٧٣. النحل: ٤٠. مريم: ٣٥. يس: ٨٢. غافر: ٦٨.

(٦) في (ش): يفعلهُ.

فأيسدُّ من وجوه:

أحدهما: إنَّ القادرَ بقدره، إذا قدرَ أن يفعلَ من غيرِ سببٍ، فالقادرُ للنفسِ، بذلك، أولى.

ومنها^(١): إنَّ ﴿كُنْ﴾ محدثةٌ، فلَو احتاجت إلى ﴿كُنْ﴾ أخرى، لتسلسل^(٢). وذلك فاسدٌ.

ولو استند ذلك إلى ﴿كُنْ﴾ قديمةً، لوجبَ قَدَمُ المكونِ لأنَّه كانَ يجبُ أن يكونَ عقيبةً، لأنَّ الفاءَ يوجبُ^(٣) التَّعقيبَ، وذلك يؤدِّي إلى قَدَمِ المكوِّناتِ.

ومنها^(٤): إنَّه لو وُلِّدت، لوُلِّدتَ مثلَ فعلِنَا، كالاِعتِمَادِ، وإنَّها اسْتُعْمِلَ^(٥) القَدِيمُ - تعالى - لفظَ الأمرِ، فيما ليسَ بأمرٍ - ها هنا - ليدُلَّ - بذلك - على أنَّ فعله / ٢٧ / بمتزلةِ المأمورِ في أنَّه لا كُلفَةَ على الأمرِ. فكذلك - ها هنا - لا^(٦) كُلفَةَ على الفاعلِ.

(١) في (ح): ثانيها.

(٢) في (هـ): لتسلسل، بالشين المعجمة في الموضعين.

(٣) في (هـ) و(ح): توجب. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٤) في (ح): ثالثها.

(٥) في (ش): يستعمل. بصيغة المضارع.

(٦) في (ك): ألا.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿هُوَ نُجِيٌّ وَنُيُبِتُّ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(١).

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ^(٢): فِي هَذِهِ الْآيَةِ، دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْحَيَاةِ، إِلَّا اللَّهُ، لِأَنَّهُ يُمَدِّحُ^(٣) بِكَوْنِهِ قَادِرًا عَلَى الْإِحْيَاءِ، وَالْإِمَاتَةِ، فَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ قَادِرًا عَلَى الْحَيَاةِ، لَمَا كَانَ لَهُ فِي ذَلِكَ مَدْحٌ.

وَفِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى كَوْنِهِ قَادِرًا عَلَى الْإِعَادَةِ، لِأَنَّ مِنْ قَدَرٍ عَلَى النَّشْأَةِ الْأُولَى، يَقْدِرُ عَلَى النَّشْأَةِ الثَّانِيَةِ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾^(٤)، وَقَوْلُهُ: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾^(٥).

يَقْتَضِي أَنَّ لَهُ قُوَّةً، وَأَنَّ قُوَّتَهُ، أَشَدُّ مِنْ قُوَّتِهِمْ، وَتَقْتَضِي أَنَّ قُوَّتَهُ، شَدِيدَةٌ، وَالشَّدَّةُ إِنَّمَا هِيَ الصَّلَابَةُ، وَلَا يَجُوزُ وَصْفُ الْأَعْرَاضِ بِالشَّدَّةِ، وَالصَّلَابِيَّةُ، عَلَى الْحَقِيقَةِ. وَإِنَّ الْقُوَّةَ إِنَّمَا تَسْتَعْمَلُ^(٦) فِي الْأَجْسَامِ، دُونَ الْأَجْزَاءِ. وَالْجَوْهَرُ،

(١) يونس: ٥٦.

(٢) هو أبو علي الطبرسي: مجمع البيان: ٣: ١١٦.

(٣) في (ح): مَدَّحٌ.

(٤) فصلت: ١٥.

(٥) فصلت: ١٥.

(٦) في (ك) و(أ): يَسْتَعْمَلُ. بِالْيَاءِ الْمَثْنَاءِ مِنْ تَحْتِ.

المتحمل^(١) الأعراض، يقال إننا هو ذو قوة شديدة، وهو أشدُّ بأساً منا على الأمر، إذا كانت جوارحه، مكتنزة^(٢)، صلبة الأعضاء^(٣) غير رخوة.

ومعناه: إنه - تعالى - أقوى منهم، وأقدر، لأنَّ لفظة «أشدُّ» تستعمل على هذا الوجه، فيقال: هذا أشدُّ بياضاً من هذا. كما يقال: هذا أفضل من هذا.

وقال أمير المؤمنين^(٤) - عليه السلام - في «الدُّرَّةِ الَّتِي مِمَّةٍ»: ليس بقادرٍ من قارنه ضدُّ، أو ساوَاهُ نَدُّ.

وقال^(٥) - عليه السلام - في (خطبة العشرات): الحمدُ لله المتجلى لخلقهِ، بخلقهِ.

ويقال^(٦):

القادرُ بالحقِّ على الإطلاق^(٧) من أوجد الأضدادَ في الأخلاقِ
الصَّاحبُ^(٨):

(١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): المحتمل. بالخاء ثم التاء.

(٢) في (ش): مكتنزة، وفي (أ) و(ط): متكترة.

(٣) في (هـ) و(أ): الأجزاء.

(٤) هو في تحف العقول: ١٧٤ منسوب للإمام الحسين بن علي (ع).

(٥) نهج البلاغة شرح محمد عبده: ١: ٢٠٦.

(٦) لم أقف على قائله ولا مظهره وجوده.

(٧) في (هـ): بالإطلاق.

(٨) ديوان الصاحب بن عباد: ٥٣.

الصُّنْعُ لِأَبْدَلِهِ مِنْ صَانِعٍ لَأَسْمَاءٍ مَعَ كَثْرَةِ الْبَدَائِعِ
وَأَسْمَاءٍ مَعَ^(١) بِلَا مَنْزَعٍ فَالْمَلِكُ لَا يَبْقَى عَلَى التَّنَائِعِ

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ... ﴾^(٢) إِلَى قَوْلِهِ :
﴿ ... فَسَيَقُولُونَ: اللَّهُ ﴾^(٣).

فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى التَّوْحِيدِ، لِأَنَّ مَا ذَكَرَهُ فِي الْآيَةِ، يُوجِبُ [أَنَّ]^(٤) الْمُدَبِّرَ،
وَاحِدًا، لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ ذَلِكَ إِتْفَاقًا، لِإِحَالَةِ الْعَقْلِ ذَلِكَ^(٥)، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقَعَ
بِالطَّبِيعَةِ^(٦)، لِأَنَّهَا فِي حَكْمِ الْمَوَاتِ - وَلَوْ^(٧) كَانَتْ مَعْقُولَةً.

فَلَمْ يَبْقَ - [بَعْدَ]^(٨) ذَلِكَ - إِلَّا أَنَّ الْفَاعِلَ - لِذَلِكَ^(٩) - قَادِرٌ، عَالِمٌ، يَدَبِّرُهُ عَلَى

(١) فِي (هـ): ثَمَرٌ. بِالنَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ. وَفِي (ش) وَ(ك) وَ(أ): ثَمَرٌ. بِالنَّاءِ الْمُثَنَّى مِنَ فَوْقِ. وَفِي (ح): نَحْنُ.
وَمَا أُثْبِتَاهُ رِوَايَةَ الدِّيَوَانِ.

(٢) يُونُسُ: ٣١.

(٣) يُونُسُ: ٣١.

(٤) مَا بَيْنَ الْمَعْقُولَتَيْنِ سَاقِطَةٌ مِنْ (ش).

(٥) فِي (هـ): مَعَ ذَلِكَ.

(٦) فِي (ك) وَ(ح): فِي الطَّبِيعَةِ.

(٧) فِي (ك): لَوْ.

(٨) مَا بَيْنَ الْمَعْقُولَتَيْنِ سَاقِطَةٌ مِنْ (ش).

(٩) فِي (أ): كَذَلِكَ.

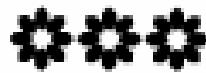
ما يشاء، وهو الله - تعالى - مع^(١) أن الطبيعة مدبرة، مفعولة، فكيف تكون هي المدبرة؟



قوله - سبحانه - : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾^(٢). يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون أراد بـ(خلق): قدر. فعلى هذا تكون الآية عامة، لأنه - تعالى - مقدر كل شيء.

أو أراد^(٣): أنه أحدث كل شيء. فعلى هذا، تكون^(٤) خاصاً. لأنه لم يحدث أشياء كثيرة من مقدرات غيره، وما هو معدوم لم يوجد^(٥).



(١) (مع) ساقطة من (أ).

(٢) الفرقان: ٢.

(٣) في (أ): ارتد.

(٤) في (أ): تكون. بنون المضارعة الموحدة من فوق. وفي (ح): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٥) في (هـ): يوجد. مع الضمير (الماء).

فصل [- ٢١ -]

[في علم الله]

قوله - تعالى -^(١): ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾^(٣)، ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾^(٤).

الوصف - بأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض، ولا في السماء، وأنه يعلم ما لا يعلمه غيره - يدل على أنه يعلمه من كل وجه، من حيث كان عالماً لنفسه. والعالم للنفس يجب أن يعلم كل ما يصح أن يكون معلوماً. وما يصح أن يكون معلوماً، لانهائية له. فوجب أن يكون عالماً به.

وإنما يجوز أن يعلم الشيء من وجه^(٥) دون وجه^(٦)، من كان عالماً بعلم،

(١) في (ح): سبحانه.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) آل عمران: ٥.

(٤) غافر: ١٦.

(٥) في (أ): وجهه.

(٦) في (أ): وجهه.

يستفيد العلمَ حالاً بعدَ حالٍ. فأما من^(١) كانَ عالماً لنفسه، فلا يجوزُ أن يخفى عليه شيءٌ بوجهٍ من الوجوه.

قوله - سُبحَانَهُ - : ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(٢).

أي: إنَّه عالمٌ بغيرِ تعليم، بدلالةِ أنَّهم أثبتوا لله، ما نفوه عن أنفسهم، بقولهم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾.

ويقال: إنَّه ﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، أي: العالمُ. وهو من صفاتِ ذاته، فلمَّا بالغَ فيه، أفادَ أنَّه عالمٌ بجميعِ أجناسِ المعلوماتِ، ممَّا يصحُّ أن يكونَ معلوماً.

قوله - سُبحَانَهُ - : ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣)، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾ الآية^(٤)، وقوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾^(٥).

(١) (من) ساقطة من (أ).

(٢) البقرة: ٣٢.

(٣) البقرة: ٢٩، الحديد: ٣.

(٤) الأنعام: ٥٩.

(٥) الأنعام: ٥٩.

عالمٌ، يدلُّ أنه يعلم الأشياءَ كلَّها، قديمَها، وحديثَها، موجودَها،
ومعدومَها.

قوله - سبحانه - : ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(١)، وقوله:
﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾^(٢)، وقوله: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا
تَكْتُمُونَ﴾^(٣).

فيها دلالةٌ على أنه عالمٌ بذاته.

قوله - سبحانه - : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٤).

معناه: أنه يعلمُ جميعَ المعلوماتِ، لكونه عالماً لنفسه. و«فَعِيلٌ» يدلُّ على
المبالغة.

(١) غافر: ١٩.

(٢) الأنعام: ٣.

(٣) الأنبياء: ١١٠.

(٤) المائدة: ٩٧.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(١).

معناه: أن معلوماته، متميزة، بمنزلة ما قد أحاط به.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾^(٢).

أي: محيط علمه / ٢٨ / بما تعملونه، وأنه قادر على جزاء ما تعملونه من

ثواب، أو عقاب^(٣).

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾^(٤).

إنما خص ﴿المُفْسِدِينَ﴾ بأنه ﴿عَلِيمٌ﴾ بهم، على جهة التهديد لهم،

والوعيد بما يعلم، مما وقع من فسادهم، كما يقول القائل أنا أعلم بشر فلان، وما

يجري إليه من الفساد.

(١) الطلاق: ١٢.

(٢) الأنفال: ٤٧.

(٣) في (ح): وعقاب. مع واو العطف.

(٤) آل عمران: ٦٣.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾^(١).

صورته، صورة الاستفهام، والمرادُ به، التَّوْبِيخُ، ومثله: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءِ﴾^(٢).

فإن قيل: لم قال: ﴿أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾، وقد كانوا يَعْلَمُونَهُ، فكتُموه، وظاهرُ هذا الخطاب، لمن لا يعلم؟

الجواب: من قال: إنهم ظنوا، فالجوابُ ظاهرٌ. ومن قال: إنهم علموا، وإنما جحدوه، نقول^(٣):

معناه: إن متزلتكم، منزلة المعترض^(٤) على ما يعلم أن الله أخبر به، فما ينفعه ذلك، مع إقراره، فإن الله، أعلم منه، وأنه لا يخفى عليه شيء، لأن ما دلَّ على أنه أعلم، دلَّ أنه عالمٌ لنفسه.



قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾^(٥).

(١) البقرة: ١٤٠.

(٢) النازعات: ٢٧.

(٣) في النسخ جميعها: «نقول» وحقه الجزم: «نقل» لأنه جواب الشرط الجازم «من».

(٤) في (ك): «المعترض».

(٥) الإسراء: ٢٥.

معنى ذلك: إنَّ معلوماته، أكثر من معلوماتهم.

وقد يقال: ﴿أَعْلَمُ﴾، بمعنى: أثبت فيما به يعلم.

فنحنُ - من هذا - نقول: إنَّ اللهَ - تعالى - أعلمُ بأنَّ الجسمَ، حادثٌ^(١) من الإنسانِ العالمِ بهِ، وكذلك كلُّ شيءٍ يمكنُ أن يُعَلَّمَ متغايرة^(٢)، فإنَّ اللهَ^(٣) - تعالى - عالمٌ بهِ على تلكِ الوجوهِ، وإن خَفِيَ على الواحدِ منَّا بعضها.

ومعنى ﴿بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾: أي: بما تُصَوِّرُونَهُ، وتُخْفُونَهُ عن غيرِكُمْ، فاللهُ أعلمُ بهِ مِنكُمْ، وفي ذلكِ غَايَةُ التَّهْدِيدِ.

قوله - سبحانه - : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٤).

المعنى: إنَّه أعلمُ بهِ^(٥)، ممَّن يعلمه، لأنَّه يعلمُ من وجوه، تخفى^(٦) على غيره،

(١) في (أ): حديث.

(٢) في (ش) و(ك): مُتَغَايِرَةٌ. بالناء المنقوطة. وفي (هـ) و(ط): مُتَغَايِرًا.

(٣) في (ك) و(هـ) و(ح): فالله. وفي (أ): الله.

(٤) الأنعام: ١١٧.

(٥) (به) سقطت من (ح).

(٦) في (ش) و(ك) و(أ): يخفى. بياء المضارعة المثناة من تحت.

لأنه - تعالى - عالمٌ يعلمُ^(١) ما كان، وما يكون، وما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ، وعلى جميعِ الوجوه التي يصحُّ أن يعلمَ الأشياءَ عليها، وليس كذلك غيره، لأنَّ غيره^(٢) لا يعلمُ جميعَ الأشياءِ، وما يعلمُهُ، لا يعلمُهُ من جميعِ وجوهِهِ.

وأما من هو غيرُ عالمٍ - أصلاً - فلا يقال: اللهُ، أعلمُ منه، لأنَّ لفظةَ ﴿أَعْلَمُ﴾، تقتضي^(٣) الاشتراكَ في العلمِ، وزيادةً لمن وُصِفَ بأنه أعلمُ. وهذا لا يصحُّ ممَّن ليس بعالمٍ أصلاً، إلا مجازاً.

ولا يصحُّ أن يقال: هو - تعالى - أعلمُ بأنَّ الجسمَ، حادثٌ مِن كُلِّ مَنْ يَعلمُهُ حادثاً، لأنه قد ذُكِرَ الوجهُ الَّذي يُعَلِّمُ منه، وهو أنه حادثٌ.

فإن أريدَ - بذلك - المُبالغةُ في الوصفِ، وأنَّ هذه الصِّفةَ فيه، أثبتُ من غيره، جازاً أن يقال فيه ذلك.



(١) في (ك) و(ح): يعلم. بحرف الجر (الباء) مع المصدر (عَلِمَ)

(٢) (لأنَّ غيره) ساقطة من (أ).

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ): يقتضي. بياء المضارعة المثناة من تحت.

فصل [- ٢٢ -]

[في علم الله]

وقد تعلقَ من ذهبَ في حُدُوثِ العِلْمِ، بأنَّه^(١) لا يعلمُ الشَّيْءَ قَبْلَ كَوْنِهِ،

بآياتٍ منها:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ

الصَّابِرِينَ ﴾^(٢).

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقَبِيلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾^(٣).

﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾^(٤).

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾^(٥).

﴿ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾^(٦)، ﴿ لِنَنْظُرَ كَيْفَ

(١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): وأنه.

(٢) آل عمران: ١٤٢.

(٣) البقرة: ١٤٣.

(٤) سبأ: ٢١.

(٥) محمد: ٣١.

(٦) الأنفال: ٦٦.

تَعْمَلُونَ^(١).

قال: لا يجوز أن يقول^(٢) مثل ذلك، وهو عالم^(٣) به!!

الجواب: إنه لو لم يتقدم العلم بحالهم، وحال ما كلفهم، لقبح التكليف أصلاً، لأنه يحسن من المكلف أن يأمر بما يعلم حسنه، وأن المكلف، يتمكن من فعله، على الوجه الذي كلف، فكيف يصح - مع هذا - أن يكون علمه بحالهم حادثاً بعد التكليف، وعند فعلهم ما كلفوا.

على أن ليس في ظواهر الآيات، ما يُنبئ عن كونه^(٤) غير عالم بما سيكون منهم. والعالم بالشيء، إنما يكون عالماً به، إذا علمه على ما هو به.

فالله - تعالى - إنما يعلم^(٥) المجاهد^(٦) مجاهداً، إذا جاهد^(٧)، ويعلمه مؤمناً إذا آمن، وليس - في ذلك - نفي كونه عالماً من سيؤمن، وسيجاهد، وهو موضع النزاع.

(١) يونس: ١٤.

(٢) في (ش): نقول. بناء المضارعة المثناة من فوق. في (ك) و(أ): نقول. بنون المضارعة الموحدة.

(٣) في (أ): أعلم.

(٤) في (أ): كونهم.

(٥) في (أ): يعمل.

(٦) في (أ): المجاهدين.

(٧) في (أ): جاهدوا.

وَقَالَ المرتضى: قوله: ﴿لِنَعْلَمَ﴾، يقتضي^(١) حقيقة أن يعلم هو، وغيره، ولا يحصل علمه مع علم غيره، إلا بعد حصول الإتيان، فأما قبل حصوله، فإنها يكون هو - تعالى - العالم - وحده - فصح - حينئذ - ظاهر الآية.

قوله - سبحانه - : ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾^(٢) إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾^(٤).
فلا يوجبان الشك، وإن الله - تعالى - قد علم أن فرعون، لا يتذكر، ولا يخشى، والكفار لا يجنحون إلى السلم، ولكنة - تعالى - أراد أن يطيب - بذلك - نفوس المخاطبين، ويقوي قلوبهم، كما تقول^(٥) للأجير: أفرغ من عملك، لعلك تأخذ أجرَكَ. أي: لتأخذه.

قوله - سبحانه - : / ٢٩ / ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٦)، و﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٧).

(١) العبارة: «يقتضي حقيقة أن يعلم» ساقطة من (أ).

(٢) طه: ٤٣.

(٣) طه: ٤٤.

(٤) الأنفال: ٦١.

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يقول، بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) البقرة: ٢١. وفي أكثر من موضع من القرآن الكريم.

(٧) آل عمران: ١٣٢. وفي أكثر من موضع من القرآن الكريم.

فيها معنى الشك، لكنه للعباد، دون الله - تعالى - .

قوله - سبحانه - : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(١).

قال الحسن^(٢)، والبلخي، والزجاج^(٣)، وأكثر المفسرين^(٤): إنَّ ﴿ عَسَى ﴾ من الله، واجبٌ. ووجه ذلك: إنَّ إطماعَ الكريم، إنجازٌ، وإنَّما الإطماع، تقويةٌ أحدِ الأمرين على الآخر، دون قيام الدليل على التكافؤ^(٥)، والجواز.

وخرج ﴿ عَسَى ﴾ - في هذا - من معنى الشك، كخروجها في قولِ القائل:

أطع ربك في كل ما أمرك به، ونهاك عنه، عسى أن تُفْلِحَ بطاعتك.

قوله - سبحانه - : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾^(٦).

أي: ليس الله ممن ينسى، ويخرج عن كونه عالماً، لأنه - تعالى - عالمٌ لنفسه.

(١) النساء: ٨٤.

(٢) مجمع البيان: ٢: ٨٣.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٢: ١٩٩.

(٤) انظر مثلاً: جامع البيان: ٥: ١٨٥ ومجمع البيان: ٢: ٨٣. الدر المنثور: ٧: ٤٣١.

(٥) في النسخ جميعها: تكافي.

(٦) مريم: ٦٤.

وتقديره - هاهنا: وما نسيك^(١)، وإن^(٢) أخر الوحي عنك.

ويقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾، أي: لا يُنسىهم. كما يقال للملك، والسيد: قد نسييتنا، فما تذكرنا. يعنون: أنه لا يأتينا منك خير.

قوله - سبحانه - : ﴿الْيَوْمَ نُنَسِّكُمْ﴾^(٣).

قال ابن عباس^(٤): تترككم في العقاب، ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ﴾^(٥). أي: كما تركتم ذكر لقاء ﴿يَوْمِكُمْ هَذَا﴾^(٦).

ويقال: أي: لم يقبلوا الطاعة، ولم يؤمنوا به، فينفعهم^(٧) في الآخرة.
أي: فما أعطاهم الثواب.

(١) في (أ): أي: لا تنساهم، بدلاً من: وما نسيك.

(٢) العبارة: «وإن أخر... لا يسيهم» ساقطة من (أ).

(٣) الجائية: ٣٤.

(٤) جامع البيان: ٢٥: ١٥٨ أيضاً؛ مجمع البيان: ٥: ٨١.

(٥) الجائية: ٣٤.

(٦) الجائية: ٣٤.

(٧) في (ك): فينفعهم.

قوله - سُبحَانَهُ - : ﴿تَسُوا اللَّهَ فَنَسِيحُمْ﴾^(١).

أي: تركوا الله في معرفته، وعبادته، وتركهم عند الجزاء.



قوله - سُبحَانَهُ - : ﴿وَلَيَسِّرَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾^(٢)، وقوله: ﴿لَيَسِّرَنَّ اللَّهُ لِي مَا أَنَا فِيهِ﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَلَيَسِّرَنَّ اللَّهُ لِي مَا أَنَا فِيهِ﴾^(٤). يحتمل أمرين:

أحدهما: ليعاملكم معاملة المبتلي، المختبر لكم، مُظَاهِرَةٌ^(٥) في العَدْلِ.
وأخرَجَ كلامَ المبتلِ^(٦) لهذه العلة، لأنه - تعالى - عالمٌ بالأشياء، قبل كونها، فلا يتلى ليسيّد علماً.

والثاني: ليسر الله ما في صدوركم، إلا أنه أضاف الابتلاء إلى الله - عز وجل - تفخيماً لشأنه.



(١) التوبة: ٦٧.

(٢) آل عمران: ١٥٤.

(٣) المائدة: ٤٨.

(٤) البقرة: ١٥٥: محمد: ٣١.

(٥) في (ك) و(م): مظاهرة. بالهاء غير المنحوتة.

(٦) في (ح): المختبر.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿فَمَا أَضْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾^(١).

التَّعْجِبُ، لا يجوزُ على الله - تعالى - لأنه عالمٌ بجميعِ الأشياءِ، لا يخفى عليه شيءٌ. والتَّعْجِبُ يكونُ ممَّا لا يُعْرَفُ سَبِيئُهُ، وإِنَّمَا الغرضُ بالآيةِ أن يدلَّنَا على أنَّ الكفَّارَ، حلُّوا محلَّ من يُتَعَجَّبُ منه، فهو تعجيبٌ لنا منهم.

وَقَالَ الحسنُ^(٢)، وقتادة^(٣)، ومجاهد^(٤): إِنَّ «مَا» في قوله: ﴿فَمَا أَضْبَرَهُمْ﴾ لِلتَّعْجِبِ^(٥).

وَقَالَ ابنُ عَبَّاسٍ^(٦)، وابنُ جريج^(٧)، وابنُ زيد^(٨)، والسُّدِّيُّ^(٩): إِنَّمَا للاستفهام.

وَقَالَ الكسائيُّ^(١٠): هو استفهامٌ على وجهِ التَّعْجِبِ، كأنه توبيخٌ لهم،

(١) البقرة: ١٧٥.

(٢) جامع البيان: ٢: ٩١. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٢٥٩. الجامع لأحكام القرآن: ٢: ٢٣٦.

(٣) جامع البيان: ٢: ٩١. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٢٥٩. الدر المنثور: ١: ٤١٠.

(٤) جامع البيان: ٢: ٩١. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٢٥٩. الدر المنثور: ١: ٤١٠. الجامع لأحكام

القرآن: ٢: ٢٣٦.

(٥) في (ش): للمتعجب.

(٦) مجمع البيان: ١: ٢٦٠. الجامع لأحكام القرآن: ٢: ٢٣٦.

(٧) جامع البيان: ٢: ٩١.

(٨) جامع البيان: ٢: ٩١ وفي (ح): ابن زيدان.

(٩) جامع البيان: ٢: ٩١. الدر المنثور: ١: ٤١٠. الجامع لأحكام القرآن: ٢: ٢٣٦.

(١٠) مجمع البيان: ١: ٢٦٠. الجامع لأحكام القرآن: ٢: ٢٣٦.

وتعجبنا لنا.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ وَقُلِّ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ ﴾^(١).

قال مجاهد^(٢): المراد بالرؤية - هاهنا - العِلْمُ الَّذِي هُوَ الْمَعْرِفَةُ، لِأَنَّهُ عَدَّاهُ إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿ سَيَرَى اللهُ ﴾ عَلَى وَجْهِ الْاِسْتِقْبَالِ، وَهُوَ عَالَمٌ بِالْأَشْيَاءِ قَبْلَ وُجُودِهَا. فَالْمَرَادُ - بِذَلِكَ - أَنَّهُ سَيَعْلَمُهَا مَوْجُودَةً، بَعْدَ أَنْ عِلْمُهَا مَعْدُومَةٌ. وَكَوْنُهُ عَالِمًا بِأَنَّهَا سَتُوجَدُ - بَعْدَ كَوْنِهِ عَالِمًا بِوُجُودِهَا، إِذَا وَجَدَتْ - لَا يُجَدِّدُ^(٣) حَالًا لَهُ بِذَلِكَ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدْدًا ﴾^(٤).

مَعْنَاهُ: إِنَّهُ لَا شَيْءَ، يَعْلَمُهُ عَالِمٌ، أَوْ يَذْكُرُهُ ذَاكِرٌ، إِلَّا وَهُوَ عَالِمٌ بِهِ، وَمُحْصِي لَهُ.

(١) التوبة: ١٠٥.

(٢) في جامع البيان: ١١: ٢٠ نُسِبَ إِلَى مَجَاهِدٍ رَأْيٍ آخَرَ، غَيْرَ هَذَا وَكَذَا فِي الدَّرِ الْمَشْهُورِ: ٤: ٢٨٣. أَمَّا فِي مَجْمَعِ الْبَيَانَ: ٣: ٦٩ فَهَذَا الرَّأْيُ غَيْرُ مَنْسُوبٍ إِلَى أَحَدٍ.

(٣) تَقْرَأُ فِي (هـ): يَجَدِّدُ، وَتَجَدَّدُ. وَفِي (ح): يَجَدِّدُ لَهُ حَالًا.

(٤) الجن: ٢٨.

والإحصاء، فعلٌ، وليس هو بمتزلة العلم، فلا^(١) يجوزُ أن يقال: أحصى ما لا يتناهى. كما يجوزُ أن يقال: عَلِمَ ما لا يَتَنَاهَى^(٢). لأنَّ الإحصاء، مثلُ المُحْصَى، لا يكونُ إلا فعلاً متناهِياً. وإذا لم يَجْزُ أن يفعل من الإحصاء، ما لا يتناهى آخرُهُ، لم يَجْزُ أن يقال: إنه قد أحصى ما لا يَتَنَاهَى. ويجوزُ أن يقال: إنه يُحْصِي ما لا يتناهى إحصاءً دائماً، لا يَتَنَاهَى. كما يجوزُ أن يقال: إنه يفعل ما لا يَتَنَاهَى.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾^(٣). أي: في إيمانهم، ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَافِرِينَ﴾^(٤) فيه.

إنما قال: ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ﴾ مع أنه الاستقبال، والله - تعالى - عالمٌ - فيما لم يزل - بحدوثِ المعلوم، فلا تصحُّ^(٥) الصِّفَةُ، إلا مع المستقبل، إذ لا يصحُّ عالمًا بأنه حادثٌ لانهقادٍ معنى الصِّفَةِ بالحادث، وهو إذا حَدَّثَ عِلْمَهُ - تعالى - بنفسه.

(١) في (هـ) العبارة هكذا: «فلا يجوز أن يقال: أحصى ما لا يتناهى، ويجوز أن يقال: إنه يحصي ما لا

يتناهى إحصاءً دائماً لا يتناهى، كما يجوز أن يقال....

(٢) في (أ): يتباهى. بالياء الموحدة من تحت بعد التاء في الموضعين.

(٣) العنكبوت: ٣.

(٤) العنكبوت: ٣.

(٥) في (ش) و(ك) و(ل): يصح. بياء المضارعة المثناة من تحت.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾^(١) ، ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾^(٢) .

إنما أثبت ذلك، مع أنه عالم، لا يعزبُ عنه شيءٌ، لِمَا فِيهِ مِنَ اللُّطْفِ، للملائكة، أن يكونَ فيه لطفٌ، لمن يُجبرُ بذلك.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ وَمَا نَسْفُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا نَعْلَمُهَا... ﴾ الآية^(٣) .
قال قطربُ: إنَّما يكونُ ذلكَ للتأكيدِ على العبادِ، والتخويفِ هُم في حفظِ أعمالهم، عَلَيْهِمْ، لأنَّ ما لا ثوابَ فيه، ولا عقابَ، يكونُ مَحْصِيًّا عندهُ في كتابٍ. فاعمالُكم - التي فيها الثوابُ والعقابُ - أوَّلَى بالكتابِ، والإحصاءِ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾^(٤) ، وقال: ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾^(٥) ، وقال: ﴿ خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ. فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾^(٦) .

(١) هود: ٦ .

(٢) يس: ١٢ .

(٣) الأنعام: ٥٩ .

(٤) السجدة: ٧ .

(٥) الملك: ٣ .

(٦) الانفطار: ٧، ٨ .

نظر أعزَّابٍ يومَ الجمعةِ إلى النَّاسِ، وقد اجتمعوا له، فقال: صورةٌ واحدةٌ،
وخلقٌ مختلفٌ، ما هو إلا صنعُ حكيمٍ، عليهم.

رأى^(١) رجلٌ تناثرَ الأوراقِ، فهجسَ في خاطره: هل يعلمُ اللهُ عَدَدَها؟
فتزل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢).

ابن عباسٍ^(٣): كانتِ امرأةٌ، تصلي خلفَ النَّبيِّ - عليه السلامُ - وكانَ
بعضُهم يتقدَّمُ في الصَّفِّ الأوَّلِ، لئلا يراها، وكان بعضهم في أوَّلِ الصَّفِّ، إذا
ركعَ، قال هكذا، ونظرَ من تحتِ إبطه، فتزل: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَّكِدِينَ مِنْكُمْ
وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَأَخِّرِينَ﴾^(٤).

لا يعلمُ الغيبَ أحدٌ إلا هو الفردُ الصَّمَدُ^(٥)
أبو نواسٍ^(٦):

كُلُّ مستخفٍ بشيءٍ فمنَ اللهُ بِمَرَأَى لا ترى شيئاً من الله مِن الأشياءِ يخفى

(١) في (١): قوله رأى...

(٢) الملك: ١٤.

(٣) جامع البيان: ١٤: ٢٦. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٣٣٤. الجامع لأحكام القرآن: ١٠: ١٩.

(٤) الحجر: ٢٤.

(٥) لم تغف عل قائله ولا مورد أخذه.

(٦) ديوان أبي نواس: ٦١٧ وفيه: «عل الله من الأشياء...»

قوله - سُبحَانَهُ - : ﴿ لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾^(١) ، ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾^(٢) .

معناه: وهو عالمٌ به. ولو كان المرادُ بذلك ذاتاً أخرى، لوجبَ أن يكونَ العلمُ آلةً في الإنزالِ.

وظاهرُ^(٣) اللَّفْظِ يقتضي أنَّ الوضعَ والإنزالَ والحملَ، بعلمه، فيكونُ آلةً، له، لأنَّ ذلكَ قضيَّةُ اللَّفْظِ، والباءُ تدخلُ في الكلامِ، دلالةٌ للآلية، نحو: ضربته بالسَّيفِ. أو تكونُ^(٤) سبباً للمسبَّبِ، نحو: أو جَعته بالضَّرْبِ. أو علةٌ للمعلولِ، نحو: أسودَّ بالسَّوادِ. أو مجازاً، فيكونُ عبارةً عن الفاعلِ، نحو: كانَ ذلكَ بمرأى أو بمسمع. أي: كنتُ أسمعُه، وأراه.

ولا يجوزُ أن يكونَ العلمُ [سبباً]^(٥) لهذه المذكوراتِ، ولا^(٦) علةً، لأنَّ العلمُ إنَّما يكونُ علةً للعالمِ، لا لِمَا علقهُ به، ولا سبباً، لأنَّ العلمَ لا يُوجبُ هذه الأشياءَ، وإنَّما يُوجبُ إرادتَهُ، وفعلَهُ، فلم يبقَ إلاَّ أَنَّهُ أَنْزَلَهُ، وهوَ عالمٌ به، كما يقالُ: أعطيتُ القومَ كذا، برضى المَلِكِ. أي: وهوَ راضٍ به. فتقومُ «الباءُ» معَ

(١) النساء: ١٦٦.

(٢) فاطر: ١١، فصلت: ٤٧.

(٣) في (ك) و(هـ): فظاهر.

(٤) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يكون. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٥) ما بين المعرفتين ساقطة من (ش) و(أ) و(ح).

(٦) (لا) سقطت من (ح).

المصدرِ مقامَ الإبتداء، والخبرِ.

ثمَّ أنَّ «الباء» - التي لا يستقلُّ^(١) الكلامُ بإسقاطها - «باء» الإلصاقِ، مثلُ: كتبتُ بالقلمِ. والإلصاقُ يستحيلُ في العلمِ، وكذلك الإنزالُ.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾^(٢).

يقتضي^(٣) أنَّ علمه يتبعُ لدخولِ «مِنْ» التي للتَّبَعِيضِ. والعدولُ عن الظَّاهِرِ، يقتضي أنَّ علمه يتفنَّنُ^(٤) بما يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ، وما لا يَعْلَمُهُ، وأنَّه لا يعلمُ من علمه، إلا بما يشاء، فلعلَّهُ لم يشأ أن يُعَلِّمَ علمُهُ. أي: كونه.

ولفظَةُ «العلمِ»، مصدرٌ، وهو متردِّدٌ بينَ الفاعلِ، والمفعولِ. يقال: فعلتُ كذا بعلمي. وليكن جميعُ ما يفعله فلانٌ بعلمك. وهذا علمٌ أبي حنيفةً. فلَمَّا استُعِجِلَ في الاستخبارِ عن العالمِ، وعن المعلومِ، وَجَبَ صرفُهُ إلى الأصوبِ.

الفضلُ بنُ^(٥) شاذان: قيل للرضا - عليه السَّلامُ - : إنَّ قوماً يقولون: إنَّه

(١) في (ش) و(ك) و(أ): تستقل. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) في (ش) و(ك): تقتضي.

(٤) في (ك): يتفنَّن. بالقاف المثناة. وفي (هـ): يتقنن. بالقاف المثناة بعدها ياء مثناة من تحت.

(٥) عيون أخبار الرضا: ١: ١١٩ التوحيد: ١٤٠. أمالي الصدوق: ٢٤٧. وفي الاحتجاج: ٢: ١٩٢

- عزّوجلّ - لم يزل عالماً بعلم، وقادراً بقدره، وحيّاً بحياة، وقديماً بقدم، وسميماً
بسمع، وبصيراً ببصر؟

فقال^(١): مَنْ قَالَ بِذَلِكَ، ودانَ بِهِ، فَقَدِ اتَّخَذَ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى، وليسَ من
ولايتنا على شيء.

ثمّ قال: لم يزلِ اللهُ عالماً بعلم^(٢)، قادراً، حيّاً، قديماً، سميماً، بصيراً، لذاته.
تعالى عمّا يقولُ المشركونَ^(٣)، والمُشبهونَ، علواً كبيراً.
الصَّاحِبُ^(٤):

هو العالم الذاتُ الذي ليسَ مُحوجاً إلى العلم، والأعلامُ تبدو فتشهدُ
وليسَ قديماً سابقاً غيرَ ذاته وإن كانَ أبناءُ الضلالِ تلذّوا^(٥)



(١) (فقال) ساقطة من (أ).

(٢) (بعلم) ساقطة من (هـ).

(٣) في (أ): المشركين.

(٤) ديوان الصاحب بن عباد: ٣٢ وفيه: وتشهد. وفي البيت الثاني: تيلدوا.

(٥) في (ك) بعد كلمة (تلذّوا) كلمة (ترذّوا). وفي (هـ): تيلدُ. ثم بعدها. تلذدُ.

فصل [-٢٣-]

[من دلائل وجود الله]

قوله - تعالى - : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(١)، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(٢)، ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾^(٣).

جاءَ عبدُ الملكِ^(٤) بنُ أبي العوجاءِ إلى الصَّادِقِ - عليه السلام - فقال: يا أبا عبد الله، إنَّ المجالسَ بالأماناتِ، ولا بدَّ لِكُلِّ مَنْ بِهِ سُعَالٌ أَنْ يَسْعَلَ^(٥)، فتأذُنُ لي بالكلامِ؟

فقال: تكلم بما شئتَ.

فقال: إلى كم تَدُوسونَ هذا البيدرَ، وتلُودونَ بهذا الحجرَ، وتعبُدونَ هذا

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) آل عمران: ١، ٢.

(٣) غافر: ٦٥.

(٤) غافر: ٦٨.

(٥) الكافي: ١: ٧٥ - ٧٦. التوحيد: ١٢٧، ٢٥٢. أمالي الصدوق: ٥٥٢ - ٥٥٣ الإرشاد: ٣١٥.

الاحتجاج: ٢: ٧٤ - ٧٥.

(٦) في (ط): سؤالٌ أن يسأل.

البيت المرفوع بالطوب، والمدبر، ومُهرولون هرولة البعير، إذا نفر؟ من فكّر فيها،
أو قدر، عَلِمَ أَنَّ هَذَا، أَسَسُهُ غَيْرُ حَكِيمٍ، وَلَا ذُو نَظِيرٍ.

فقال - عليه السلام - : إن يكن الأمر على (١) ما تقول، وليس كما نقول
نجونا، ونجوت، وإن لم يكن الأمر على ما تقول، وهو كما نقول، نجونا،
وهلكت.

فقال: ما قولي، وقولهم، إلا واحد (٢).

فقال - عليه السلام - : كيف يكون ذلك. وهم يقولون: / ٣١ / إن لهم
معاداً، وثواباً، وعقاباً، ويدينون أن للسّاء إلهاً، وأنها عمران، وأنتم تزعمون أنها
خراب؟

فقال: ما منعه أن يظهر لخلقهِ، ويدعوهم (٣) إلى عبادته حتى لا يختلف
منهم إثنان؟ ولم احتجب عنهم، وأرسل إليهم الرّسل؟

فقال - عليه السلام - : ويلك! وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في
نفسك؛ وشوئك ولم تكن، وكبرك بعد صغرك، وقوتك بعد ضعفك، وضعفك
بعد قوتك، وسقمك بعد صحتك، وصحتك بعد سقمك، ورضاك بعد
غضبك، وغضبك بعد رضاك، وحزنك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك،

(١) في (ك) و(هـ) و(أ): كما تقول.

(٢) في (ش): واحداً.

(٣) (ويلك): ساقطة من (أ) وأثبت بدلاً منها: وكيف يكون ذلك.

وَحُبُّكَ بَعْدَ بَغْضِكَ، وَبَغْضُكَ بَعْدَ حُبِّكَ، وَعَزَمَكَ بَعْدَ إِيَاثِكَ، وَإِيَاثَكَ بَعْدَ
عَزَمِكَ، وَشَهْوَتَكَ بَعْدَ كِرَاهَتِكَ، وَكِرَاهَتَكَ بَعْدَ شَهْوَتِكَ، وَرَغِبَتَكَ بَعْدَ رَهْبَتِكَ،
وَرَهْبَتَكَ بَعْدَ رَغِبَتِكَ، وَرَجَاءَكَ بَعْدَ يَأْسِكَ، وَيَأْسَكَ بَعْدَ رَجَائِكَ، وَخَاطَرَكَ بِهَا
لَمْ يَكُنْ فِي وَهْمِكَ، وَعُزُوبَ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْتَقِدُهُ عَنْ ذَهْنِكَ، وَمَا زَالَ يَعُدُّ^(١) عَلَيْهِ
قُدْرَتَهُ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُظْهِرُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ...﴾ الْآيَةُ^(٢).

سئَلُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ^(٣) - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : أَيْنَ كَانَ اللَّهُ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ،
وَالْأَرْضِ؟

فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : «أَيْنَ»، سَوَّالٌ عَنِ مَكَانِهِ، وَكَانَ اللَّهُ، وَلَا مَكَانَ. فَلَمَّا
خَلَقَ الْمَكَانَ، لَمْ يَتَغَيَّرْ عَمَّا كَانَ.

وَسَأَلَ نَافِعَ^(٤) الْمَقْرِيءِ، الْبَاقِرَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : أَخْبِرْنِي: مَتَى كَانَ اللَّهُ؟

(١) فِي (شُرِّ) وَ(ك) وَ(هـ): يَعُدُّ، مَعَ الضَّمِيرِ (هَاءِ).

(٢) الْحَدِيدِ: ٣. وَالْآيَةُ بِشَامِهَا: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

(٣) الْكَافِي: ١: ٩٠. التَّوْحِيدِ: ١٧٥. بَزِيَادَةَ فِي اللَّفْظِ فِي كِتَابِنَا عَنْهَا. أَمَالِي الْمُرْتَضَى: ١: ١٤٩. الْعَقْدُ

الْفَرِيدِ: ٢: ١٩٧.

(٤) الْكَافِي: ١: ٨٨. بِاِخْتِلَافٍ فِي اللَّفْظِ يَسِيرًا. التَّوْحِيدِ: ١٧٣. الْاِحْتِجَاجُ: ٢: ٥٤. وَمِثْلُهُ مَنْسُوبٌ إِلَى

أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَمَالِي الصَّدُوقِ: ٥٩٩. وَفِي الْبَدِئِ وَالتَّارِيخِ: ١: ٧٤. مَنْسُوبٌ إِلَى

عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

فرجع - عليه السلام - رأسه إليه، وقال^(١) له^(٢): يا نافع^(٣)، أخبرني: متى لم يكن، حتى أخبرك: متى كان؟

فرجع نافع يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

وسأل أمير المؤمنين^(٤) خبر: متى كان ربك؟

فقال: ثكلتك أمك! متى لم يكن، حتى يقال: متى؟ كان ربي قبل القبلي.

بلا قبل، ويكون بعد البعد، بلا بعد، ولا غاية، ولا منتهى لغايته، إنقطعت الغايات عنه، فهو منتهى كل غاية.

وفي خطبة أمير المؤمنين^(٥) - عليه السلام - : لم تسبق له حال حالاً، فيكون

أولاً، قبل أن يكون آخراً، ويكون ظاهراً، قبل أن يكون باطناً.

وقوله^(٦) - عليه السلام - : ليس عن الدهر قدمه، ولا بالناحية أئمة.



(١) في (ك): فقال.

(٢) (له) ساقطة من (ك).

(٣) (يا) ساقطة من (أ).

(٤) الكافي: ١: ٩٠. التوحيد: ٧٧، ١٧٤. باختلاف في اللفظ يسير. الاحتجاج: ١: ٣١٣.

(٥) نهج البلاغة شرح محمد عبده: ١: ١١٢.

(٦) هو في تحف العقول: ١٧٤ منسوب إلى الإمام الحسين بن علي (ع).

فصل [-٢٤-]

[في معنى سمع الله]

قوله - تعالى - : ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ...﴾ الآية^(١).

نزلت في أوس بن الصّامت^(٢)، لما ظاهر زوجته.

ابن مسعود^(٣)، قال: تكلم صفوان بن أمية، وعبدُ باليل^(٤): إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا تَقُولُ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: إِنَّهُ يَسْمَعُ الْفَدِيدَ^(٥)، دُونَ الْهَمْسِ. وَقَالَ الْآخَرُ: إِنَّ مِنْ سَمْعِ الْفَدِيدِ، سَمْعَ الْهَمْسِ. فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِذَلِكَ، فَتَزَلَّ: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ الآيات^(٦).

(١) المجادلة: ١.

(٢) جامع البيان: ٢٨: ١. مجمع البيان: ٥: ٢٤٦. أسباب النزول: ٢٧٣. الدر المنثور: ٨: ٧٠ - ٧٤.

التفسير الكبير: ٢٩: ٢٤٩. الجامع لأحكام القرآن: ١٧: ٢٦٩.

(٣) جامع البيان: ٢٤: ١٠٩. باختلاف الرواية واللفظ. مجمع البيان: ٥: ١٠. أسباب النزول: ٢٥٠.

باختلاف اللفظ ودون ذكر اسمي المتكلمين.

(٤) في (ك) و(أ): عبدناثل.

(٥) الفديد: الصّوت والجلبة. [المعجم الوسيط (فَدَدَ)]

(٦) فضلت: ٢٢ - ٢٥.

المفسرون عن أمير المؤمنين^(١) - عليه السلام - في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾^(٢): إنه سرى داود - منفرداً - إلى جبلٍ للتعبُد، فكانَ ينادي ربه، فعرض له وحشة، فقالَ اللهُ - تعالى -: ﴿يَا جِبَالُ أُوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾^(٣)، فسبَّحوا اللهُ^(٤)، وهلَّلوه، فهجس - في ضميره - رحمتهم^(٥)، فأخذَ مَلَكٌ عَصْدَهُ، وأتى به إلى السَّاحِلِ، وركل^(٦) البحرَ برجله، فانشقَّ البحرُ، وظَهَرَ الحيتانُ، فَطَرَدَهُمْ، فَأَبْدَى صَخْرَةً، عليها دودةٌ، فقال: يا داودُ، إِنَّ اللهُ يَسْمَعُ نَفْسَ هَذِهِ الدُّودَةِ، في هذا المكانِ.

واعلم: أن إسماعَ الكلامِ، يَشتمَلُ - في اللُّغَةِ - على ثلاثة أوجهٍ: على الإدراكِ بحاشيةِ السَّمعِ. وهو حقيقةٌ فيه.

وفي العلمِ بالكلامِ على ما ذكرَ جماعةٌ من المفسرينَ، وأهلِ العدلِ، من البغداديين^(٧) في قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾^(٨)، وقولِ

(١) مجمع البيان: ٤: ٣٨٢.

(٢) سبأ: ١٠.

(٣) سبأ: ١٠.

(٤) في (ح): لله. مع حرف الجر (اللام).

(٥) في (ط): رحمتهم. بالجيم المعجمة من تحت.

(٦) في النسخ جميعها: ركض، ولا معنى لها ضمنَ السياق.

(٧) الملل والنحل: ١: ١١٧، ١٢٦. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: ١: ١٧٥.

(٨) المجادلة: ١.

القائل: أنا^(١) بمسمعٍ منك. وأنا سامعٌ لكلامك، ومشاهدٌ لفعالِكَ. إذا كان يراعي أخبارَهُ، حتَّى تصلَ^(٢) إليه، ويعلمُها.

وفي الكلامِ الَّذي يحصلُ^(٣) فائدةً. يقالُ: كلامُ فلانٍ مسموعٌ. والسُّلطانُ يسمعُ قولَ فلانٍ. فَيَتَّبِعُونَ الوصفَ بالسَّماعِ.

وَيُسْتَعْمَلُ - في اللُّغَةِ أيضاً - ردُّ الجوابِ على ثلاثةِ أوجهٍ:

في ردِّهِ بالكلامِ.

وفي فعلٍ ما تَضَمَّنَهُ السُّؤالُ، كالَّذي^(٤) يسألُ غيرَهُ فعلاً، فيفعلُ المسؤولُ ما تَضَمَّنَهُ سؤالُهُ، فيقالُ: قد أجابه، وإن لم يتكلَّم.

وفي^(٥) فعلٍ ما يقتضيه الحالُّ من الأفعالِ. وهذا مثلُ قولِ الحاجِّ عندَ الاستلامِ^(٦): أمانتي أدَّتُها، وميثاقي تعاهدتُه، لتشهدَ لي بالموافاةِ غداً. مودَّعاً لله - تعالى - وخطاباً له، وهو المستمعُ له، والمُجازي به. وإثنا أضافه إلى الحجرِ، لأنَّه عمَلٌ عنده، وعبادةٌ فيه، وقربةٌ إلى الله به. فكانه قال: أمانتي في استلامك أدَّتُها.

(١) في (هـ): إثنا أنا...

(٢) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يصل. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) في (هـ): تحصل.

(٤) العبارة: كالَّذي يسأل... سؤاله ساقطة من (أ).

(٥) في (هـ): في. من دون الواو.

(٦) في (أ): الإسلام.

ومعنى: «لِتَشْهَدَ لِي بِالْمُؤَافَاةِ». أي: لِيَكُونَ عَمَلِي - عِنْدَكَ - شَاهِدًا / ٣٢ / - عِنْدَ اللَّهِ - تَعَالَى - لِمُؤَافَاتِي بِمَا نَدَبْتُ إِلَيْهِ مِنَ الْعِبَادَةِ، الْمُتَعَلِّقَةِ بِكَ، الْمَفْعُولَةِ فِيكَ.

وَأَمَّا قَوْلُ الزَّائِرِ^(١) لِمُشَاهِدِ الْأَنْعَمَةِ: أَشْهَدُ أَنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي، وَتَرُدُّ جَوَابِي. فَيَكُونُ مَعْنَى ذَلِكَ: قَبُولُ اللَّهِ - تَعَالَى - دُعَاءَ زَائِرِهِمْ^(٢)، وَإِجَابَةَ مَسَائِلِهِمْ. فَصَارَ قَبُولُهُ - تَعَالَى - مِنْ أَجْلِهِمْ، كَأَنَّهُ قَبُولٌ مِنْهُمْ.

وَيَجْرِي ذَلِكَ بِجَرَى قَوْلِهِمْ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. فِي أَنَّ مَعْنَاهُ الْقَبُولُ، لَا بِجَرْدِ^(٣) الْإِدْرَاكِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: خَاطَبْتُ فَلَانًا، فَمَا سَمِعَ كَلَامِي. أَي: مَا قَبِلَهُ. قَالَ الشَّاعِرُ^(٤):

دَعَاؤُ اللَّهِ حَتَّى خَفَتْ أَلَا يَكُونُ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ
أَي: لَا يَقْبَلُ.

وغير منكر أن يكون الله - تعالى - بَلَّغَهُمْ دُعَاءَ زَائِرِهِمْ^(٥)، فَيَسْمَعُونَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ. وَقَدْ صَحَّ بِإِجْمَاعِ الطَّائِفَةِ الْمُحَقِّقَةِ، وَالْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ: أَنَّهُمْ - بَعْدَ وِفَاتِهِمْ -

(١) انظر مفاتيح الجنان: ٣٤٩، ٤١٧.

(٢) في (أ): إبراهيم.

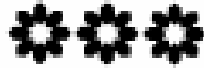
(٣) في (ك): محرز، بالخاء المهملة.

(٤) التوادر: ٣١٨ منسوباً إلى شُمَيْرِ بْنِ الْحَارِثِ. الزَّاهِرُ: ١: ١٥٤. الأضداد: ١٣٧ أمالي المرتضى:

١: ٦٠٣. لسان العرب «مادة - سمع».

(٥) في (أ): إبراهيم.

بِالْحِنَانِ. وَقَالَ اللَّهُ - تعالى - : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ ﴾^(١). وهذا في الشهداء، فكيف في الأوصياء؟ وقول النبي^(٢) - عليه السلام - : من صلى عليّ - عند قبري - سمعته، ومن صلى - عليّ - في أقطار الأرض، بلغته.



(١) آل عمران: ١٦٩، ١٧٠.

(٢) سنن أبي داود: ١: ٤٧١ باختلاف اللفظ. أوائل المقالات: ٨٩. شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢٣٤. تاريخ بغداد: ٣: ٢٩٢. باختلاف يسير في اللفظ.

فصل [- ٢٥ -]

[في خلق القرآن]

قوله - تعالى - : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ ﴾^(١).

تكلّم النَّاسُ في القرآن، فقالت الكفرة: ﴿ هذا إِنْكَ قَدِيمٌ ﴾^(٢). فشاركهم فيه المجرّة.

وقال^(٣) المشركون: ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾^(٤)، فوافقهم المعتزلة في اللَّفْظِ.

وقالت الزنادقة^(٥): ﴿ إِنْكَ افْتِرَاءٌ ﴾^(٦). فتبعهم الصّفاة^(٧)، إذ^(٨) قالوا:

(١) الأنبياء: ٢.

(٢) الأحقاف: ١١.

(٣) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): قالت. مع تاء التانيث الساكنة.

(٤) ص: ٧.

(٥) في (أ) الزيادة. وهو تحريف.

(٦) الفرقان: ٤.

(٧) مقالات الإسلاميين: ٢: ٥٩٠ - ٥٩٣.

(٨) في (ش) و(أ): إذا، وفي (ك): إذاً.

ليس في المصحف، قرآن، وإنما القرآن، قائم بذات الباري.

وَقَالَ اللَّهُ - تعالى - : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُخَدِّثُ ﴾^(١)، فاعتقده الإمامية^(٢).

و«الذِّكْرُ»: القرآن، قوله^(٣) في عقبه: ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾^(٥)، وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٦).

والمُنزَّل المحفوظ، لا يكون إلا محدثاً، لأن القديم، لا يُنزل، ولا يحتاج إلى حفظه. وقد ساء الله - تعالى - في المصحف، بمائة اسم - سأذُكُّرها في «أسباب نزول القرآن»^(٧) - إن شاء الله - ، كل اسم يدل على حدوثه، ومنها:

﴿شَهْرٌ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^(٨)، ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ﴾^(٩)، ﴿إِنَّ

(١) الأنبياء: ٢.

(٢) في (أ): والإمامية. ورأي الإمامية هذا في: الاحتجاج: ٢: ١٨٥. نور الثقلين: ٣: ٤١٣ عن الرضا (ع).

(٣) في (ح): لقوله.

(٤) الأنبياء: ٢.

(٥) الأنبياء: ٥٠.

(٦) الحجر: ٩.

(٧) «أسباب نزول القرآن» كتاب للمؤلف تقدّم ذكره في كتابه هذا وذكره في كتابه: «معالم العلماء»:

١٠٦.

(٨) البقرة: ١٨٥.

(٩) الإسراء: ١٠٦.

عَلَيْنَا بَجْمَعَةٍ وَقُرْآنَهُ^(١)، ﴿أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾^(٢)، ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾^(٣).
عباراتٌ عن الجمع، والجمعُ انضمامُ الشيء إلى غيره.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾^(٤)، ﴿قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَاتَهُ﴾^(٥)، ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^(٦). المنزَّل لا يكون قديماً، والتَّزْيِيلُ: إنزالُ شيءٍ، بعدَ شيءٍ، وهو من صفاتِ المحدثِ.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا﴾^(٧)، ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ﴾^(٨)،
﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾^(٩). والمجعول^(١٠): المفعول، هو المحدثُ.

﴿نَزَلَ الْفُرْقَانُ﴾^(١١)، ﴿وَقُرْآنًا قَرْنَاهُ﴾^(١٢)، ﴿أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ

(١) القيامة: ١٧.

(٢) الكهف: ١.

(٣) الطور: ٢.

(٤) الأحقاف: ٢.

(٥) الأنعام: ٣٧.

(٦) الكهف: ١٠٦.

(٧) الزخرف: ٣.

(٨) الشورى: ٥٢.

(٩) النساء: ٤٧.

(١٠) في (أ): المجهول.

(١١) الفرقان: ١.

(١٢) الإسراء: ١٠٦.

الْكِتَابِ ﴿١﴾. مَفْضَلًا لِنَزُولِهِ مَتَفَرِّقًا.

﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِئُهَا ﴾^(١)، ﴿ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾^(٢). النَّاسِخُ، وَالْمَنْسُوخُ، وَالْمُحْكَمُ، وَالْمُتَشَابَهُ، كَيْفَ يَكُونُ قَدِيمًا؟

﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ ﴾^(٣)، ﴿ وَمَنْ أَضَدُّقٌ مِنْ اللَّهِ قِيلًا ﴾^(٤). الْقَوْلُ لَا يَقْدَمُ عَلَى قَائِلِهِ، وَلَا يُقَارَنُ^(٥)، بَلْ يَكُونُ بِحَسَبِ إِخْتِيَارِهِ.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ ﴾^(٦)، ﴿ أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتٍ رَبِّي ﴾^(٧)، ﴿ تُنثَلَى عَلَيْكُمْ ﴾^(٨). الرُّسَالَةُ، وَالتَّلَاوَةُ، وَإِعْطَاءُ السَّبْعِ الْمَثَانِ، دَلَالَةٌ عَلَى حُدُوثِهِ. ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾^(٩)، الْإِلْقَاءُ، وَالثَّقُلُ مِنْ صِفَاتِ الْحُدُوثِ.

(١) الكهف: ١.

(٢) البقرة: ١٠٦.

(٣) آل عمران: ٧.

(٤) الطارق: ١٣.

(٥) النساء: ١٢٢.

(٦) يُقَارِنُهُ: يَصَاحِبُهُ.

(٧) الحجر: ٨٧.

(٨) الأعراف: ٦٢.

(٩) آل عمران: ١٠١.

(١٠) المزمل: ٥.

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(١)، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٢). والعربيُّ من زمنِ إسماعيلَ، والعربيَّةُ محدثة^(٣)، ومن زعمَ أنَّ اللهَ عربيٌّ، كفرَ. وما كانَ غيرَ اللهِ، فهو محدثٌ.

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾^(٤)، دلالةٌ على حدوثه.

﴿مَرْفُوعَةً مُطَهَّرَةً بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾^(٥). وَصَفَهُ بِالرَّفْعَةِ، وَالطَّهَارَةِ، وَأَنَّهُ بِأَيْدِي

سفرة.

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾^(٦). فلو كان^(٧) قديماً، لكانَ قبلَ

اللوحِ.

﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ﴾^(٨). وَصَفَهُ بِأَنَّهُ إِنَّمَا يَظْهَرُ بِالْقِرَاءَةِ،

والكتابة.

﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٩). القديمُ لا يَمَسُّ.

(١) يوسف: ٢. وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم.

(٢) الشعراء: ١٩٥.

(٣) في (أ): محدث.

(٤) آل عمران: ١٠٣.

(٥) عبس: ١٤، ١٥.

(٦) البروج: ٢١، ٢٢.

(٧) العبارة: «فلو كان قديماً لكان» ساقطة من (أ).

(٨) التعل: ١.

(٩) الواقعة: ٧٩.

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(١). يدلُّ على حدوثه من حيثُ أنه كَلَّمَ^(٢) موسى خاصَّةً، دونَ غيره من الأنبياء، وكَلَّمَ في وقتٍ دونَ وقتٍ، ولو كان قديماً، لم يكن - في ذلك - إختصاصٌ.

﴿وَوَعَدْنَاكَ كَلِمَةً رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾^(٣). في الآية^(٤) دلالةٌ على أنه محدثٌ، لأنَّه وَصَفَهُ بِالتَّامِّ، والعدلِ، وذلك لا يكونُ إلا حادثاً.

﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾^(٥). وصفه بالإنزالِ، وبأنَّه مباركٌ يُتَبَرَّكُ بِهِ، وذلك من صفاتِ / ٣٣ / المحدثاتِ.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾^(٦). بيِّنَ أنَّ له مثلاً.

﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾^(٧). يدلُّ على أنه حادثٌ، لأنَّ القديمَ، لا يكونُ^(٨) حديثاً.

(١) النساء: ١٦٤.

(٢) في (أ): تكلم.

(٣) الأنعام: ١١٥.

(٤) في (أ): في الآية في دلالة.

(٥) الأنبياء: ٥٠.

(٦) الطور: ٣٤.

(٧) يوسف: ١١١.

(٨) في (ش): لا يكون له حديثاً.

﴿ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى ﴾^(١). يَبَيِّنُ أَنَّ^(٢) لَهُ أَوْلَى.

﴿ قِبَائِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾^(٣). ذَكَرَ أَنَّ لَهُ آخَرَ.

أمير المؤمنين - عليه السلام -: وَإِنَّمَا كَلَامُهُ - سُبْحَانَهُ - فَعَلَّ مِنْهُ، أَنشَأَهُ، لَمْ يَكُنْ - مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ - كَاتِنًا، وَلَوْ كَانَ قَدِيمًا، لَكَانَ إِلَهًا ثَانِيًا.

عمران^(٤) بنُ الحَصِينِ: قَالَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -^(٥): كَانَ اللَّهُ، وَلَا شَيْءَ، ثُمَّ خَلَقَ الذَّكَرَ، وَإِنَّهُ لَيْسَ - فِيهَا خَلْقَ اللَّهِ - شَيْءٌ أَعْظَمُ مِنْ آيَةٍ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ... ﴾^(٦).

وَكَتَبَ عَلِيُّ^(٧) بْنُ مُحَمَّدٍ التَّقِيُّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَى بَعْضِ شِيعَتِهِ بِبَغْدَادَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. عَصَمْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الْفِتْنَةِ، فَإِنْ تَفَعَّلَ فِيهَا وَنِعَمْتَ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، فَهِيَ الْهَلَكَةُ. نَحْنُ نَرَى أَنَّ الْجِدَالَ فِي الْقُرْآنِ، بَدْعَةٌ، إِشْتَرَكَ فِيهَا السَّائِلُ، وَالْمَجِيبُ، فَتَعَاطَى السَّائِلُ مَا لَيْسَ لَهُ، وَتَكَلَّفَ الْمَجِيبُ مَا لَيْسَ عَلَيْهِ. وَلَيْسَ

(١) هود: ١٧.

(٢) (أَنَّ) ساقطة من (هـ).

(٣) الأعراف: ١٨٥.

(٤) صحيح مسلم: ٢: ١٩٩. سنن أبي داود: ١: ٣٣٧ بلفظ مختلف عن أبي بن كعب. صحيح

الترمذي: ١١: ١٥ عن عبدالله بن مسعود. تاريخ بغداد: ١: ٣٤٦.

(٥) في (أ): صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(٦) البقرة: ٢٥٥.

(٧) التوحيد: ٢٢٤. باختلاف يسير في اللفظ. أمالي الصدوق: ٤٨٩.

الخالقُ إلَّا اللهُ، وما سواه، مخلوقٌ. فالقرآنُ، كلامُ اللهِ، لا تُجَعَلُ له إسمًا^(١) من عندك، فتكونُ من الضَّالِّينَ. جَعَلْنَا اللهُ، وإِيَّاكَ من الَّذِينَ يَحْشُونَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ، وهم من السَّاعَةِ، مُشْفِقُونَ.

سُئِلَ الصَّادِقُ^(٢) - عليه السلام - عن القرآن، فقال:

كلامُ اللهِ، وقولُ اللهِ، ووحْيُ اللهِ، وكتابُ اللهِ، وتنزيلُهُ، وهو الكتابُ العزيزُ، الَّذِي لا يَأْتِيهِ الباطلُ من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ. الرُّضَا^(٣) - عليه السلام -: القرآنُ كلامُ اللهِ، لا تتجاوزوه، ولا تطلبوا الهدى من غيره، فتضلُّوا.

وسُئِلَ زَيْنُ العابدينَ^(٤) - عليه السلام - عن القرآن، فقال - عليه السلام - : ليسَ بخالقي. ولا مخلوقي. وهو كلامُ^(٥) الخالقي. بيت^(٦):

(١) في (أ): أسماء.

(٢) التوحيد: ٢٢٤. أمالي الصدوق: ٤٨٨.

(٣) التوحيد: ٢٢٤. عيون أخبار الرضا: ٢: ٥٦. أمالي الصدوق: ٤٨٩. وبعض الخبر في تفسير العياشي: ١: ٦، ٨.

(٤) التوحيد: ٢٢٣ وفيه: عن الرضا (ع). أمالي الصدوق: ٤٨٨. وفيه: عن الرضا (ع) أيضاً. تفسير العياشي: ١: ٦-٧ عن الباقر (ع). الدر المنثور: ٧: ٢٢٤ عنه (ع). وفي الأسماء والصفات: ٢٤٦، ٢٤٧ منسوب إلى جعفر بن محمد الصادق (ع).

(٥) في (أ): الكلام.

(٦) لم تقف على قائله ولا مورد أخذه.

كَلَامُ رَبِّي لَا يُبَارِزُونَهُ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَلَا نَخَالِقِ

الصَّاحِبُ^(١):

قالت: فما القولُ في القرآنِ؟ سَقَهُ لَنَا

قالت: فأينَ دليلُ الخلقِ فيه؟ أينَ

قلتُ: القرآنُ كلامُ اللهِ أينَ^(٢) تُلي

فقلتُ: تَركيبُهُ من أحرفِ الجَمَلِ

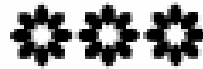
وَأَنَّهُ^(٣):

قد جهلتُ في قديمِ القرآنِ

قالت: قديمٌ، ليسَ بالرَّحْمَنِ

كمثلِ جهلِ عابدِ الأوثانِ

فصارَ هذا كقديمِ ثانِ



(١) ديوان الصاحب بن عباد: ٤١. وفيه: فقلتُ ذلك كلامُ اللهِ أينَ تُلي.

(٢) في (ك): وأين.

(٣) أخلُّ بهما ديوانه المطبوع، بتحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين.

فصل [-٢٦-]

[في كون القرآن محدثاً]

قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ... ﴾ الآية^(١).

الظاهر يقتضي أنه يريد - أولاً - بقول: «كُن»، لما لم يُرَدَّ. وإذا كَانَ كَذَلِكَ، فالإرادة مُتَقَدِّمَةٌ عَلَيْهِ، وما تَقَدَّمَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، فَهُوَ مُحَدَّثٌ. أبو سعد الآبي^(٢):

أَنْزَلَ ذِكْرًا مَحْكَمًا كَرِيمًا وَلَا يَكُونُ مُنْزَلًا قَدِيمًا^(٣)

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّا نَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(٤)، وقوله:

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ... ﴾ الآية^(٥).

(١) النحل: ٤٠ وتكملة الآية في (هـ): ﴿ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾.

(٢) هو الوزير أبو سعد منصور بن الحسين الآبي.

(٣) لم تقف على مورد أخذه.

(٤) مريم: ٣٥.

(٥) النحل: ٤٠.

فـ«كُنْ» مُسْتَقْبَلٌ. وإذا كَانَ مُسْتَقْبَلًا، إِنَّمَا يُوْجَدُ فِي الْاِسْتِقْبَالِ، دُونَ الْمَاضِي، وَذَلِكَ يُوجِبُ حُدُوثَهُ. وَالظَّاهِرُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مُحَدَّثٌ، الْقَوْلُ الَّذِي هُوَ الْأَمْرُ، بِأَن نَقَوْلَ: كُنْ. وَقَدْ قَضَاءُ. وَالْكَافُ مُتَقَدِّمَةٌ عَلَى النَّوْنِ، وَالنُّونُ مُتَأَخِّرَةٌ عَنْهَا. وَالتَّقْدِيمُ، وَالتَّأخِيرُ، دَلِيلُ الْحُدُوثِ، وَلَوْ كَانَتْ إِرَادَتُهُ قَدِيمَةً.

وقوله: «كُنْ» - قديماً - وجب أن يكون المراداتُ حاصلةً في القدم، أو متأخرةً عنه. وأفعاله: ماضٍ، وحالٌ، واستقبالٌ. ابنُ علوية^(١):

جَلَّ^(٢) الْمُهَيْمِنُ أَنْ يُجَدَّ بِمَنْطِقِي^(٣) وَتَوَهُمُ بِكَهَائِنَةِ الْكُهَّانِ
أَوْ أَنْ يُبَعْضَ أَوْ يُقَالَ: كَلَامُهُ يَجْرِي بِصَوْتِ مَنْ فَمٍ وَلِسَانِ

قوله - سبحانه - : ﴿ مَا تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾^(٤).
فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى: أَنَّ الْقُرْآنَ، غَيْرُ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ، هُوَ الْمَحْدِثُ لَهُ، وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ، لِأَنَّ مَا كَانَ بَعْضُهُ جُزْءًا مِنْ بَعْضٍ، فَهُوَ غَيْرُ اللَّهِ، لَا مَحَالَةَ^(٥).

(١) لم نقف على مورد أخذه.

(٢) في (أ): حل. بحاء مهملة.

(٣) في (هـ): بمنطقاً.

(٤) البقرة: ١٠٦.

(٥) في (ك): لا محالة.

وفيها دليل^(١) على أن الله قادرٌ عليه، وما كان داخلًا تحت القدرة، فهو فعلٌ. والفعل لا يكون إلا مُحدثًا، وإنه لو كان قديماً لَمَا صَحَّ^(٢) وجودُ النسخِ فيه، لأنه إذا كان الجميعُ حاصلًا فيما لم يزل، فليسَ بعضُهُ بأن يكونَ ناسخًا، والآخرُ منسوخًا، بأولى من العكس.

قوله - سبحانه - : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾^(٣).

الظاهرُ يُوجِبُ كَوْنَ الخلقِ، والأمرِ، له، ولا يصحُّ كَوْنَ القديمِ له^(٤)، لأنَّ القديمَ، لا يصحُّ فيه المُلْكُ، والخلقُ غيرُ الأمرِ، لأنه يقالُ: خالِقٌ. لِمَا ليسَ بفاعلٍ كما قال^(٥):

وَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْضُ الخَلْقِ^(٦) يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي
فصَحَّ أَنَّ الأَمْرَ، غيرُ الخَلْقِ، ويَكُونانِ مَخْلُوقَيْنِ.

(١) في (هـ): دلالة.

(٢) في (أ): يَصَحُّ.

(٣) الأعراف: ٥٤.

(٤) العبارة: «له لأنَّ القديم» ساقطة من (أ).

(٥) هو زهير بن أبي سلمى. انظر شرح ديوان زهير بن أبي سلمى صنعة ثعلب: ٩٤ وفيه: بعض

القوم.

(٦) في (أ): الخالق.

والأمر^(١)، لفظه: «إفعل». وهذا لا بد من أن يكون حادثاً، لتقدم بعض الحروف على بعض، وتواتر حدوثها^(٢). وبمعنى العمل. وهذا - أيضاً - حادث. وإثبات أمر غير معقول، محال. ولو كان قديماً، لم يكن الله به، أمراً، لأنه يصيرُ به فاعلاً، ولو صارَ به أمراً، لجعل جميع المأمورين، مأمورين، وإن كانوا معدومين.

وما قالت المجبرة^(٣) - في هذه الآية - : إنه أفرَدَ الأمرَ بالذكرِ، بعدَ ذكره الخلق، دل على أن الأمر ليس بمخلوق، باطل لقوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾^(٤).

ولو كان الأمر كذلك، لوجب ألا يكون جبريل، وميكال من الملائكة. ونظيره: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾^(٥).

قوله - سبحانه - : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^(٦).

الظاهر: أنه أنزل الجميع فيه، وقد أنزله في عدة أوقات؟

(١) في (أ): هي الأمر.

(٢) في (ح): حذفها.

(٣) مقالات الإسلاميين: ٢: ٦٠٢.

(٤) البقرة: ٩٨.

(٥) الأحزاب: ٧.

(٦) البقرة: ١٨٥.

فالجواب: إنه أنزله جملة واحدة إلى سماء الدنيا في شهر رمضان، ثم فَرَّقَ إنزاله بعد ذلك بحسب ما تدعو الحاجة إليه.

وقالوا: أنزل في فرضه، وإيجاب صومه على الخلق، فيكون فيه معنى: في فرضه. كقول القائل: أنزل الله في الزكاة كذا، وكذا. يريد: في فرضها. وأنزل الله في الخمر: كذا، وكذا. أي: في تحريمها. والصحيح: إن قوله: «القرآن» - في هذا الموضع - لا يفيد العموم، والاستغراق، وإنما يفيد الجنس من غير معنى الاستغراق. فكأنه - تعالى - قال: شهر رمضان الذي أنزل فيه كلام من هذا الجنس. فأى شيء، نزل منه، في الشهر، فقد طاب الظاهر.

قوله - سبحانه -: ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَأَنْوَابِهِ مُتَشَابِهًا﴾^(٢).

بجاء الآية: ليس على أنه متشابه في لون، أو طعم، بل في الفضل. كما تقول: ما أدري ما أختار من هذه الثياب. كلها - عندي - فاضل^(٣).



(١) الزمر: ٢٣.

(٢) البقرة: ٢٥.

(٣) في (ش): فاضل.

فصل [-٢٧-]

[في معنى كون الله هو الغني]

قوله - تعالى - : ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾^(١) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾^(٢) ، ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾^(٣) ، ﴿ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾^(٤) .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي الْعُجَايِءِ، لِلطَّاقِي^(٥) : أَنْزَعُمُ أَنَّهُ غَنِيٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قال: أيكون الغني - عندك - في المعقول في وقت من الأوقات، ليس عنده ذهب ولا فضة؟

قال: إن كان غنياً من قبل ذهبه وفضته، وتجارته، فهذا كل ما يتعامل

(١) لقمان: ١٢ .

(٢) فاطر: ١٥ .

(٣) الأنعام: ١٣٣ .

(٤) محمد: ٣٨ .

(٥) في (ك): للطائي. بالهاء المثناة بعد الألف.

النَّاسُ بِهِ، مِنْهُ. فَأَيُّ الْقِيَاسِ، أَكْثَرُ، وَأَوْلَى مِنْ أَنْ يُقَالَ: غَنِيٌّ مِنْ أَحَدِ الْغَنِيِّ،
فَأَغْنِي بِهِ النَّاسَ، قَبْلَ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ، أَوْ مِنْ أَفَادَ مَالاً فِي هَبِيَّةٍ، أَوْ تِجَارَةٍ؟
فَقَالَ: هَذَا مِنْ كَلَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

قوله - سبحانه - : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾^(١).

يكونُ مجازاً في اللُّغَةِ، لِأَنَّ حَقِيقَتَهُ، أَنْ يُسْتَعْمَلَ لِلْحَاجَةِ، وَاللَّهُ - تَعَالَى - هُوَ
الْغَنِيُّ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَمْلِكَ اللَّهُ - تَعَالَى - لِأَنَّهُ مَالِكُ الْأَشْيَاءِ مِنْ غَيْرِ تَمْلِكٍ، وَلِأَنَّ
الْمَالِكَ، لَا يَمْلِكُ مَا هُوَ مَالِكُهُ^(٢)، فَيَكُونُ ذِكْرُ الْقَرْضِ فِي صِفَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - تَلَطُّفًا
فِي الِاسْتِدْعَاءِ إِلَى الْإِتْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَهُوَ كَالْقَرْضِ، فِي مِثْلِهِ مَعَ أضعافِهِ.

وقوله: ﴿ يُضَاعِفُهُ لَكُمْ ﴾^(٣). أي: يضاعف ثوابه لكم بأمثاله.

وقال^(٤) متكلِّمٌ: ما سوى الله، إمَّا جِسْمٌ، أَوْ عَرَضٌ. فَالْجِسْمُ مُفْتَقِرٌ إِلَى
الْكُونِ، لَا يَوْجَدُ إِلَّا مَعَهُ. وَالْعَرَضُ مُفْتَقِرٌ إِلَى الْجِسْمِ، لَا يَوْجَدُ إِلَّا فِيهِ. فَالْأَشْيَاءُ،
كُلُّهَا مُفْتَقِرَةٌ، مُحْتَاجَةٌ، وَاللَّهُ، الْغَنِيُّ وَحْدَهُ. إِحْتِاجُ اثْنَانِ إِلَى وَاحِدٍ لِيَصِيرَ ثَلَاثَةً،

(١) البقرة: ٢٤٥. الحديد: ١١.

(٢) في (١): ماله.

(٣) التغابن: ١٧.

(٤) لم أقف على اسمه ولا مظنة كلامه.

وهكذا الثلاثة، والأربعة، وسائر الأعداد. والواحد لا يحتاج إلى آخر ليصير واحداً، فالخلق كلهم محتاجون إلى الله، وهو الغني عنهم.

بعض الصادقين^(١) - عليهم السلام - ومنّ بالنعم أولاً بجُوده، وجزاءً بعدله، وثواباً بلطفه.

وقد بين الله - تعالى - أنه مريد، وكاره في آيات، منها قوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾^(١)، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾^(٢)، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾^(٣)، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾^(٤)، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٥)، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾^(٦). وَقَالَ - تعالى - : ﴿وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاتِهِمْ﴾^(٧)، ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾^(٨)، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾^(٩).

(١) المقصود بهم الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام).

(٢) النساء: ٢٧.

(٣) النساء: ٢٨.

(٤) البقرة: ١٨٥.

(٥) النساء: ٢٦.

(٦) البقرة: ١٨٥.

(٧) الأحزاب: ٣٣.

(٨) التوبة: ٤٦.

(٩) الإسراء: ٣٨.

(١٠) الحجرات: ٧.

فمن المعلوم أنه لا يحبُّ إلا ما يحبُّ، ولا يكره إلا ما يكرهه^(١)، وأنه إذا لطف في تحبيب الإيمان بالطافه، دلَّ على ما نقوله^(٢) في اللطف.

قوله - سبحانه -: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَخَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبَلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٣).

يدلُّ على أن إرادة الله، محدثة، لأن الاستثناء، يدلُّ على ذلك، لأنها لو كانت قديمة، لم يجز هذا الاستثناء، كما لا يجوز أن يقول القائل: لا يدخل زيد في الدار، إلا أن يقدر الله، أو إلا أن يعلم الله. لحصول هذه الصفات فيما لم يزل.

قوله - سبحانه -: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾^(٤).

يدلُّ على حدوث المشيئة، لأنه لا يجوز إذا قدر على شيء، فعلة. ويجوز إذا يشاء أن يفعل فعلة.



(١) في (هـ): أكرهه.

(٢) في (أ): نقول. من دون الضمير (الهاء).

(٣) الأنعام: ١١١.

(٤) الشورى: ٢٩.

فصل [- ٢٨ -]

[في تنزيه الله عن الجسميّة]

قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾^(١)، وقوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾^(٢)، وقوله: ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾^(٣)، وقوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾^(٤).

المرادُ بها الإخبارُ عن كونه - سبحانه - عالماً أبداً، بخفي^(٥) أحوالنا وأسرارنا.

والمعنى: ونحنُ أقربُ إليه مما يُدركُهُ من حبلِ الوريدِ [في القربِ]. أي: إنِّي أعلمُ بهِ^(٦).

(١) البقرة: ١٨٦.

(٢) ق: ١٦.

(٣) العلق: ١٩.

(٤) الحديد: ٤.

(٥) في (ش): يخفي. بصيغة الفعل المضارع وبياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش).

وقيل: نحن أقرب إليه من جبل الوريد، لو كان مُدْرَكًا.

وقيل: نحن أملك به من جبل الوريد في الاستيلاء عليه، وذلك أن جبل الوريد في حيز غير حيزه، والله - تعالى - مدرك بنفسه، وما لك له بنفسه.

قوله - سبحانه - : ﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾^(١).

معناه: قرَّبناه من الموضع الذي شرفناه، وعظَّمناه بالحصول فيه، ليستمع كلامه - تعالى -.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٢)، وَمَجَاهِدٌ^(٣): قُرَّبَ مِنْ أَعْلَى الْحُجُبِ، حَتَّى سَمِعَ صَرِيرَ الْقَلَمِ.

وقيل: معناه أن محله - من - محل من قرية مولاه من مجلس كرامته، لأن التقرب^(٤) من - إليه، بالطاعات - طلب المتزلة الرفيعة عنده، بفعالها، لا قرب المسافة، كما يقال: فلان قريب من الملك. وإن كان بينهما بؤن بعيد، ومنه قوله: ﴿ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾^(٥).

(١) مريم: ٥٢.

(٢) جامع البيان: ١٦ : ٩٤ بلفظ مختلف. الجامع لأحكام القرآن: ١١ : ١١٤.

(٣) جامع البيان: ١٦ : ٩٥ بلفظ مختلف.

(٤) في (أ) و(ح): التقريب.

(٥) النساء: ١٧٢.

ويقال: معناه، التَّقَرُّبُ إلى رحته. ومعنى ذلك: أن يفعل الطَّاعَةَ ليكونَ -
يَفْعَلُهَا - أقربَ إلى أن يَغْفِرَ لَنَا، وَيَرْحَمَنَا.

قوله - سبحانه - : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾^(١)، وقوله:
﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾^(٢).

يدلُّ على أنه ليس بجسم، ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾^(٣) أي: مثلاً. ﴿ لَيْسَ
كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^(٤).

سُئِلَ الصَّادِقُ^(٥) - عليه السلام - عن الآية، فقال: نورٌ لا ظُلْمَةٌ فِيهِ، علمٌ
لا جهلٌ فِيهِ، حياةٌ لا موتٌ فِيهِ.

وسُئِلَ أبو جعفر^(٦) الثاني - عليه السلام -: أيجوزُ أن يقالَ لله - تعالى -: إنه

شيءٌ؟

(١) المجادلة: ٧.

(٢) الحديد: ٤.

(٣) مريم: ٦٥.

(٤) الشورى: ١١.

(٥) التوحيد: ١٣٧، ١٣٨. عن الصادق، والرِّضَا، واليَاقَر - عليهم السلام -.

(٦) الكافي: ١: ٨٢، ٨٥. التوحيد: ١٠٧. معاني الأخبار: ٨ - ٩ وفيها: «وحدُّ التَّعْطِيلِ». وفي

الاحتجاج: ٢: ٢٣٨ ما يطابق رواية كتابنا.

فقال - عليه السلام - : نعم ! تُخْرِجُهُ عَنْ حَدِّ الْإِبْطَالِ، وَحَدِّ التَّشْبِيهِ.

إِبْنُ حَمَادٍ^(١) :

وقالوا: لهُ مثلُ أوصافنا فقد صَوَّرُوهُ، وقد جَسَّمُوهُ
فما عَرَفُوهُ ولا عَبَدُوهُ ولا وَقَّروهُ ولا عَزَّزُوهُ^(٢)

العوني^(٣) :

جَلَّ مِنْ لَيْسَ لَهُ شِبْهُ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِينَا
فهُوَ شَيْءٌ لَيْسَ كَالْأَشْيَاءِ مِمَّا تَزْعَمُونَا

قوله - سبحانه - : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ ﴾^(٤).

في الآية: دلالة على من قال: لا يوصف - تعالى -^(٥) بأنه شيء، لأنه لو كان
- كما قال - لما كان - للآية - معنى. كما أنه لا يجوز أن يقول القائل^(٦): أيُّ النَّاسِ،

(١) (ابن حماد) ساقطة من (هـ).

(٢) لم نقف على المورد الذي أخذه منه.

(٣) لم نقف على مورد أخذه.

(٤) الأنعام: ١٩.

(٥) (تعالى) سقطت من (ح).

(٦) في (ش): للقائل. مع حرف الجر (اللام).

أصدق؟ فيجاب بجبريل. لما لم يكن من جملة الناس، بل كان من الملائكة.

وَقَالَ أمير المؤمنين - عليه السلام - : قوله، فعله، من غير مباشرة، وتفهمه من غير ملاقة، وهدايته من غير إيباء، وكلامه من غير آلة، ونيته من غير اعتقاد، وجهه، حيث توجهت، وقصده، حيث يمتت، وطريقه حيث استقمت. منك يفهمك، وعنك يعلمك. ارتبط كل شيء بضده، وقطعه بحدّه. ما تحيل، فالتشبيه له مقارن، وما توهم، فالتنزيه له مبين.

وَقِيلَ لِلصَّادِقِ^(١) - عليه السلام - : إِنْ هَشَامًا يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ ، جِسْمٌ ،

لا كالأجسام.

فَقَالَ: قَاتِلُهُ اللَّهُ! أَمَا عَلِمَ أَنَّ الْجِسْمَ مَحْدُودٌ، أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ، مِنْ هَذَا الْقَوْلِ.

وفي حديث يونس^(٢): أَمَا عَلِمَ أَنَّ الْجِسْمَ مَحْدُودٌ، مُتْنَاهُ، وَأَنَّ الْمَحْدُودَ الْمُتْنَاهِي، يَحْتَمِلُ الزِّيَادَةَ، وَالتَّقْصَانَ، وَمَا احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ، وَالتَّقْصَانَ، كَانَ مَخْلُوقًا.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَجِ^(٣) البرجمي: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -

أَسْأَلُهُ عَمَّا قَالَ هَشَامُ بْنُ الْحَكَمِ، فِي الْجِسْمِ، وَهَشَامُ بْنُ سَالِمٍ فِي الصُّورَةِ، فَكَتَبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : دَعَّ عَنْكَ حَيْرَةُ الْحَيْرَانِ، وَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، لَيْسَ الْقَوْلُ

(١) أمالي الصدوق: ٢٤٦ باختلاف في اللفظ يسير. الاحتجاج: ٢: ١٥١ التوحيد: ١٠٠ في جملة بيان.

(٢) الكافي: ١: ١٠٦ الحديث بتامه ونصه. التوحيد: ٩٩. في جملة حديث.

(٣) الكافي: ١: ١٠٥. التوحيد: ٩٧. أمالي الصدوق: ٢٤٦. وفيها: محمد بن الفرغ الرُّخمي.

ما قَالَ الْهِشَامَانِ. قَالُوا: فَرَجِعْنَا عَنْ مَقَالَيْهِمَا.

الصَّاحِبُ^(١):

قالت: فهل هو ذو شبه وذو مثل
قالت: فقل لي جسمٌ ذاك أم عرضٌ
قالت: وما ضرَّ لو أثبتهُ جَسَدًا
فقلتُ: قد جَلَّ عَنْ شَيْبِهِ وَعَنْ مَثَلِ
فقلتُ: بل خالِقُ الْجَنَسِينَ فانتَقِلِ^(٢)
فقلتُ: لا توجدُ الأجسامُ في الأزلِ^(٣)
وله^(٤) - أيضاً -:

وَأَخْرُ قَالَ: اللَّهُ جُجْمٌ مُجْمٌ
وَأَنَّ الَّذِي قَدْ حُدَّ، لَا رَبَّ مُحْدُتٌ
وَلَمْ يَسْدِرْ أَنَّ الْجِسْمَ شَيْءٌ مُحَدَّدٌ
إِذَا مَيَّرَ الْأَمْرَ اللَّيْبُ الْمُؤَيَّدُ
غيره^(٥):

عجبتُ لذي التَّشْبِيهِ كَابِرَ عَقْلُهُ
أَمْ الْعَقْلُ عَنْهُ حَبِيبٌ شَبَّهُ عَازِبُ^(٦)



(١) ديوان الصَّاحِبِ بن عِيَاد: ٤٠.

(٢) في الديوان: قالت: أبن لي أجسم ذاك...

(٣) في الديوان: قالت: وما ضرَّ لو أثبتهُ...

(٤) ديوان الصَّاحِبِ بن عِيَاد: ٣٢.

(٥) لم نقف على قائله ولا مظنة أخذيه.

(٦) في (هـ) و(أ): عجبتُ لذا...

فصل [- ٢٩ -]

[في معنى العرش والاستواء]

قوله - تعالى - : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١).

العرش: السِّريرُ. ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾^(٢)، وأصولُ البناءِ: ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾^(٣)، وما يُسْتَقَلُّ بِهِ: ﴿جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾^(٤)، ومنهُ العريشُ، والبناءُ: ﴿وَمِمَّا يُعْرِشُونَ﴾^(٥)، والبَسَطُ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(٦)، وقوامُ الأمرِ:

[وفيمن سواهم من ملوكٍ وسوقةٍ] دعائمُ عرشِ خانةِ الدهرِ فانقمروا^(٧)

(١) طه: ٥.

(٢) النحل: ٢٣.

(٣) الحج: ٤٥.

(٤) الأنعام: ١٤١.

(٥) النحل: ٦٨.

(٦) هود: ٧.

(٧) قائله: ليبد بن ربيعة العامري. انظر شرح ديوان ليبد بن ربيعة العامري: ٢١٣. ومنه صدرُ

والمَلِكُ ذَا عَرَشِي^(١) تَثَلَّم^(٢) جَانِبَاهُ^(٣)

آخِرُ^(٤) :

إِذَا مَا بُنُو مَرْوَانَ ثَلَّتْ عَرُوشُهَا وَأُودَتْ كَمَا أُودَتْ إِسَادُ وَجَمِيْرُ

زَهِيْرُ^(٥) :

تَدَارَكْتُمَا الْأَخْلَافَ قَدْ ثَلَّ عَرُشُهَا وَذُبْيَانُ إِذْ زَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا النَّعْلُ

فَالْعَرُشُ مَحْدَثٌ، وَإِنَّهُ [تَعَالَى] ^(٦) كَانَ، وَلَا مَكَانَ. وَكُونُهُ فِي «كَانَ» بَعْدَ «أَنْ لَمْ يَكُنْ»، تَغْيِيرٌ، وَكُلُّ مَنْ تَغْيِيرٌ، فَلَيْسَ بِقَدِيمٍ^(٧).

وَالْعَرُشُ، مَحْدُودٌ، وَمَحَالٌّ أَنْ يَتَكَوَّنَ^(٨) عَلَى الْمَحْدُودِ، وَيَتَأَسَّهُ مَا لَيْسَ

(١) فِي (ش): ذَا وَعَرُشْتِي. فِي (أ): عَرَشِي. فِي (ح): رَأَا عَرَشِي.

(٢) فِي (ك): خَاتِبَات.

(٣) لَمْ نَقْفِ عَلَى فَائِلِ الْبَيْتِ وَلَا نَمَامَهُ. وَهُوَ فِي كِتَابِ الْأَسَاسِ لِعَقَائِدِ الْأَكْبَاسِ: ٧٦: مَنْسُوبٌ إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي كَلْبٍ بِرَوَايَةٍ:

رَأَا عَرَشِي تَثَلَّمُ جَانِبَاهُ فَلَمَّا أَنْ تَثَلَّمُ أَقْوَدُونِ

(٤) شَرَحَ عَقَائِدَ الصُّدُوقِ أَوْ تَصْحِيحَ الْأَعْتِقَادِ: ٢٢١. بِلَا عَزْوٍ. مَجْمَعُ الْبَيَانَ: ٢: ٤٢٨ وَفِيهِ:

«عَرُوشُهُمْ» بِلَا عَزْوٍ أَيْضًا، وَكَذَا فِي الْبَدءِ وَالتَّارِيخِ: ١: ١٦٦.

(٥) شَرَحَ دِيْوَانَ زَهِيْرِ بْنِ أَبِي سَمَلٍ: ١٠٩.

(٦) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ (ح).

(٧) فِي (أ): بِقَدَمٍ.

(٨) فِي (هـ): يَكُونُ.

بمحدود^(١)، وذلك منفي عن الله - تعالى - ويقتضي كونه جسماً، إذ ما ليس بجسم، يستحيل منه الكون في المكان. وكونه جسماً، يوجب حدوثه. والكون على السريير - بعد أن لم يكن - يكون انتقالاً، وزوالاً، ويوجب أن يكون محدثاً. ونمط ما قبل الآية، وما بعدها، لا يُشاكل تفسيرها على السريير، ومتى فُسر على الملك، يُشاكل.



قوله - سبحانه -: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٢)، وقوله: ﴿اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾^(٣).

الاستواء على أقسام: استواء في المقدار، واستواء في المكان، واستواء في الذهاب، واستواء في الاتفاق^(٤)، واستواء بمعنى الاستيلاء، وهو راجع إلى الاستواء في المكان.

وَيُلْحَقُ - بذلك - الاستواء بمعنى: الانتصاب. يقال: استوى فلانُ جالساً، واستوى قائماً. وبمعنى الركوب، قوله: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ

(١) العبارة: «بمحدود... ما ليس» ساقطة من (أ).

(٢) طه: ٥.

(٣) البقرة: ٢٩.

(٤) في (ش) و(هـ) و(ح): الاتفاق. بنون موحدة من فوق.

عَلَى الْقُلُوبِ^(١)، وبمعنى: تساوي الأجزاء المؤلفة. تقول: استوى الحائط،
وبمعنى: التَّساوي في الأمر. قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾^(٢).

قال الشاعر^(٣):

قَدْ اسْتَوَى ظِلْمُ الْعَشِيرَةِ

وهذه كلها من صفات الأجسام، لا تجوز^(٤) على الباري - تعالى -.

والذي يُحَقِّقُ في تأويله، ما قال ابن عباس^(٥)، والحسن^(٦): استوى^(٧) أمره،
ولطفه، وصعد إلى السماء، لأن أوامره، وقضاياه، تنزل منها إلى الأرض.

الجبائي^(٨): أي: استوى^(٩) عليه بأن^(١٠) رفعه.

(١) المؤمنون: ٢٨.

(٢) القصص: ١٤.

(٣) لم نقف على تمام البيت ولم نعرف قائله.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): يجوز. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٥) مجمع البيان: ١: ٧١. الأسماء والصفات: ٤١٣. الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٥٤.

(٦) مجمع البيان: ٢: ٤٣٨، ٥: ٦.

(٧) في (ش): واستوى. مع الواو.

(٨) مجمع البيان: ٢: ٤٣٨.

(٩) في (هـ): استولى.

(١٠) في (ح): بمعنى رفعه.

الفراء^(١)، والقاضي^(٢) عبد الجبار: أي: قصد إليها، فخلقها، كما يُقال: كان فلان مقلداً على فلان، ثم استوى إليّ، وعليّ، يُكلمني. ومرّ فلان مستوياً إلى موضع كذا، ولم يعدل. قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾^(٣).

وقيل: استوى تدبيره، بتقديم القادر عليه.

وقيل: استوى بمعنى: احتوى عليه. يقال: استوى فلان على مال فلان،

وعلى جميع مملكه.

وَقَالَ الصَّادِقُ^(٤) - عليه السلام - : استوى من كل شيء، فليس شيء أقرب

إليه من شيء.

وقيل: أي: لفظه «الرحمن» مكتوب على العرش.

وقيل: استوى عليها بالقهر، وخلقهن سبع سماوات، وكان علوه عليها،

علو ملك، وسلطان، لا علو انتقال، وزوال، كقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ

وَاسْتَوَى﴾^(٥). أي: تمكن من أمره، وقهر هواه بعقله، ثم استوى إلى السماء في

نفوذه^(٦)، وتملكها، ولم يجعلها ملكاً لخلقها.

(١) معاني القرآن: ١: ٦٧.

(٢) منشاه القرآن: ١: ٧٣ - ٧٤.

(٣) فصلت: ١١.

(٤) الكافي: ١: ١٢٧، ١٢٨. معاني الأخبار: ٢٩. الهداية: ٥. التوحيد: ٣١٥.

(٥) القصص: ١٤.

(٦) في (ك): نفوذه. بالقاف المثناة، والدال المهملة.

قَالَ الْبَيْهِيُّ^(١):

ثُمَّ^(٢) إِسْتَوَى بِشَرْ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مَهْرَاقٍ

وقوله: ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾، ولا سماءَ هناك، لأنَّ خَلَقَ الْعَرْشِ، كَانَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، كما يقولُ القائلُ: أَعْمَلُ هَذَا الثَّوْبَ. وَإِنَّمَا مَعَهُ غَزْلٌ.

وَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّهَا سَوَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ دُخَانًا.

وَقَالَ آخَرُونَ: اسْتَوَى بِمَعْنَى: اسْتَوَتْ^(٣) السَّمَاءُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ^(٤):

أَقُولُ لَهَا إِسْتَوَى فِي تَرَاتِهِ^(٥) عَلَى أَيِّ دِينٍ يَقْتُلُ النَّاسَ مَصْعَبُ

وفائدةُ التَّخْصِيصِ لِلْعَرْشِ أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْمَخْلُوقَاتِ، فِإِذَا كَانَ مُسْتَوِيًا

(١) شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ٢٢١ بلا عزو. متشابه القرآن: ١: ٧٣. بلا عزو، وفيه: قد استوى. التبيان في تفسير القرآن: ١: ١٥، ٢: ٣٩٦ بلا عزو. الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ٧٢. بلا عزو. وفيه: قد استوى. مجمع البيان: ١: ٧١ بلا عزو الأسماء والصفات: ٤١٢ وفيه: قد استوى. كذا في الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٥٥ ثم انظر: شعر البيهتي المجاشعي (جمع وتحقيق ناصر حلاوي): ٤٤.

(٢) في (ح): قد استوى.

(٣) في (هـ): استويت.

(٤) جامع البيان: ١: ١٩١ بلا عزو. وفيه: في تراتيه... قبل الرأس. التبيان في تفسير القرآن: ١: ١٢٥

بلا عزو. وفيه: قتل الناس...

(٥) في (ش): تراتيه. بالثاء المثناة بعد الألف.

عليه، كَانَ بِالْإِسْتِيْلَاءِ عَلَى غَيْرِهِ، أُولَى.

قوله - سبحانه - : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾^(١).

الإستواء^(٢)، إِذَا كَانَ بِمَعْنَى الْجُلُوسِ، وَالرُّكُوبِ، لَا يُعَدَّى بِـ «إِلَى». وَإِنَّمَا هُمْ يَزْعُمُونَ: إِنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ.

وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ^(٣): مَنْ يَدَبِّرُ السَّمَاءَ، وَيَفْعَلُ عَجَائِبَهَا. وَلِهَذَا لَا يُطْلَقُ عَلَى الْبَارِي - تَعَالَى - أَنَّهُ فِي مَكَانٍ.

وقوله - سبحانه - : ﴿أَأَمِنتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾^(٤).

معناه: ﴿مَن فِي السَّمَاءِ﴾: عَذَابُهُ، وَمَلَائِكَتُهُ الَّذِينَ بِهِمْ إِنْتِقَامُهُ، لِأَنَّ عَادَتَهُ أَنْ يُنَزِّلَهَا مِنْ هُنَاكَ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَنْ يُخْفِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾^(٥)، فَنَبَأَ - بِهِ - عَلَى ذَلِكَ.

(١) البقرة: ٢٩.

(٢) في (ش): الاستوى.

(٣) (معناه) ساقطة من (هـ).

(٤) الملك: ١٦.

(٥) الملك: ١٦.

قوله - سبحانه - : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾^(١).

صُعودُ الملائكةِ إليه، غيرُ معقولٍ. فمعناه: أجازي^(٢)، وأقبلُ.

﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(٣)، مثلُ قولهم: رَجَعَ إِلَى كَلَامِكَ، وأتاني

كتابك.

قوله - سبحانه - : ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾^(٤)، وقوله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ

مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾^(٥).

يعني: المَلَكُ يَصْعَدُ إلى المكانِ الَّذِي أمرهُ اللهُ - تعالى - أن يعرُجَ إليه.

يقال: فلانٌ يدبِّرُ الأمرَ مِنَ الشَّامِ إلى خراسانَ. أي: ما بينهما.

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾: أي: عاقبةُ ذلك الأمرِ إليه. ورجعَ أمرنا إلى القاضي.

وعرُجُ الأمرِ، ونزولُهُ، لا يَصُحُّ في الحقيقةِ، وإنما جازَ هذا القولُ، لأنه

- تعالى - جعلَ ديوانَ أعمالِ العبادِ في السَّمَاءِ، والحَفَظَةَ مِنَ الملائكةِ فيها، فيكونُ

(١) فاطر: ١٠.

(٢) في (هـ): أجازني. بنون بين الزاي والياء.

(٣) فاطر: ١٠.

(٤) المعارج: ٤.

(٥) السجدة: ٥.

ما رُفِعَ هناك، قد رُفِعَ إليه، لأنه أمرٌ بذلك، كما قال إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾^(١)، أي: إلى الموضع الذي أمرني أن أذهب إليه.

قوله - سبحانه -: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾^(٢).

الرَّفِيعَةُ للدَّرَجَاتِ، وقد جَرَتْ صِفَةُ الله - تعالى - ، لأنَّ القَدِيمَ^(٣) - تعالى - لا يُوصَفُ بأنه رفيعٌ، أو شريفٌ، لأنَّ حَقِيقَتَهَا في إرتفاعِ المكانِ، وإِشْرَافِهِ. أمير المؤمنين^(٤) - عليه السلام -: قُرْبُهُ، قُدْرَةُ، وَبُعْدُهُ، عَظَمَةُ، وَنُزُولُهُ إِلَى الشَّيْءِ، إِقْبَالُهُ عَلَيْهِ، وَإِتْيَانُهُ إِيَّاهُ، إِيْصَالُهُ لِمَا يُرِيدُ إِلَيْهِ. يَنْجَلِي^(٥)، وَلَا يَنْجَلِي، وَيَتَدَانِي، وَلَا يَتَدَانِي، عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ، وَجَمِيؤُهُ مِنْ غَيْرِ تَنْقُلٍ.

قوله - سبحانه -: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٦). إِنَّمَا أَخْبَرَ عَنْ

(١) الصَّافَات: ٩٩.

(٢) غَافِر: ١٥.

(٣) في (هـ): لأنَّ الله تعالى لأنَّ القَدِيمِ.

(٤) بعضه في تحف العقول: ١٧٤ منسوبٌ إلى الإمام الحسين بن علي (ع).

(٥) في (ك) و(هـ) و(أ): ينجلي. بنون موحدة من فوق بين ياء المضارعة والجمع.

(٦) البقرة: ٢٥٥.

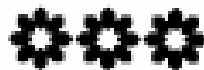
صِفَةُ الكُرْسِيِّ، فقط، ولم يُوجِبْ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِ، كَوْنُهُ عَلَيْهِ. كما لا يُوجِبُ إِضَافَةُ الكَعْبَةِ إِلَيْهِ، كَوْنُهُ فِيهَا.

على أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ: إِنَّهُ عَلَى العَرْشِ، وَالكُرْسِيِّ سِوَاهُ^(١).

وَالوَجْهُ - فِي خَلْقِ الكُرْسِيِّ - إِذَا قُلْنَا: إِنَّهُ جِسْمٌ - هُوَ: أَنَّ اللهَ [- تَعَالَى -] تَعَبَّدَ - بِحَمَلِهِ - الملائكةَ، كما تَعَبَّدَ البَشَرُ، بِزِيَارَةِ البَيْتِ.

الصَّاحِبُ^(٢):

أَنْزَهُ رَبُّ الخَلْقِ عَن حَدِّ^(٣) خَلْقِهِ
فَهَذَا بِقَوْلِ: اللهُ يَنْهَوِي وَيَضَعُدُ
تَبَارَكَ رَبُّ المُرْدِيَةِ الشُّيْبِ إِنَّهُمْ
وَقَدْ زَاغَ رَأْيِي فِي الصُّفَاتِ وَمُسْنِدُ
وَهَذَا لَدَيْهِ، اللهُ مُنْذُ كَانَ أَمْرُ
لَا كُفْرَ مِنْ فِرْعَوْنَ فِيهِ وَأَعْنَدُ



(١) فِي (ش): سِوَاهُ. وَهِيَ سَاقِطَةٌ مِنْ (هـ).

(٢) دِيوَانُ الصَّاحِبِ بَيْنَ عِبَادِ: ٣١ - ٣٢.

(٣) (حَدٌّ) سَاقِطَةٌ مِنْ (أ).

فصل [- ٣٠ -]

[نفى وصف الله بالمكان]

قوله - تعالى - : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾^(١)، وقوله: ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾^(٢).

و«المقام»، إنما هو مصدرٌ، ولو كان موضِعاً لما خُوفَ بمقامِهِ، لأنَّ الخوفَ لا يتعلّقُ المكانَ، حتّى يكونَ ذلكَ مُرَغَّباً في الطَّاعَةِ، صارِفاً عن المعصيةِ.

فإذن، لأبَدَ فيه مِنْ حَذْفِ، فمعناه: إِنَّ مَنْ خَافَ مَقَامَهُ لَدَيْ، ففَعَلَ الطَّاعَةَ، فَلَهُ الثَّوَابُ.

ولفظُ «مَنْ»، تقعُ على الواحدِ، والجمعِ، وجاءَ في آيةٍ واحدةٍ: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾^(٣).

قوله: ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا ﴾، و«المقام»، مُتردّدٌ بين المصدرِ،

(١) الرحمن: ٤٦.

(٢) الإسراء: ٧٩.

(٣) النساء: ١٤، الأحزاب: ٣٦، الجن: ٢٣.

والمَوْضِعِ، فهو كلامٌ مُجْمَلٌ، مُفْتَقِرٌ إلى البيان. وقد روى المفسرون^(١) عن النبي^(٢) - عليه السلام - : إِنَّهُ الشَّفَاعَةُ.

وَقِيلَ - للصادق - عليه السلام - : إِنَّ فُلَانًا يَقُولُ بِالتَّشْبِيهِ. فقال - عليه السلام - : أبرءُ إلى الله منه^(٣).

وقال الرضا^(٤) - عليه السلام - مَنْ شَبَّهَ اللهُ بِخَلْقِهِ فهو مُشْرِكٌ، وَمَنْ وَصَفَهُ بِالْمَكَانِ، فهو كَافِرٌ، وَمَنْ نَسَبَ إِلَيْهِ مَا نَهَى عَنْهُ، فهو كَاذِبٌ، ثُمَّ تَلَا: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٥).

الصَّادِقُ^(٦) - عليه السلام - : مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ مِنْ شَيْءٍ، أَوْ فِي شَيْءٍ، أَوْ عَلَى شَيْءٍ، فقد أَشْرَكَ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ مِنْ شَيْءٍ، فقد جعلهُ مُخَدَّنًا، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فِي شَيْءٍ، فقد زَعَمَ أَنَّهُ مُخْصُورٌ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ، فقد جعلهُ مَحْمُولًا.

(١) تفسير نور الثقلين: ٣: ٢٠٦ - ٢١١. الدر المشور: ٥: ٣٢٦ - ٣٢٨. الجامع لأحكام القرآن:

٣٠٩: ١٠.

(٢) العبارة: «عليه السلام... السلام» ساقطة من (أ). وفي (ح): «صلى الله عليه وآله».

(٣) في الاحتجاج: ٢: ١٥٥ معزواً إلى الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام).

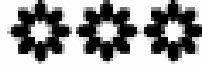
(٤) عيون أخبار الرضا: ١: ١١٤ بزيادة في اللفظ. التوحيد: ٦٩.

(٥) النحل: ١٠٥.

(٦) الكافي: ١: ١٢٨. التوحيد: ١٧٨، ٣١٧ باختلاف في اللفظ يسير. الهداية: ٥.

منصور^(١) الأبي:

مُنَزَّرَةٌ عَنِ شَيْءٍ^(٢) الْمُشَبَّهَةِ مُشْرِكَةٌ^(٣) لَكِنَّهَا مُجْمُوعَةٌ^(٤)



(١) لم نقف على مورد أخذه.

(٢) السطر الأول في (ح): منزّه الشبه والمشبه.

(٣) في (هـ): مشتركة.

(٤) في (هـ): الموه.

فصل [- ٣١ -]

[نفي المكانية عن الله]

قوله - تعالى - : ﴿عِنْدَ مَلِيكَ مُقْتَدِرٍ﴾^(١)، ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ

بَاقٍ﴾^(٢).

«عِنْدَهُ»، على وجوه، فإذن، لا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا بِدَلِيلٍ.

أما قوله: ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾^(٣)، أي: عالمٌ بها.

وقوله: ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا﴾^(٤)، أي: المالكُ له.

وقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾^(٥)، أي: في المنزلة الرُّفِيعَةِ، كما يُقال: فُلَانٌ

عِنْدِي بِمَنْزِلَةٍ. وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا بُعْدُ الْمَشْرِقَيْنِ.

وقوله: ﴿عِنْدَ مَلِيكَ مُقْتَدِرٍ﴾، أي: بحيثُ لَا يَمْلِكُ الْحُكْمَ فِيهِ سِوَاهُ. يَعْنِي

(١) القمر: ٥٥.

(٢) النحل: ٩٦.

(٣) الزخرف: ٨٥.

(٤) النساء: ٣٤.

(٥) الأعراف: ٢٠٦.

السَّاءِ. كَمَا يُقَالُ: عِنْدَ الْمَلِكِ خِضْبٌ، وَأَمْنٌ، أَي: فِي الْمَوَاضِعِ، الَّتِي لَا يَمْلِكُهَا سِوَاهُ. وَقَوْلُهُمْ: عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ كَذَا، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ كَذَا. أَي: فِي مَذْهَبَيْهَا. قَالَ (١):

نَحْنُ بِهَا عِنْدُنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ / ٣٨ راضي، والـرَّايُّ مُخْتَلِفٌ

وقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (٢)، لَوْ حُمِلَ عَلَى الْمَكَانِ، لَوَجِبَ أَنْ يُرِيدَ (٣) أَنْ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، حَاصِلٌ مَعْلُومٌ، أَوْ يُرِيدُ أَنْ جَمِيعَ مَا عِنْدَهُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، بِمِقْدَارٍ.

فمعناه، أَي: حُكْمُهُ، وَعِلْمُهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى﴾ (٤)، وَذَلِكَ الْأَوَّلَى، لِأَنَّهُ أَعَمُّ، يَتَنَاوَلُ الْمَعْدُومَ، وَالْمَوْجُودَ، دُونَ الْمَاضِي، وَالْغَابِرِ.

وَسَأَلَ حَبْرٌ (٥) أَبَا بَكْرٍ عَنِ اللَّهِ - تَعَالَى - فَقَالَ: أَيْنَ هُوَ؟ أَيْ السَّمَاءِ أَمْ فِي

الأرض؟

فقال: في السماء على العرش!!

قال: فأرى الأرض خالية منه، وأراه - على هذا القول - في مكانٍ دون

مكان؟

(١) القائل هو: قيس بن الخطيم. أنظر ديوان قيس بن الخطيم: ٦٣.

(٢) الرعد: ٨.

(٣) في (أ): يزيد. بالزاي المعجمة.

(٤) فاطر: ١١، فصلت: ٤٧.

(٥) التوحيد: ١٨٠ - ١٨١، باختلاف الرواية وفي سياق رواية طويلة. الاحتجاج: ١: ٣١٢ - ٣١٣.

فقال أبو بكر: هذا كلامُ الزنادقة، أُعزِبَ عني، وإلا قتلُكَ. فوَلَّى الحَبْرُ مُسْتَهْزِئاً بالإسلام، فاستقبله عليٌّ - عليه السلام - فقال: قد عرفتُ ما سألتَ عنه، وما أُجِبتَ به! فإنَّا نقولُ: إنَّ اللهَ، أَيْنَ الأَيْنِ، فلا أَيْنَ له، وَجَلَّ أَنْ يَحْوِيَهُ. وهو في كُلِّ مكانٍ، بغيرِ مُمَاسِيَةٍ، ولا مُجَاوِزَةٍ، مُحِيطٌ عَلِمًا بها فيها، ولا يَخْلُو شَيْءٌ مِنْ تَدْبِيرِهِ - تعالى - . ثُمَّ قَالَ: إنَّ مُوسَى، كان - يوماً - جالساً، إذ جاءهُ مَلَكٌ مِنَ المَشْرِقِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وجاءهُ مَلَكٌ مِنَ المَغْرِبِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وجاءهُ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وجاءهُ مَلَكٌ مِنَ الأَرْضِ السُّفْلَى مِنْ عِنْدِ اللهِ. فقال موسى: سُبْحَانَ مَنْ لا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ، ولا يَكُونُ إلى مَكَانٍ، أَقْرَبَ مِنْ مَكَانٍ. فَأَسْلَمَ الحَبْرُ.



قولُهُ - سُبْحَانَهُ - ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾^(١)، وقولُهُ^(٢): ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾^(٣).

يُسْتَعْمَلُ «فَوْقُ»، على سبيل القَهْرِ، والسُّلْطَانِ. يقالُ: يَدُ زَيْدٍ فَوْقَ عَمْرٍو. ويدُ الأميرِ فَوْقَ أَيْدِينَا.

(١) الأنعام ١٨، ٦١.

(٢) (وقوله): ساقطة من (أ).

(٣) الفتح: ١٠.

وَكُلُّ شَيْءٍ قَهَرٌ^(١)، فَهُوَ مُسْتَعْلٍ^(٢) عَلَيْهِ. وَلَمَّا كَانَ الْعِبَادُ تَحْتَ تَسْخِيرِهِ، وَتَذَلُّلِهِ، وَأَمْرِهِ، وَنَهْيِهِ، وَوَصَفَ بِأَنَّهُ فَوْقَهُمْ. وَقَدْ نَبَّهَنَا اللَّهُ عَلَى مَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾.

أي: يخافون عقاب ربهم من فوقهم، لأنه يأتي من فوق.

وقيل: إنه لما وُصِفَ بِأَنَّهُ مُتَعَالٍ^(٣)، بمعنى: قادرٌ، لا قادرٌ أَقْدَرُ مِنْهُ، فَقِيلَ: صِفَتُهُ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ صِفَاتِ الْقَادِرِينَ، حَسُنَ أَنْ يُقَالَ: «مِنْ فَوْقِهِمْ»، لِيَدُلَّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى مِنَ الْاِقْتِدَارِ الَّذِي لَا يُسَاوِيهِ قَادِرٌ. وَلَوْ كَانَ صِفَةً اللَّهِ - تَعَالَى - لَمْ يَحْصُلْ بِهِ التَّخْوِيفُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾^(٤).

المراد - بذلك - وَقُوفُهُمْ عَلَى عَذَابِ رَبِّهِمْ، وَثَوَابِهِ، وَعِلْمُهُمْ بِصِدْقِ مَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ فِي دَارِ التَّكْلِيفِ.

وَالْوُقُوفُ عَلَيْهِ، يُسَمَّى عِلْمًا. يُقَالُ: وَقَفْتُ عَلَى مَعْنَى كَلَامِكَ. وَإِذَا كَانَ

(١) (قَهَرَ) ساقطة من (هـ).

(٢) في النسخ جميعها: مستعمل، بميم بين العين واللام. وما أثبتناه من (ط).

(٣) في (ش): متعالي. بالياء.

(٤) الأنعام: ٣٠.

الكفار، لا يعرفون في الدنيا استدلالاً، عَرَفَهُمُ اللهُ - في الآخرة - صَرُورَةً. فذلك يكونُ وَقُوفُهُمْ عَلَيْهِ. وَقَالَ هُمْ رَبِّهِمْ ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبُّنَا﴾^(١)، مُقَرَّرِينَ بِذَلِكَ، مُذْعِنِينَ لَهُ. قَالَ لَهُمْ - حَيْثُ - فَذُوقُوا [الْعَذَابَ] ^(٢) بِهَا ^(٣) كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا.

وَقِيلَ: إِذَا وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ، حُجِسُوا، يُنْتَظَرُ بِهِمْ مَا يَأْمُرُ بِهِ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ:
أَحِبُّهُ عَلَيَّ.

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِهِ، الرَّؤْيَى، لِأَنَّ الْآيَةَ، مُخْتَصَّةٌ بِالْكَفَّارِ، وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ الْكَفَّارَ، لَا يَرَوْنَهُ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾^(٤). حَقِيقَةُ الْعَرَضِ لَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ - تَعَالَى - لِأَنَّ الْعَرَضَ فِي الشَّاهِدِ، إِنَّمَا يَصُحُّ عَلَى مَنْ لَمْ يَكُنْ مُشَاهِدًا لِلشَّيْءِ، عَالِمًا بِهِ. وَلَا تَخْفَى^(٥) عَلَى اللَّهِ خَافِيَةٌ.

(١) الأنعام: ٣٠.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة من (ها).

(٣) في (ش) و(ك) و(أ): نأ، من دون حرف الجر (الباء).

(٤) هود: ١٨.

(٥) في (ك) و(أ): يخفى. بياء المضارعة المثناة من تحت.

والمراد - بذلك - أنهم يُعَرِّضُونَ للمحاسبة، بحيثُ أُعِدَّ ذلك العَرَضُ، في ذلك المَوْضِعِ، عَرَضاً عَلَيْهِ، كقولهِ^(١): ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾^(٢). أي: حيثُ أَمَرَنِي رَبِّي.

قوله - سُبْحَانَهُ - ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٣).

معنى «مِنْ دُونِ اللَّهِ»: مِنْ مَنزَلَةٍ أَدْنَى مِنْ مَنزَلَةِ عِبَادِ اللَّهِ، لِأَنَّهُ^(٤) مِنْ «الْأَدْوَانِ»، وهو الأقربُ إلى الجهةِ السُّفلى.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿قُلْ أَمْحَاجُونَ فِي اللَّهِ﴾^(٥).

أي: في دينِهِ، لِأَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾^(٦)، وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى^(٧)، ﴿كُتُبُوا هُوداً أَوْ

(١) في (أ): كقولك، وهو تحريف.

(٢) الصافات: ٩٩.

(٣) هود: ١٠١.

(٤) في (ش): راته، وهو تحريف.

(٥) البقرة: ١٣٩.

(٦) المائدة: ١٨.

(٧) البقرة: ١١١.

نَصَارَى تَهْتَدُوا^(١).

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢)، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(٣).

أي: معهم بالمعونة، والنصرة، كما نقول^(٤): إذا كان السلطان معك، فلا تُبالِ مَنْ لَقِيتَ.

وحقيقة «مَعَ» أن يكون^(٥) للمصاحبة في الجهة، وذلك لا يجوزُ على الله - تعالى -.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾^(٦).
أي: قبل أن يَخْلُقَنَا.

« وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ » ما هُمْ فِيهِ / ٣٩ / مِنَ الْحَيَاةِ.

(١) البقرة: ١٣٥.

(٢) البقرة: ١٥٣.

(٣) الحديد: ٤.

(٤) في (هـ): يقول. بياء المضارعة المثناة من تحت. وفي (ح): تقول. بقاء المضارعة المثناة من فوق.

(٥) في (ح): تكون. بقاء المضارعة المثناة من فوق.

(٦) مريم: ٦٤.

وقال ابن عباس^(١)، والرَّبِيعُ^(٢)، وَقْتَادَةُ^(٣)، وَالضَّحَّاكُ^(٤)، وأبو العالية^(٥): ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: الدنيا، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: الآخرة، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾: [بَيْنَ]^(٦) النَّفْخَتَيْنِ.

قوله - سُبحَانَهُ -: ﴿وَأَنْتُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٧)، وقوله: ﴿وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ﴾^(٨).

ظاهر الرجوع، يُوجبُ الإخْبَارَ عَنِ الْعُودِ إِلَى حَيْثُ خَرَجَ مِنْهُ. وَلَا خِلَافَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا عِنْدَهُ. وَالآيَةُ تَقْتَضِي رُجُوعَ الْجَمِيعِ إِلَيْهِ.

(١) جامع البيان: ١٦ : ١٠٤ . أيضاً: مجمع البيان: ٣ : ٥٢١ . الدر المنثور: ٥ : ٥٣٠ . الجامع لأحكام القرآن: ١١ : ١٢٩ .

(٢) جامع البيان: ١٦ : ١٠٤ . أيضاً: مجمع البيان: ٣ : ٥٢١ .

(٣) جامع البيان: ١٦ : ١٠٥ . أيضاً: مجمع البيان: ٣ : ٥٢١ . الدر المنثور: ٥ : ٥٣١ . الجامع لأحكام القرآن: ١١ : ١٢٩ .

(٤) جامع البيان: ١٦ : ١٠٥ . أيضاً: مجمع البيان: ٣ : ٥٢١ .

(٥) جامع البيان: ١٦ : ١٠٤ . الدر المنثور: ٥ : ٥٣١ .

(٦) ما بين المعرفتين ساقطة من (ش).

(٧) البقرة: ٤٦ .

(٨) هود: ١٢٣ .

قوله: ﴿وَكُنتُمْ أَتْمُونًا فَأَخِيَاكُمْ﴾^(١)، والكُلُّ داخِلٌ في هذا الحُكْمِ، ولا يقول الحُضْمُ بِهِ.

وقال - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٢)، يَعْنِي: الْمَدِينَةَ.

وقال إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾^(٣)، أي: أرض الشام.

وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾^(٤)، يعني: السماوات عند الحَفَظَةِ.

وبعد: فإنه تهديدٌ في سائر الآيات الواردة في الباب، نحو: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى

عَالِمِ الْغَيْبِ﴾^(٥)، أو في باب المصيبة، نحو: ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٦).

ولو كان المرادُ به المكان، لم يكن ذلك تسليةً لمن نزلت به المصيبة.

وقال أبو العالية^(٧): رَاجِعُونَ^(٨)، بالإعادة في الآخرة.

وقيل: رَاجِعُونَ إلى أن لا يملككم همُ ضراً، ولا نفعاً غيرُهُ - تعالى - كما

(١) البقرة: ٢٨.

(٢) النساء: ١٠٠.

(٣) الصافات: ٩٩.

(٤) فاطر: ١٠.

(٥) التوبة: ٩٤.

(٦) البقرة: ١٥٦.

(٧) جامع البيان: ١: ٢٦٤. أيضاً: مجمع البيان: ١: ١٠٢. الدر المنثور: ١: ١٦٥.

(٨) العبارة: «راجعون... يملك» ساقطة من (أ).

كانوا في بدء الخلق، لأنهم في أيام حياتهم، قد ملك غيرهم الحكم عليهم، قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(١).

قوله - سُبحَانَهُ -: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً﴾^(٢). وقوله: ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً﴾^(٣).

أي^(٤): إنكم ترجعون إليه أحياء، بعد الموت. أي: إلى موضع جزائه جميعاً. وقيل: معناه: أن يعود الأمر إلى ألا يملك أحد التصرف في ذلك الوقت غيره - تعالى - بخلاف الدنيا.

ولفظ «المَرْجِعُ»، يكون بمعنى: الرجوع. فيكون مصدراً. وبمعنى: موضع الرجوع، كأنه قال: إليه موضع رجوعكم.

قوله - سُبحَانَهُ -: ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(٥).

(١) الفاتحة: ٤.

(٢) المائدة: ٤٨، ١٠٥.

(٣) النساء: ١٧٢.

(٤) العبارة: «أي إنكم... جميعاً» ساقطة من (أ).

(٥) المائدة: ١٨.

معناه: إِنَّهُ يُؤْوِلُ إِلَيْهِ أَمْرَ الْعِبَادِ، فِي أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ ضَرَرَهُمْ، وَلَا نَفْعَهُمْ،
غَيْرُهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لِأَنَّهُ تَبْطُلُ مَمْلَكَةُ غَيْرِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَالْأَمْرُ لَنَا دُونَ^(١) غَيْرِنَا،
كَمَا يُقَالُ: صَارَ أَمْرُنَا إِلَى الْقَاضِي. [لَا]^(٢) عَلَى مَعْنَى قَرَبِ الْمَكَانِ، وَإِنَّمَا يُرَادُ -
بِذَلِكَ - أَنَّهُ الْمُتَصَرِّفُ فِينَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - ﴿وَالِإِلَهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ﴾^(٣).

النَّاسُ فِي دَارِ التَّكْلِيفِ، قَدْ يَغْتَرُّ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَيَعْتَقِدُونَ^(٤) فِيهِمْ، أَنَّهُمْ
يَمْلِكُونَ جَرَّ الْمَنَافِعِ إِلَيْهِمْ، وَصَرَفَ الْمَضَارَّ عَنْهُمْ. وَقَدْ تَدَخَّلَ عَلَيْهِمُ الشُّبُهَةُ،
لِتَقْصِيرِهِمْ فِي النَّظَرِ فِي وَجْهِهِ، فَيَعْبُدُونَ الْجَامِدَةَ، وَالْهَامِدَةَ.

وَيُضَيِّفُ كُلُّ هَؤُلَاءِ أفعالَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِيهِمْ، إِلَى غَيْرِهِ. فإِذَا جَاءَتِ
الْآخِرَةُ، وَاضْطُرُّوا إِلَى الْمَعَارِفِ، عَرَفُوا أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ سِوَى اللَّهِ [- تَعَالَى -] ^(٥) فَرَدُّوا
إِلَيْهِ أَمْرَهُمْ، وَانْقَطَعَتْ آمَانُهُمْ مِنْ غَيْرِهِ.

﴿وَالِإِلَهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ﴾: وَالْأُمُورُ كُلُّهَا لِلَّهِ، وَفِي يَدِهِ، مِنْ غَيْرِ خُرُوجِ،

(١) فِي (ك): دَنْ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٢) مَا بَيْنَ الْمَعْرُوفَتَيْنِ زِيَادَةٌ يَقْتَضِيهَا السِّيَاقُ.

(٣) الْبَقَرَةُ: ٢١٠، آلِ عِمْرَانَ: ١٠٩، الْأَنْعَالَ: ٤٤، الْحَجَّ: ٧٦، فَاطِرًا: ٤، الْحَدِيدِ: ٥.

(٤) (فَيَعْتَقِدُونَ) مَكْرَرَةٌ فِي (أ).

(٥) مَا بَيْنَ الْمَعْرُوفَتَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ (ح).

ورجوع حقيقي.

وقد تقول العرب: قد رجع عليّ من فلانٍ مكروءاً، بمعنى: صار منه، ولم يكن سبق إليّ قبل هذا الوقت. وقد عاد إليّ من زيدٍ كذا، وكذا. وإن وقع منه ابتداءً. [قال] (١) الشاعر (٢):

فإن تكن الأيأم أحسنّ مرّةً إليّ فقد عادتْ لهنّ ذنوبٌ
أي: صارت لها ذنوبٌ لم تكن من قبل، بل كان - قبلها - إحسانٌ.

وقد ملّك الله العبادَ في دارِ التكليفِ أموراً، تنقطعُ بانقطاعِ التكليفِ، وإفضاء (٣) الأمرِ إلى دارِ الآخرة، مثل - ما ملّكهُ الموالِي من العبيدِ، وما ملّكهُ الحكام من الحكم. فيجوزُ أن يُريدَ اللهُ بـرجوعِ الأمرِ إليه، انتهاءَ ما ذكّرناهُ من الأمور - التي يملكها غيرهُ بتمليكِهِ - إلى أن يكونَ - وحدهُ - مالِكها.

وقال المرتضى (٤): الأمرُ يَنْتَهِي إلى ألا يكونَ موجوداً، قادراً غيرهُ. وتقتضي الأمورُ في الانتهاءِ إلى ما كانت عليه في الابتداء، لأنَّ - قبل إنشاءِ الخلقِ - هكذا

(١) ما بين المعرفتين زيادة من (هـ).

(٢) الأصمعيّات: ٩٩ منسوبةً إلى عُريقَةَ بنِ مُسَافِعِ العبسيّ. جمهرة أشعار العرب: ٢: ٧١٠. معزّواً

إلى محمد بن كعب الغنويّ. أمالي المرتضى: ١: ٣٧٥ بلا عزو. التبيان في تفسير القرآن: ٢: ٣١٥

معزّواً إلى الغنويّ: ٤: ٤٦٦ بلا عزو.

(٣) في (ك): أفضى.

(٤) أمالي المرتضى: ١: ٣٧٦.

كانتِ الصَّوْرَةُ، وبعْدَ إِفْنَائِهِمْ هَكَذَا تَصِيرُ^(١). وهو رجوعٌ حَقِيقِيٌّ، لِأَنَّهُ عَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مُتَقَدِّمًا.

وقال الطُّوسِيُّ^(٢) يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، أَي: يَذْهَبُ حَيْثُ ابْتَدَأَ مِنْهُ. فَرَجُوعُ الْأَمْرِ إِلَى اللَّهِ بِالْإِعَادَةِ بَعْدَ^(٣) النِّشْأَةِ الْأُولَى.

وقال الجَبَّائِي^(٤): تَرْجِعُ الْأُمُورُ إِلَى مَنْ لَا يَمْلِكُهَا سِوَاهُ.

وَمُحْتَمَلٌ^(٥) - أَيْضًا - أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ - بِذَلِكَ - أَنْ تَعُودَ الْمَقْدُورَاتُ الْبَاقِيَةُ إِلَى

مَا أَفْنَاهُ مِنْ مَقْدُورَاتِهِ، كَالْجَوَاهِرِ، وَالْأَعْرَاضِ، تَرْجِعُ فِي مَقْدُورَاتِ الْبَشَرِ / ٤٠ /
وَأِنْ كَانَتْ^(٦) بَاقِيَةً، لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيلُ مِنْ اخْتِصَاصِ مَقْدُورَاتِ الْقَدْرِ، بِاسْتِحَالَةِ الْعَوْدِ إِلَيْهَا مِنْ حَيْثُ لَمْ يَجْزُ لَهُ فِيهَا التَّقْدِيمُ، وَالتَّأْخِيرُ^(٧)، وَهُوَ حُكْمٌ، هُوَ - تَعَالَى - الْمُتَّفَرِّدُ بِهِ.



(١) في (أ): بصير. بياض المضارعة المثناة من تحت.

(٢) البيان في تفسير القرآن: ٢: ٥٥٥. ٥: ١٣١. ٧: ٣٤٣. ٩: ٥٢٠.

(٣) في (ك) و(أ): بعده. مع الضمير (هاء).

(٤) في مجمع البيان: ١: ٣٠٤ بلفظه ومن دون عزو إلى أحد.

(٥) في (هـ): يَحْتَمَلُ. بياض المضارعة المثناة من تحت.

(٦) في (ش) و(هـ) و(أ): كان.

(٧) في (أ): التَّأْخِرُ.

فصل [- ٣٢ -]

[نفيُ المكانية عن الله]

قوله - تعالى - : ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾^(١).

قال السُّدِّيُّ^(٢)، وابنُ جُرَيْجٍ^(٣): أي: مَنْ أعوانٍ على هؤلاء الكفارِ إلى معونةِ الله؟ وذلك مثل قولهم: الذَّوْدُ إلى الذَّوْدِ إِبِلٌ^(٤). وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾^(٥).

وقال الحسنُ^(٦): مَنْ أنصاري في السَّبِيلِ إلى الله؟ لآته دعاهم إلى سبيل الله.

(١) آل عمران: ٥٢. الصف: ١٤.

(٢) جامع البيان: ٣: ٢٨٤ باختلاف اللفظ. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٤٧ بلفظه. الدر المشور: ٢: ٢٢٣.

(٣) جامع البيان: ٣: ٢٨٤ باختلاف اللفظ. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٤٧ بلفظه. الدر المشور: ٢: ٢٢٢.

(٤) مجمع الأمثال: ١: ٢٧٧. الذَّوْد: اسم مؤنث يقع على قليل الإبل، ولا يقع على الكثير وهو ما بين الثلاث إلى العشر إلى العشرين إلى الثلاثين، ولا يجاوز ذلك.

(٥) النساء: ٢.

(٦) جامع البيان: ٣: ٢٨٦ باختلاف اللفظ. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٤٧ بلفظه. التفسير الكبير: ٨: ٦٢. الجامع لأحكام القرآن: ٤: ٩٧ بلفظه.

وقال الجُبَّائِيّ^(١): مَنْ أَنْصَارِي اللَّهِ؟ كَمَا قَالَ: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾^(٢).

ووجه ذلك: أَنَّ الغرض^(٣) يَصْلُحُ فِيهِ «اللام» على طريقِ العِلَّةِ، و«إلى» على طريقِ النُّهْيَةِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾^(٤).

معناه: إِنَّهُ رَفَعَهُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَخْتَصُّ اللَّهُ - تَعَالَى - بِالْمَلَكِ، وَلَمْ يَمَلِكْ فِيهِ أَحَدٌ شَيْئاً^(٥)، وَهُوَ السَّمَاءُ، لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِهِ: أَنَّهُ رَفَعَهُ إِلَى مَكَانٍ، هُوَ - تَعَالَى - فِيهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾^(٦).

(١) مجمع البيان: ١: ٤٤٧. من دون عزو إليه، وكذا في التفسير الكبير: ٨: ٦٢.

(٢) يونس: ٣٥.

(٣) في (أ): العوض، بالعين المهملة بعدها واو.

(٤) النساء: ١٥٨.

(٥) في (هـ): شيء.

(٦) المطففين: ١٥.

الْحَجَبُ: هو المَنْعُ، والحاجِبُ: هو^(١) المانعُ. ولا يصحُّ القولُ: بأنَّهم معجُوبون^(٢) عن ذاتِ الله - تعالى - .

وإذا كانَ الممنوعُ منه محذوفاً، فليستِ الرُّؤيةُ، بأولى من الرُّحمةِ. وهذا - كما يقولُ عندَ سُؤالِ الغيرِ - غَضِبَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ، وَبَعَدَهُ مِنْ عِنْدِهِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَلَا يُكَلِّمُهُ، وَحَجَبَهُ^(٣) عَنْهُ، وليس يَأْذَنُ لَهُ بالدُّخُولِ عَلَيْهِ. كقولهِ: ﴿فَعَلَيْنِهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ﴾^(٤)، ﴿غَيْرِ الْمَنْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾^(٥)، ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾^(٦)، ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(٧).

فمعنى قولِهِ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾، عن^(٨) رَبِّهِمْ^(٩) بسوءِ حالِهِمْ، مُبْعَدُونَ عَنْ رَحْمَتِهِ.

(١) (هو) سقطت من (ح).

(٢) في (ك): لمحجون. وهو تحريف.

(٣) في (ك): وحجبه. وهو تحريف.

(٤) النحل: ١٠٦.

(٥) الفاتحة: ٧.

(٦) المائدة: ٦٠.

(٧) البقرة: ٧٤.

(٨) في (ش): عني.

(٩) في (ش): بهم. وفي (ح): إنهم.

قوله - سُبْحَانَهُ - ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَخِيَاءً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾^(١).

ليس في الآية أكثر من ذِكْرِ الحِجَابِ، وليس فيها أَنَّهُ حِجَابٌ لَهُ - تعالى -
أو^(٢) أَنَّهُ مَحَلُّ كَلَامِهِ، أو كَلِمَهُ، أو لم يُكَلِّمَهُ. وإذا لم يَكُنْ في الظاهر شيءٌ من ذلك
صُرِفَ إلى غيره - عَزَّ وَجَلَّ - .

ويجوزُ أن يفعل كلاماً في جسمٍ، محتجبٍ عن المُكَلِّمِ، غير معلومٍ له على
سبيل التفضيل^(٣)، فيسمعُ المخاطبُ^(٤) الكلامَ، ولا يَعْرِفُ مَحَلَّهُ، على سبيل
التفضيل^(٥)، فيقالُ - على هذا - : هو مُكَلِّمٌ من وراء حِجَابٍ.

وقال الجبائي^(٦): ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَخِيَاءً﴾، بمثل ما يُكَلِّمُ
به عبادهُ من الأمر بطاعته، والنهي لهم عن معاصيه، وتنبههِ إِيَّاهُمْ على ذلك من
جهة الخاطرِ، أو المنامِ، وما أشبهها.

وَعَنَى بقوله: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، أن يَحِجِبَ ذلك عن جميع خلقه،

(١) الشورى: ٥١.

(٢) في (هـ): وَأَنَّهُ. مع الواو.

(٣) في (هـ): التفضيل. بالصاد المهملة.

(٤) في (أ): المخالب.

(٥) في (هـ): التفضيل. بالصاد المهملة.

(٦) في (هـ): الحياتي. بخاء مهملة من فوق، بعدها ياء مثناة من تحت.

إلا من يُريدُ أن يُكلِّمَهُ به، نحو كلامِهِ - تعالى - لموسى، لأنَّهُ حجب ذلك عن جميع الخلق، أولاً. وأما كلامُهُ - في المرَّة الثانية - فإنه إنما أسمع ذلك موسى والسبعين الذين كانوا معه، وحجَّبَ عَمَّن سواهم^(١).

وقال المرتضى^(٢): المراد بالحجاب: البُعدُ، والحقاء^(٣). يقال: بيني وبينك حجابٌ، أي: استبعدُ فهمك. ويقال: بيني وبين هذا الأمرِ حُجُبٌ، وموانعٌ، وسوايرٌ، أي: طريقٌ مُستبعدٌ^(٤). فيكون معنى الآية: إنَّهُ لا يُكلِّمُ البشرَ إلا وحيًا، بأن يُخَطِّرَ في قلوبِهِم، أو بأن يُنصبَ لهم أدلَّةً، تُدْهِمُ على ما يُريدُهُ، أو يكرهُهُ مِنْهُم. فيكون - بذلك - مخاطبًا.

وجعلَ هذا الخطابَ ﴿ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ من حيثُ لم يكنُ مسموعًا، كما يُسمعُ الخاطرُ، وقولُ الرسولِ. فصار الحجابُ - ههنا - كنايةً عن الحقاء، وعبارةً عما تُدُلُّ عليه الدلالةُ.

وقال مجاهد^(٥): ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾: هو داودُ، أو حى في صدرِهِ، فزبر الزبور. ﴿ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾: وهو موسى. ﴿ أَوْ يُرْسِلَ

(١) قول الجبائي هذا في مجمع البيان: ٥: ٣٧. بلا عزو إلى أحد.

(٢) أمالي المرتضى: ٢: ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٣) في (أ): الحقائق.

(٤) في (أ): مستبعد. بالعين المهملة ثم الباء الموحدة من تحت.

(٥) في جامع البيان: ٢٥: ٤٥ هذا القول منسوبٌ إلى الشَّدي، ولكنه في مجمع البيان: ١: ٣٧ معزوٌّ

- بلفظه - إلى مجاهد، وكذا في التفسير الكبير: ٢٧: ١٨٦. والجامع لأحكام القرآن: ١٦: ٥٣.

رَسُولًا^(١): وهو جِزْرِيلُ، أُرْسِلَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ^(٢) [وعليهم أجمعين]^(٣).

وقال أمير المؤمنين - عليه السلام - : اِخْتَجَبَ عَنِ الْعُقُولِ، كَمَا اِخْتَجَبَ عَنِ الْأَبْصَارِ. وَعَمَّنْ فِي السَّمَاءِ اِخْتِجَابُهُ كَمَا عَمَّنْ فِي الْأَرْضِ غِيَابُهُ.

وزعم الشعبي^(٤) أَنَّهُ سَمِعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - رَجُلًا يَقُولُ: وَالَّذِي اِخْتَجَبَ بِسَبْعِ طَبَاقًا! فَعَلَاهُ بِالذَّرَّةِ^(٥). ثُمَّ قَالَ لَهُ: وَتِلْكَ! إِنَّ اللَّهَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يَخْتَجِبَ عَنْهُ شَيْءٌ، سُبْحَانَ مَنْ لَا يَجُودِيهِ مَكَانٌ، وَلَا / ٤١ / يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ.

فقال الرَّجُلُ: أَفَأَكْفَرُ عَنْ يَمِينِي؟

قال: لا، لَمْ تَحْلِفْ بِاللَّهِ، فَيَلْزَمُكَ كُفْرًا، وَإِنَّمَا حَلَفْتَ بِغَيْرِهِ^(٦).



(١) الشورى: ٥١.

(٢) في (ك) و(هـ): صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة في (ح).

(٤) الاحتجاج: ١: ٣١٣. الإرشاد: ١٣٢.

(٥) الذرّة: السوّط (المعجم الوسيط - دزر).

(٦) في (ك): بغير. من دون الضمير (الهاء).

فصل [- ٣٣ -]

[نفي التجسيم عن الله]

قوله - تعالى - : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾^(١).

النَّفْسُ: الدَّمُ. ومنه: نَفَسَتِ المِراءَةُ، فهي نَفَسَاءٌ. وكلُّ ما ليس له نَفْسٌ سائِلَةٌ. والرُّوحُ: ﴿ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾^(٢). والآنْفَةُ. يقالُ: لفلانٍ نَفْسٌ. والإرادةُ: نَفْسُهُ في كذا. قال المُمَزَّقُ^(٣):

فَبَاتَتْ لَهُ نَفْسَانِ^(٤) شَتَى هُمُومِهَا فَنَفْسٌ يُعَزِّبُهَا، وَنَفْسٌ يَلُومُهَا
والعينُ الَّذِي يُصِيبُ^(٥) الإنسانَ. يقالُ: أَصَابَتْ^(٦) فلاناً^(٧) نَفْسٌ. ومقدارُ

(١) آل عمران: ٢٨، ٣٠.

(٢) الأنعام: ٩٣.

(٣) المؤلف والمختلف: ١٨٥. أمالي المرتضى: ١: ٣٢٥ منسوبة إلى الممزَّق العبيدي وقال: وتروى لمعقرب بن حمار البارقني.

(٤) في (ك): نفساً. بإسقاط تون التثنية.

(٥) في (ك) و(هـ) و(ح): تصيب. بناء المضارعة المثناة من فوق. وفي (ا): يصب. والمقصود بالعين - هنا - الحسد، لذا ذكر الاسم الموصول والفعل الذي بعده تبعاً له.

(٦) في (ا): أصامت.

(٧) في (هـ): فلان. من دون تنوين النصب.

الدَّبْنَةُ. يقال: أعطني نَفْسًا^(١) أو نَفْسِينَ من الدَّبَاعِ. وَقَالَ^(٢) فِيهِ الحَيَاةُ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٣).

قال الخليل^(٤) في كتابه: نَفْسٌ كُلُّ شَيْءٍ، عَيْنُهُ، وَذَاتُهُ.

وَالغَيْبُ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ نَفْسَ فُلَانٍ. وَالعُقُوبَةُ. أَحذِرْكَ نَفْسِي. أي:

عُقُوبَتِي.

الْفَرَاءُ^(٥): ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾^(٦). ﴿فَاقتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٧)، ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾^(٨): إِنَّمَا هُوَ ذِكْرٌ عَائِدٌ إِلَيْهِمْ، وَأَرَادُوا أَنَّ الإِخْبَارَ عَنِ الفَاعِلِ، وَالمَفْعُولِ بِهِ، شَيْءٌ وَاحِدٌ. وَهَذَا مُعْتَرَضٌ.

وَمَعْنَى الآيَةِ، لَا يَخْلُو^(٩) إِمَّا أَنْ يَكُونَ، كَمَا فَسَّرَهُ المَفْسِّرُونَ، أَوْ يَكُونَ جَسَدًا. ثُمَّ الجَسَدُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَعْلُومًا، أَوْ غَيْرَ مَعْلُومٍ. فَغَيْرُ المَعْلُومِ يُؤدِّي إِلَى

(١) في (هـ): نفس. من دون تنوين التَّصْبِيبِ.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): قالت. ببناء الميسوطة.

(٣) آل عمران: ١٨٥.

(٤) العين: ٧: ٢٧٠ مادة (نفس).

(٥) لم أقف عليه في معاني القرآن.

(٦) البقرة: ٩.

(٧) البقرة: ٥٤.

(٨) هود: ١٠١.

(٩) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): تَخْلُو. ببناء المضارعة المثناة من فوق.

الجهالات، والمعلوم تشبيه. وكَرَمَهُمْ أَنْ^(١) يقولوا: بَأَنَّهُ^(٢) ذُو أَوْصَالٍ، وأعضاء، ولأَدَى إلى حُدُوثِهِ، أو قِدَمِ الأجسامِ، وأنَّ يكونَ ذا أجزاء كثيرة من تركيبِ صُورَةٍ^(٣)، وهَيَاةٍ، مُتَنَاهِيًا، مُمَاسًّا^(٤) لغيرِهِ^(٥).

ولا جِسْمَ إِلَّا ولهُ شَيْءٌ محسوسٌ، أو موهومٌ.

ثمَّ إنَّ التَّحذِيرَ بالجسَدِ، لا^(٦) يَصُحُّ، وإنَّما يَقَعُ بفعلٍ يَفْعَلُهُ به، كقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾^(٧).

وإذا بطل أن يكون المراد به، فلا خلاف في غيره، لأنه لا^(٨) يليقُ بالآية، فلم يبقَ إلا أقوالُ المفسرينَ.

قال ابن^(٩) عباسٍ ﴿وَيَحذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ عُقُوبَتَهُ.

(١) في (ك): بِأَنَّ. مع حرف الجر (الباء).

(٢) في (ح): إِنَّهُ. بسقوط حرف الجر (الباء).

(٣) في (ش) و(ك) و(أ) و(ح): وصورة. مع واو العطف.

(٤) في (أ): مَمَاشًا. بالشين المعجمة.

(٥) في (أ): العبرة. بعين مهملة بعدها باء موحدة من تحت وآخرها ناء منقوطة.

(٦) في (أ): وَلَا. مع الواو.

(٧) البقرة: ٤٨، ١٢٣، ٢٨١.

(٨) في (أ): وَلَا، مع الواو.

(٩) في جامع البيان: ٣: ٢٣٠. هذا القول بلا نسبة إلى أحد. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٣٠. وكذا في

الجامع لأحكام القرآن: ٤: ٥٨.

وقال قَطْرُبٌ^(١): أي: ومُحَذَّرُكُمْ اللهُ إِيَّاهُ، كَقَوْلِكَ: في نفسِ الجَبَلِ، وبِنَفْسِ البَصْرَةِ.

قال الرُّضَا^(٢) - عليه السلام -: عَلِيٌّ ما خَوَّفَهُمُ اللهُ بِهِ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿ تَعَلَّمْ ما فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ ما فِي نَفْسِكَ ﴾^(٣).
لو أرادَ الجَسَدَ، لَوَجِبَ أَلَّا يَتَعَلَّمَ عَيْسَى ما فِي جَسَدِ اللهِ - جَلَّ وَعَلَا - من الآلاتِ، والضَّاهِرِ، وغيرِ ذلك.

قال الحسنُ^(٤): تَعَلَّمْ ما فِي نَفْسِي. أي: في عَيْبِي^(٥)، وَلَا أَعْلَمْ ما فِي عَيْبِكَ.
وقال ابنُ عَبَّاسٍ^(٦): تَعَلَّمْ سِرِّي، وَلَا أَعْلَمْ سِرِّكَ. يُقَالُ: أَخْفَاهُ في نَفْسِهِ، وهو يُضْمِرُ في نَفْسِهِ شَيْئاً.

(١) وهذا القول منسوب في الجامع لأحكام القرآن: ٤: ٥٨ إلى الزجاج.

(٢) في (ح): هو - عليها السلام - عليّ...

(٣) المائدة: ١١٦.

(٤) في جامع البيان: ٧: ١٣٨. وفي التفسير الكبير: ١٢: ١٣٥. بلفظه من دون عزو إلى أحد. وكذا

في الجامع لأحكام القرآن: ٦: ٣٧٦.

(٥) في (أ): عيبي.

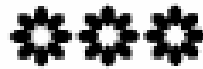
(٦) في جامع البيان: ٧: ١٣٨ بلا عزو إلى أحد. أيضاً: مجمع البيان: ٢: ٢٦٩ معزواً إلى ابن عباس.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾^(١).

لا يخلو من أن يكون الكاتب هو المكتوب عليه. أو يكون الكاتب هو الرب، والمكتوب عليه - الرحمة^(٢) - غيره، فيكونان اثنين.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿ وَاضْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾^(٣).

فذكرهم عائد إلى الرب من الإخبار. والفاعل والمفعول فيه واحد.



(١) الأنعام: ٥٤.

(٢) في (ك) و(أ): للرحمة.

(٣) طه: ٤١.

فصل [- ٣٤ -]

[نفي التجسيم عن الله]

قوله - تعالى - : ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾^(١).

الظاهر يقتضي أن يكون صُنِعَ الْمُخَاطَبِ - وهو موسى - عليه السلام - على

عَيْنِهِ.

وقوله : ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾^(٢) ، يُوجِبُ أن يكون النبي - عليه السلام^(٣) -

بِأَعْيُنِهِ ، فيكون «أَعْيُنُهُ» مكاناً له . وكذلك قوله^(٤) : ﴿وَاضَعَ أَلْفُكَّ

بِأَعْيُنِنَا﴾^(٥).

ويقتضي أن يكون له أكثر من عَيْنَيْنِ . والجمع لا نهاية له ، ويجب أن يكون

ذا جَارِحَتَيْنِ ، وذلك يُؤدِّي على تناقض القرآن ، والخروج عن الإجماع .

(١) طه : ٣٩ .

(٢) الطور : ٤٨ .

(٣) في (أ) : صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

(٤) (قوله) ساقطة من (هـ) .

(٥) المؤمنون : ٢٧ .

و«العَيْنُ»^(١) لفظٌ مشتركٌ بين الباصِرةِ، والدِّينارِ، والجاسوسِ، والرئيسِ،
والنَّقْدِ، ومهَبِّ الجُنُوبِ، ومَطَرٍ لا يُقْلَعُ، وما يُصِيبُ من الفسادِ، وَعَيْنِ الشَّمْسِ،
والماءِ، والمِيزانِ، والرُّكْبَةِ، وغيرِ ذلكَ. وبمعنى العِنايةِ للشَّيءِ. قال ابنُ جِلزَةَ^(٢):

وَبِعَيْنِكَ أَوْقَدْتَ هُنْدُ النَّارِ عِشَاءً تَلْوِي بِهَا الْعَلْبَاءُ

وَبُوضَعُ^(٣) فِي مَكَانِ الدَّاتِ، فَيَكُونُ تَأْكِيدًا، وَتَخْصِيصًا، فَمَعْنَى قَوْلِهِ:

﴿وَلَتُنْصَعَ عَلَيَّ عَيْنِي﴾، أَي: بِحِفْظِي، وَمُرَاعَاةِي لَكَ، يُقَالُ: سِرَّ فِي عَيْنِ اللَّهِ،

وَعَيْنُ اللَّهِ عَلَيْكَ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، وَكَذَلِكَ: ﴿وَاصْنَعِ الْقُلُوكَ

بِأَعْيُنِنَا﴾، أَي: نَأْمُرُكَ بِهِ، وَحِفْظُنَا لَذَلِكَ، لِقَوْلِهِ: ﴿وَوَحِينَا﴾^(٤)، أَي^(٥): عَلَى مَا

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ. وَيُقَالُ: بِوَحِينَا إِلَيْكَ: أَنْ اصْنَعُهَا.

وَيَحْتَمِلُ^(٦) أَنَّهَا تَجْرِي، وَنَحْنُ عَامِلُونَ^(٧) بِهَا، لِأَنَّ السَّفِينَةَ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ

يَتَعَلَّقَ^(٨) جَرِيهَا إِلَّا بِالْعَيْنِ، الَّتِي هِيَ الْبَاصِرَةُ.

(١) كتاب العين: ٢: ٢٥٤ (عين)، ولسان العرب (عين).

(٢) ديوان الحارث بن جِلزَةَ: ٩، وفيه: النار أصيلاً.

(٣) في (هـ): توضع. بناء المضارعة المثناة من فوق. وفي (ح): توضح. بالحاء المهملة.

(٤) المؤمنون: ٢٧.

(٥) (أبي) ساقطة من (هـ).

(٦) في (هـ): تحتمل بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٧) في (أ) عاملون. بميم ثم لام.

(٨) في (ش) و(ك): تتعلّق، بناء المضارعة المثناة من فوق.

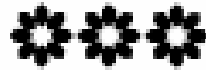
وقال الجبائي^(١): معناه: بأعين أولياتنا من الملائكة، والمؤمنين الذين يُعلمونك كيفية عملها.

وقيل^(٢): معناه: بِعِلْمِنَا^(٣).

وقيل: بحيث يراها الرائي، والله - تعالى - يراها.

وقال الأصمعي: قال عمر بن الخطاب: إِنَّ عَلِيًّا [- عليه السلام -] من عُيونِ الله في الأرض.

/ ٤٢ / وما سِوَى ذَلِكَ، لَا يَجُوزُ، لِأَنَّهُ لَا يُفِيدُ.



(١) في مجمع البيان: ٤: ١٠ تُسَبَّ إلى الجبائي خلافُ هذا الرأي.

(٢) التفسير الكبير: ٢٢: ٥٣ من دون عزو إلى قائل أو جماعة.

(٣) في (ش) و(ك): يعلمنا. بصيغة المضارع وبياء مثناة من تحت.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من (ح).

فصل [- ٣٥ -]

[نفي التجسيم عن الله]

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾^(١).

أي: قَالَ قَوْلًا، يُسْمَعُ بِالْأُذُنِ. وَلَا يُرِيدُ - بِذَلِكَ - أَنَّهُ أَصْفَى بِالْأُذُنِ إِلَى قَوْلٍ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ^(٢):

بِسَمَاعِ يَأْذُنُ السَّمِيعِ لَهُ وَحَدِيثِ بِشَلِّ مَاؤِي مُشَارِ^(٣)

قوله - مُبْحَاثُهُ -: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾^(٤).

حَمَلُ «الْوَجْهِ» عَلَى الْجَارِحَةِ، يَقْتَضِي أَنْ يَهْلِكَ سَائِرُهُ، وَيَبْقَى وَجْهُهُ.

وقوله: ﴿لِوَجْهِ اللَّهِ﴾^(٥)، وقوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^(٦)، يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ

(١) الأعراف: ١٦٧.

(٢) هو عدي بن زيد العبادي.

(٣) ديوان عدي بن زيد العبادي: ٩٥.

(٤) الرحمن: ٢٧.

(٥) الدهر: ٩.

(٦) الأنعام: ٥٢. الكهف: ٢٨.

وَجْهَهُ مَقْصَدَ الْقَوْمِ، فِي طَاعَتِهِ إِلَى وَجْهِهِ، لِيَقْبَلَ.

وقوله: ﴿فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾^(١)، يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ وَجْهَهُ حَيْثُ يَتَوَجَّهُ الْإِنْسَانُ إِلَيْهِ، وَأَنْ يَكُونَ وَجْهَهُ جَمِيعَ النَّوَاحِي فِي الْحَالَةِ الْوَاحِدَةِ، لِيَتَوَجَّهَ النَّاسُ إِلَى كُلِّ وَجْهِهِ.

وقوله: ﴿نُطْعِمُكُمْ لِيُوجِهُ اللَّهُ﴾^(٢)، وقوله: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾^(٣)، وقوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾^(٤)، أي: الْقُرْبَةَ إِلَيْهِ وَالزُّلْفَةَ عِنْدَهُ. كَمَا يُقَالُ: أكرمته لِيُوجِهُكَ. أي: لِيَتَعْظِيمَكَ.

وقوله ﴿فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾. أي فَتَمَّ اللَّهُ - عَلَى مَعْنَى التَّدْبِيرِ وَالْعِلْمِ، لَا عَلَى مَعْنَى الْحُلُولِ.

وَيَحْتَمِلُ آيَاتِ اللَّهِ، وَدَلَالَتُهُ، كَمَا يُقَالُ: وَجْهَ الْقَوْلِ فِي هَذِهِ^(٥) الْمَسْأَلَةِ، كَذَا. وَيَحْتَمِلُ رِضَا اللَّهِ، وَثَوَابَهُ. وَيَحْتَمِلُ الْجَهَةَ، وَتَكُونُ الْإِضَافَةُ بِمَعْنَى: الْمَلِكِ، وَالْحَلْقِ، وَالْإِنْشَاءِ، أي: الْجَهَاتُ كُلُّهَا لِهَذَا^(٦).

(١) البقرة: ١١٥.

(٢) الدهر: ٩.

(٣) البقرة: ٢٧٢.

(٤) الروم: ٣٨.

(٥) في (هـ): هذي.

(٦) في (أ): الله. من دون حرف الجرّ (اللام).

الرّضا - عليه السلام - ﴿ فَسَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ . قال: عَلِيٌّ .
 وَتُسَمَّعَلُ الْوَجْهُ فِي الْمَحْيَا^(١) . وَسُمِّيَ - بِذَلِكَ - لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يَظْهَرُ، وَيُرَى .
 وَأَوَّلِ الشَّيْءِ: ﴿ آمَنُوا بِالَّذِي أَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ ﴾^(٢) .
 وَالْمُقْصِدُ: ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ ﴾^(٣) ، وقولُهُ: ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
 الْقَيِّمِ ﴾^(٤) ، وَمَا الْوَجْهُ فِيهِ، وَالْمَذْهَبُ، وَالْجِهَةٌ، وَالنَّاجِيَّةُ . شَاعِرٌ^(٥):
 أَيُّ الْوُجُوهِ انْتَجَمَتْ؟ قُلْتُ لَهُ: لَأَيِّ وَجْهِ؟ إِلَّا إِلَى الْحَكَمِ
 وَالْقُدْرَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ: لِفُلَانٍ وَجْهٌ عَرِيضٌ . وَهُوَ أَوْجَهُ مِنْ فُلَانٍ . وَأَوْجَهُهُ
 السُّلْطَانُ . إِذَا جَعَلَ لَهُ جَاهًا . قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ^(٦):
 وَنَادَيْتُ قَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ فَاوْجَهَنِي وَرَكَبْتُ الرِّيْدَا
 وَالرَّئِيسَ . هَذَا وَجْهُ الْقَوْمِ . وَهُوَ^(٧) وَجْهُ عَشِيرَتِهِ .

(١) في (أ): المحيات . بالناء المبسوطة .

(٢) آل عمران: ٧٢ .

(٣) لقمان: ٢٢ .

(٤) الروم: ٥٣ .

(٥) عيار الشعر: في جملة أبيات معزوة إلى حمزة بن بيض . الأغاني: ١٦ : ١٥٣ . منسوبة إلى حمزة بن
 بيض الحنفي . أمالي المرتضى: ١ : ٥٩١ منسوبة إلى حمزة ابن بيض الحنفي . التبيان في تفسر
 القرآن: ١ : ٢٤ معزواً إلى ابن بيض . مجالس العلماء: ١٩٩ معزواً إليه أيضاً .

(٦) ديوان امرئ القيس: ٢٥٢ .

(٧) في (أ): قَهْوٌ .

وذات الشيء. إِنَّمَا أَفْعُلُ ذَلِكَ لَوَجْهِكَ. ومنه: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِنُ بِأَصْرَةٍ﴾^(١)،
﴿وَجُودٌ يُؤْمِنُ بِأَيْسَرَةٍ﴾^(٢)، ﴿وَجُودٌ يُؤْمِنُ بِأَعْمَةٍ﴾^(٣).

فَجَمِيعٌ مَا أُضِيفَ إِلَى «الْوُجُودِ» فِي ظَاهِرِ الْآيِ^(٤)، مِنَ النَّصْرَةِ، وَالنَّظْرِ،
وَالرُّضَى، لَا تَصُحُّ إِضَافَتُهُ إِلَيْهَا، وَإِنَّمَا يُضَافُ إِلَى الْجُمْلَةِ.

المفسرون^(٥): ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٦). أي: إِلَّا هُوَ. يَدُلُّ عَلَيْهِ
قَوْلُهُ^(٧). فَلَوْ^(٨) لَمْ يُرِدْ نَفْسَهُ، لَمْ يَقُلْ: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(٩).



(١) القيامة: ٢٢.

(٢) القيامة: ٢٤.

(٣) الغاشية: ٨.

(٤) في (ح): الآية. بصيغة الإفراد.

(٥) في الجامع لأحكام القرآن: ١٣: ٣٢٢ منسوب إلى مجاهد فقط وهناك أقوال أخرى مختلفة لجملة
من المفسرين.

(٦) القصص: ٨٨.

(٧) في (ك): قولو. وهي ساقطة من (هـ).

(٨) في (ش) و(ك) و(هـ) و(ح): وَلَوْ. مَعَ الْوَاوِ.

(٩) الرحمن: ٢٧.

فصل [- ٣٦ -]

[نفى التجسيم عن الله]

قوله - تعالى - ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾^(١).

أي: نِعْمَةٌ. فيما امتنَّ به عليهم من الإسلام، فوق نِعْمَتِهِمْ، الانقياد^(٢) له، والإيمانُ به، لأنَّهُ عَقِبَ قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾^(٣). أي: عَقَدُ الله في هذه البيعة، فوق عَقْدِهِمْ، لأنَّهُمْ يُبَايِعُونَ^(٤) الله، بِبَيْعَةِ نَبِيِّهِ [- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -]^(٥).

وقيل: قُوَّةُ الله في نصرِ نَبِيِّهِ [- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -]^(٦) فوقَ نصرِهِمْ.

وقيل: يَدُ الله، ثابتةٌ في هدايتهم، فوقَ أيديهم بالطَّاعةِ، ولو كان له يَدٌ فوقَ

(١) الفتح: ١٠.

(٢) في (هـ) و(ح): والانقياد. مع الواو.

(٣) الفتح: ١٠.

(٤) في (ك): يبايعوا.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

أيديهم من جهة المكان، لم يكن^(١) له - في ذلك - تشریفٌ وتخصيصٌ.

ابن عباس^(٢): قال يهوديٌّ: إنَّ الله - تعالى - كان يُوسِّعُ علينا، ويُعْطِينَا، فقد أَمَسَكَ يَدَهُ عَنَّا - يعني المطر - فَأَجَابَهُمُ اللهُ - تعالى^(٣) - بقوله: ﴿عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾^(٤)، أَي: مُنِعُوا مِنَ الْإِنْفَاقِ، وَضُرِبُوا بِالْبُخْلِ، ﴿وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(٥).

وقيل: إنَّهم قالوا على سبيلِ الاستهزاء: إنَّ إلهَ مُحَمَّدٍ، أرسلَ يديه إلى عُنُقِهِ، إذْ لم يُوسِّعْ عليه، وعلى أصحابِهِ، فردَّ اللهُ عليهم، بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾. أَي: نِعْمَةٌ.

ويُجْتَمَلُ أَنَّهُمْ وَصَفُوا اللهُ بِمَا يَقْتَضِي تَنَاهِي مَقْدُورِهِ^(٦)، فجرى ذلك مجرى قولهم: يدُ فلانٍ، مُنْقَبِضَةٌ، ويدهُ لا تُنْبِطُ. ويشهدُ^(٧) - بذلك - قوله^(٨): ﴿لَقَدْ

(١) في (ك): تكن. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٢) جامع البيان: ٦: ٣٠٠ بالتفسير نفسه من غير ذلك سبب النزول. وهو منسوبٌ في الجامع

لأحكام القرآن: ٦: ٢٣٨ إلى عكرمة مولى ابن عباس والراوي عنه.

(٣) (تعالى): ساقطة من (ك) و(هـ) و(أ) و(ح).

(٤) المائدة: ٦٤.

(٥) المائدة: ٦٤.

(٦) في (ح): مقدوراته.

(٧) في (ك) و(أ): نشهد. بالنون الموحدة من فوق.

(٨) في (ك) و(أ): وقوله. مع الواو.

سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴿١﴾. ثُمَّ ﴿٢﴾ قَالَ - تَكْذِيباً لَهُمْ - :
﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾. أي: [إنه] ﴿٣﴾ مَن لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

ومعنى «اليد»: القُدْرَةُ، أيضاً، يقالُ: مالي بهذا الأمرِ يدٌ، ولا يدانِ. أي:
لا أقدرُ عليه.

ولا يُرادُ إثباتُ قُدْرَةِ على الحقيقة، بل يُرادُ إثباتُ كونِ القادرِ، قادراً.
وقوله: ﴿الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النَّكَاحِ﴾ ﴿٤﴾، معناه: مَنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ. وقوله:
﴿فِيهَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ ﴿٥﴾، أراد: الجُمْلَةَ دُونَ التَّبَعِيضِ ﴿٦﴾.

قوله: - سبحانه - ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدِي﴾ ﴿٧﴾. يجري مجرى قوله: لَمَّا خَلَقْتُ أَنَا.
وإنما قال ﴿بِيَدِي﴾ على وجهٍ تخصيصٍ / ٤٣ / الإضافة، لِخَلْقِهِ، إِلَيْهِ - تعالى -
والتَّشْبِيهِ، أَشَدُّ مَبالِغَةً. يقالُ: هذا ما كَسَبَتْ يَدَاهُ. وهذا فَعَلَهُ بِيَدِيهِ. كما يُقالُ: فَعَلَهُ

(١) آل عمران: ١٨١.

(٢) (ثم) ساقطة من (ك) و(ح).

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ك) و(هـ) و(أ) و(ح).

(٤) البقرة: ٢٣٧.

(٥) الشورى: ٣٠.

(٦) في (أ): البعض.

(٧) ص: ٧٥.

بنفسه. ومنه قولهم: **يَدَاكَ أَوْكَتَا**^(١). وإن كان في ذنوبهم ما هو من أفعال القلوب، وكيف خلق آدم بجارحتين، وإنه محتاج إليهما، وإنه يفعل بالآب، وإنه يتجزى، لأن اليدين، إثنان، ليس بواحد.

ومعنى قوله: **﴿بَلْ يَدَاهُ﴾**، أي: **نِعْمَتَاهُ، دِينَا، وَدُنْيَا**.

وقيل: **نِعْمُ الدُّنْيَا، وَنَعِيمُ الآخِرَةِ**، لأن أولها، **يُوجِبُ** ذلك، وقد فسرهُ الله - تعالى - في قوله: **﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾**^(٢). قال الشاعر^(٣):

سَبَطُ اليَدَيْنِ بِمَا فِي رِجْلِ صَاحِبِهِ جَعَدُ اليَدَيْنِ بِمَا فِي رِجْلِهِ قَطَطُ

وعلى زعمهم: **يُوجِبُ** أن تكونا مبسوطتين^(٤)، لا تنقبضان للتخصيص بذلك، **ويُوجِبُ كَوْنَهُمَا**^(٥) **مُرَكَّبَةً**، ذات أصابع، ليصح معنى **السَّبَطِ**. وقد تمدح بذلك، وللخلق مثله، فلا فائدة فيه.

(١) هو بعض من مثل وقامته: **«يَدَاكَ أَوْكَتَا وَفُوكَ نَقَّخَ»** ويضرب لمن يجني على نفسه الحين. أنظر مجمع الأمثال: ٢: ٤١٤.

(٢) الإسراء: ٢٩.

(٣) الأضداد في كلام العرب: ١: ١٦٤ بلا عزو وفيه: «سمح اليدين...». أساس البلاغة: «قططاك ٥١٣. بلا عزو وفيه: «سمح اليدين...».

(٤) في (هـ): مبسوطتان.

(٥) في (ش) و(ك): كونها.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾^(١).

أي: عملناه من غير أن نكلِّه إلى غيرنا، بمنزلة ما يعملُّ العبادُ بأيديهم في أنهم تولَّوا فعله، ولم يكلِّوه إلى غيرهم^(٢)، كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٣).

وقال ابنُ عباسٍ^(٤)، ومجاهدٌ^(٥) وقتادةٌ^(٦) في قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾^(٧) أي: بقوَّة. وقوله: ﴿أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾^(٨)، معناه: القويُّ. فيكونُ لفظُ «الأيدي»، تأكيداً لتخصيص الإضافة.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^(٩). يُسْتَعْمَلُ^(١٠) «الْيَمِينُ»

(١) يس: ٧١.

(٢) في (أ): غيرهما.

(٣) النحل: ٤٠.

(٤) جامع البيان: ٢٧: ٧. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ١٦٠. الجامع لأحكام القرآن: ١٧: ٥٢ منسوب إلى ابن عباس وغيره.

(٥) جامع البيان: ٢٧: ٧. أيضاً مجمع البيان: ٥: ١٦٠.

(٦) جامع البيان: ٢٧: ٧. أيضاً مجمع البيان: ٥: ١٦٠.

(٧) الذاريات: ٤٧.

(٨) ص: ٤٥.

(٩) الزمر: ٦٧.

(١٠) في (هـ) و(أ) و(ح): تستعمل، بناء المضارعة المثناة من فوق.

في أشياء:

أما قوله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوِّقَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾^(١): اليدُ اليمنى.

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾^(٢): القَسْمُ. قال امرؤ القيس^(٣):

فَقَالَتْ: بِمَنْ اللهُ مَالِكُ جِيْلَةٍ [وَمَا إِنْ أَرَى عَنكَ الْعَمَابَةَ تَنْجَلِي]

وَالْحَدُّ، وَالصَّرَامَةُ. قال الشَّيْخُ:

[إِذَا مَا رَايَةً رُفِعَتْ لِسَمَجِدٍ] تَلَقَّاهَا عَرَابِيَةٌ بِالْيَمِينِ

وَالْمَنْزِلَةُ الْحَسَنَةُ: يُقَالُ: فَلَانٌ عِنْدَهُ بِالْيَمِينِ. قال ذو الرُّمَّة^(٤):

أَيْبَسِي أَفِي يَمْنَى بِدَيْكَ جَعَلْتَنِي لَكَ الْخَيْرُ أَمْ صَيَّرْتَنِي فِي شِمَالِكَ

وعبارةٌ عن المَلِكِ. هذا مَلِكٌ يَدِي. قوله: ﴿ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾^(٥). وهذا

يرجعُ إلى^(٦) أَنَّ اليمينَ أَرَادَ به الجملة - جَلَّ ذَاتُهُ - كَأَنَّهُ قَالَ: بِمَا مَلَكَتُمْ. فيكونُ
مجرأهُ الذَّاتُ.

(١) الحاقّة: ١٩.

(٢) البقرة: ٢٢٤.

(٣) ديوان امرئ القيس: ١٤ ومنه تمام البيت، وهو من معلقته.

(٤) نُسِبَ البيت إلى ذِي الرُّمَّةِ خطأ، وإِنَّمَا هو لابنِ الدَّمِينَةِ. أنظر ديوان ابنِ الدَّمِينَةِ: ١٧ وفيه:

«فأفرح أم صيّرتنى...».

(٥) النور: ٣٣، الروم: ٢٨.

(٦) (إلى) ساقطة من (ك).

فلو حملناه على الجارحة، اقتضى التشبيه المؤدّي إلى مناقضة الأصول،
 وأن يكون السَّاءُ مطويةً يمينه، ويُؤدّي إلى مناقضة القرآن من حيث أخبرَ عن
 حالِ السَّاءِ في ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾^(١)، ﴿فَإِذَا
 انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾^(٢)، ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ
 وَاهِيَةٌ﴾^(٣)، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾^(٤)، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾^(٥)، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ
 كُشِطَتْ﴾^(٦)، فكيف تكون^(٧) السَّاءُ مع هذه الأحوال من انشقاق، وانفطار،
 وكونها مُهلاً، ووردةً مطويةً؟

وإِثْمَ رَوَّاءٍ: إِنَّ^(٨) كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ^(٩)، وَإِنَّ^(١٠) الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ، يَمِينُ اللَّهِ،
 فَبَأَيِّ يَمِينِهِ تَكُونُ مَطْوِيَّةً؟ وَهُوَ لَمْ يُبَيِّنْهُ.

(١) المعارج: ٨.

(٢) الرحمن: ٣٧.

(٣) الحاقة: ١٦.

(٤) الانشقاق: ١.

(٥) الانفطار: ١.

(٦) التكوير: ١١.

(٧) في (ش) و(ك) و(أ): يكون. بياض المضارعة المثناة من تحت.

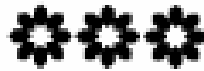
(٨) (إِنَّ) سقطت من (ح).

(٩) في (ش) و(ك) و(أ): يميناً. وفي (ح): يمينان.

(١٠) في (ح): والحجر.

واليد، إنها فُرِّقَ باليمين، وباليسار، للتمييز. فأما إذا كانت كلتا يديه يميناً، فلا معنى للقول، بأنه فعل كذا بيمينه، مَعْنِيًا^(١) به الجارحة. إذ يقع به التمييز^(٢).

ولعلَّ السَّمَوَاتِ تَكُونُ مَطْوِيَّةً بِالْحَجْرِ الْأَسْوَدِ، وَلَا يَجُوزُ بِمَعْنَى: السَّمَرِ لَةِ الْحَسَنَةِ، لِأَنَّهُ لَا مَعْنَى لَهُ فِي الْآيَةِ. وَلَا بِمَعْنَى: السِّمْلِكِ، لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ: كَانَ ذَلِكَ بِسِمْلِكِ يَمِينِي. وَلَا بِمَعْنَى: الْحَدِّ وَالصَّرَامَةِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُفِيدُ، وَإِنَّا اسْتُعْمِلَ - فِي ذَلِكَ - بِالْأَلْفِ. فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا بِالْقُدْرَةِ، وَبِالْقَسَمِ. وَذَلِكَ أَقْوَالُ الْمَفْسُرِينَ.



(١) في (ك) و(هـ) و(أ): معيناً. بياء ثم نون.

(٢) في (هـ) و(أ): التمييز.

فصل [- ٣٧ -]

[في نفي التجسيم عن الله]

قوله - تعالى - ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١).

القَبْضَةُ، لَوْ فُسِّرَتْ عَلَى الظَّاهِرِ، لَأَوْجَبَ أَنَّ الْأَرْضَ قَبْضَتُهُ. أَي: جَارِحَتُهُ. وَيَقْتَضِي أَنَّهُ لَيْسَتْ لَهُ قَبْضَةٌ سِوَى الْأَرْضِ^(٢)، وَالْأَرْضُ لَيْسَتْ بِجَارِحَةٍ لَهُ.

وَلَا يَخْلُو^(٣) قَوْلُهُ ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ﴾ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ:

إِمَّا أَنْ يَكُونَ إِخْبَاراً أَنَّ الثَّانِي هُوَ الْأَوَّلُ. كَمَا يُقَالُ: زَيْدٌ^(٤) أَخوكَ. فَيَقْتَضِي ذَلِكَ أَنَّ الْأَرْضَ كَفَّهُ الْمُجْتَمِعُ.

أَوْ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّشْبِيهِ لِلأَوَّلِ بِالثَّانِي، تَفْصِيلاً، كَمَا يُقَالُ: فَلَانُ

(١) الزمر: ٦٧.

(٢) في (ش): ليست قبضته سوى الأرض.

(٣) في (ك) و(أ): تخلص.

(٤) في (أ): زيداً.

عَيْني، وهو فُوادي، وكما يُقال: فلانُ أسدٌ، وبَحْرٌ. تشبيهاً لهُ بيها في الجودِ،
والشجاعةِ، ولا يجوزُ ذلك.

وإما أن يُراد: أنه مُلكُهُ، أو فِعْلُهُ، كقولهم: هذهِ دارُهُ، وعبْدُهُ^(١). هذا كسْبُهُ،
وفِعْلُهُ. وعلى هذا الوجه، يَصُحُّ.

ابنُ عباسٍ^(٢)، ومجاهدٌ^(٣): أي: مِلْكُهُ. ومنه يُقال: هذا في قَبْضِي. وَقَبْضُ
الدَّارِ. والأَرْضُ هذه قَبْضَةٌ، أي: مُجْتَمِعَةٌ. ومنه: قَبْضَةُ اليدِ، والقوسِ، وَمَقْبِضُ
السَّيْفِ. القَبْضُ ما قَبِضَ من الغنائِمِ، والفيءِ. والتَّقْبِضُ: التَّشْنُجُ، والعُبُوسُ.
﴿فَقَبِضْتُ قَبْضَةً﴾^(٤)، «فَعَلَّةٌ مِنْهُ».

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿أَلَمْ تَرِ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ
جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ثُمَّ قَبِضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسيراً﴾^(٥).

(١) في (ش) عنده. بنون موحدة من فوق. وهو تصحيف.

(٢) في جامع البيان: ٢٤: ٢٥ نُقِلَ عن ابن عباس ما يُخالف قوله هذا. الجامع لأحكام القرآن: ١٨:

٢٧٥ منسوباً إلى ابن عباس نقلاً عن ابن قتيبة.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٨: ٢٧٥ نقلاً عن ابن قتيبة.

(٤) طه: ٩٦.

(٥) الفرقان: الأيتان ٤٥ - ٤٦.

إِنَّمَا هِيَ حَيْثُ تُشْرِقُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَيَتَقَلَّصُ^(١)، لِأَنَّهُ مَا رُئِيََتْ يَدُهُ^(٢)
مُجَسَّدَةً، تَقْبِضُ^(٣) الظِّلَّ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا
يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾^(٤).

مَا رُئِيََتْ يَدٌ تُمْسِكُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا مَعْنَى ذَلِكَ: الْقُدْرَةُ عَلَى إِمْسَاكِهَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾^(٥).
أَي: يَمْنَعُ، وَيُعْطِي.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾^(٦)، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ

(١) (يَتَقَلَّصُ) مَطْمُوسَةٌ فِي (أ).

(٢) فِي (ك) وَ(هـ) وَ(أ): يَدٌ. مِنْ دُونَ الضَّمِيرِ (الْهَاءِ).

(٣) فِي (أ): وَتَقْبِضُ، مَعَ الْوَاوِ.

(٤) الْمَلِكُ: ١٩.

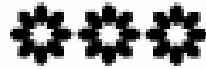
(٥) الْبَقَرَةُ: ٢٤٥.

(٦) هُودٌ: ٥٦.

بَطَشَ رَبُّكَ لِشَيْدِكَ^(١).

لا يُوصَفُ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - بالقبضِ على الشَّيءِ. فالمعنى - في ذلك - إنها في

مَلِكِهِ.



(١) البروج: ١٢.

فصل [- ٣٨ -]

[نفى التجسيم عن الله]

قوله - تعالى - : ﴿ مَا قَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾^(١).

الجَنْبُ: العَصُ الْمَعْرُوفُ، وَالنَّاحِيَةُ. قَالَ مُهَلِّبٌ^(٢):

كَانَا - غَدَوَةٌ - وَبَيْنِي أَيْنَا - بِجَنْبِ عُنُقِزَةَ وَحَيَا مُدِيرِ

وَلَصِيْقُ^(٣) الشَّيْءِ. وَمِنْهُ: الصَّاحِبُ بِالْجَنْبِ. وَالسَّبَبُ^(٤)، وَيُقَامُ مَقَامَ

«أَجَلَ»، يُقَالُ: فَعَلْتُهُ فِي جَنْبِهِ، وَفِي سَبَبِهِ، وَمَنْ أَجَلِهِ. الْأَحْمَرُ:

خَلِيلِي كَفَمَا وَاذْكُرَا اللَّهَ فِي جَنْبِي وَقَدْ لُمْتُمَا فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا ذَنْبٍ

أَي: فِي أَمْرِي.

وَالْجَنْبُ الَّذِي هُوَ، الْجَارِحَةُ، وَلَصِيْقُ الشَّيْءِ، غَيْرُ مَعْقُولٍ. وَبِمَعْنَى

(١) الزُّمَرُ: ٥٦.

(٢) الْأَصْمَعِيَّاتُ: ١٥٥. الْأَشْتَقَاقُ: ٢: ٣٢١. أَمْالِي الْقَالِي: ٢: ١٥٠. شَرْحُ الْمَفْصَلِ: ٤: ١٤٧.

غَزَاةُ الْأَدَبِ: ٣: ٥٢٠..

(٣) فِي (ك): لَصِيْقٌ. بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةِ.

(٤) فِي (هـ): النَّسَبُ. بِالنُّونِ الْمَوْحَدَةِ مِنْ فَوْقِ بَعْدِهَا السِّينِ.

السَّبَبِ، و«أَجَلٍ»، كَلَامٌ مَفْهُومٌ.

فمعناه: ﴿مَا قَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾. أي: أمره. قَالَهُ مجاهدٌ^(١). وهو الصَّحِيحُ، لَأَنَّ «الجَنْبَ» يُعْبَرُ بِهِ عَنِ الذَّاتِ، يُقَالُ: فِي جَنْبِ فلانٍ حَقٌّ. وقال ابنُ^(٢) عَبَّاسٍ: فِي ذَاتِ اللَّهِ.

وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ، وَالْوَصِيِّ^(٣)، وَالسَّجَّادِ، وَالْبَاقِرِ، وَالصَّادِقِ، وَالرُّضَا، وَزَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -: جَنْبُ اللَّهِ، عَلِيٌّ^(٤).

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ﴾ الآية^(٥). السَّاقُ: ذَاتُ الْقَدَمِ: ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾^(٦). وَسَاقُ الشَّجَرَةِ الَّتِي تَرْتَفِعُ عَلَيْهَا. وَيُقَالُ: سَاقٌ عَلَى سَاقٍ. أَي^(٧): قُمْرِيَّةٌ^(٨) عَلَى شَجَرَةٍ. وَالشَّدَّةُ.

(١) جامع البيان: ٢٤: ١٨. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ٥٠٤. الأسماء والصفات: ٣٦.

(٢) في مجمع البيان: ٤: ٥٠٤ تُسَبَّ إلى ابن عَبَّاسٍ - فِي هَذَا الْمَوْضِعِ - قَوْلُهُ: فِي ثَوَابِ اللَّهِ.

(٣) فِي (أ): الرُّضَى.

(٤) الكافي: ١: ١٤٥. التوحيد: ١٦٤، ١٦٥. عن الصادق (عليه السلام) عن أمير المؤمنين (عليه

السلام) مجمع البيان: ٤: ٥٠٤. عن الباقر (عليه السلام) قوله: نَحْنُ جَنْبُ اللَّهِ.

(٥) القلم: ٤٢.

(٦) التَّمَلُّ: ٤٤.

(٧) العبارة: «أَي... سَاقٍ» ساقطة من (أ).

(٨) القُمْرِيَّةُ: ضَرْبٌ مِنَ الْحِمَامِ مَطْوُوقٌ حَسَنُ الصَّوْتِ. جَمَعُهَا: قُمْرٌ. (المعجم الوسيط - قُمْرٌ).

يقال: قامت الحربُ على ساقٍ. سعد بن مالك^(١):

كَشَفْتُ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وَتَدَا مِنْ الشَّرِّ الصُّرَاحُ^(٢)

فالجارحة، لا يجوز، لأنه لم يقل: عن ساقه. ولم يقل: مَنْ يَكْشِفُ.

ونكّر «الساق»، ولم يُعرّفه، فلا دلالة على شيء مما قالوه.

وما زوّوه، فباطل، لا أصل له، وليس من الصّحاح عند القوم. وذلك

كُفْرٌ شَنِيعٌ.

وما في كشف ساقه، مما يُوجب معرفتهم، بأنه زبهم، ويلزمهم التشبيه،

وإبطال أدلة العقول، ورفع الإجماع، وتناقض القرآن.

ولا يجوز بمعنى الشجرة، أو القمرى، لأنه غير مفيد فيها. فلم ينق إلا

الشدة، وهو حال الكفار، لقوله في آخرها: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَىٰ

السُّجُودِ﴾^(٣).

(١) في النسخ جميعها: سعيد بن مالك، وصوبناه من المراجع.

(٢) معاني القرآن: ٣: ١٧٧ وفيه: (الشر البراح) معزواً إلى جذّ طرفه. ديوان الحماسة برواية

الجواليقي: ١٤٤ معزواً إلى سعد بن مالك جذّ طرفه بن العبد. الخصائص: ٣: ٢٥٢. شرح

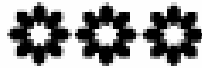
عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد: ١٨٧ مشفوعاً ببيت آخر، معزواً إلى سعد بن مالك.

التيان في تفسير القرآن: ١٠: ٨٧ معزواً إلى جذّ طرفه. وكذا في الأسماء والصفات: ٣٤٦.

(٣) القلم: ٤٣.

ورُوِيَ^(١) عن ابنِ عَبَّاسٍ^(٢)، وابنِ جَبْرِ^(٣)، وابنِ المُسَيَّبِ، وقتادة^(٤): إِنَّهُ

شِدَّةٌ.



(١) (روي) سقطت من (ج).

(٢) جامع البيان: ٢٩: ٣٨. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٣٩. الدر المنثور: ٨: ٢٥٤. الأسماء

والصفات: ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧. الجامع لأحكام القرآن: ٨: ٢٤٩.

(٣) جامع البيان: ٢٩: ٣٩. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٣٩. الدر المنثور: ٨: ٢٥٥.

(٤) جامع البيان: ٢٩: ٣٩. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٣٩. الدر المنثور: ٨: ٢٥٦.

فصل [- ٣٩ -]

[نفي التجسيم عن الله]

قوله - تعالى - : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾^(١).

معناه: وجاء أمرُ ربِّكَ. حَذَفَ المُضَافَ، وأقامَ المُضَافَ إليه، مقامَهُ. والْحَذْفُ في أمثاليه، جائزٌ، إذا كان - هناك - مانعٌ عن الجُزْيِ على الظاهرِ. نحو: ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ ﴾^(٢).

وقال الحسنُ^(٣): أي: جاء وعدُّ ربِّكَ. يعني: الأحكامَ بالثوابِ، والعِقَابِ.

وقال الضَّحَّاكُ^(٤): إذا نَزَلَ أهلُ السَّمَوَاتِ - يومَ القِيَامَةِ - كانوا^(٥) تسعةَ صفوفٍ محيطينَ بالأرضِ، ومَنْ عليها.

(١) الفجر: ٢٢.

(٢) يوسف: ٨٢.

(٣) مجمع البيان: ٥: ٤٨٨. الجامع لأحكام القرآن: ٢٠: ٥٥.

(٤) جامع البيان: ٣٠: ١٨٦. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٤٨٩. وفيها: سبع صفوف.

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): وكانوا. مع الواو.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾^(١).

انتظار الكفار، أنهم يأتهم في الظلل، يوجب كونه جنساً، وجوهراً، يزول، ويغيب، ويحيى، ويذهب، ويبعد، ويقرب، ويظهر، ويخفى.

قال ابن عباس^(٢): إتيانهم بوعده، ووعيده، وإن الله - تعالى - يكشف عنهم ما كان مستوراً عنهم. والله [معهم]^(٣) في كل حال، فهم يرون أهوال الغمام، وغيره، من الملائكة.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ ﴾^(٤).

أي: أتى أمره في خرابه. يدل على ذلك قوله في آخرها: ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَنَاهُمُ الْعَذَابُ ﴾^(٥).

(١) البقرة: ٢١٠.

(٢) قول ابن عباس هذا في مجمع البيان: ١: ٣٠٣ بلا عزو إلى أحد. وفي الجامع لأحكام القرآن: ٣:

٢٦: وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: هذا من المكتوم الذي لا يُفسر.

(٣) ما بين المعقوفين ساقطة من (ك) و(هـ) و(أ).

(٤) النحل: ٢٦.

(٥) النحل: ٢٦.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ﴾^(١).

أي: نُقَدِّمُ لَهُمْ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ، لِرِضَانَا عَنْهُمْ، وَنَحْيِينَا إِيَّاهُمْ، كَمَا لَا يَسِرُ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، بَلْ نَفْعَلُهُ ابْتِدَاءً مِنَ التَّعَبُّدِ لَهُمْ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ﴾^(٢).

أي: أَحَاطَ عَلِيمًا بِأَحْوَالِهِمْ، وَمَا يَفْعَلُونَ مِنْ طَاعَةٍ، / ٤٥ / أَوْ مَعْصِيَةٍ، وَمَا يَسْتَحِقُّونَهُ - عَلَى ذَلِكَ - مِنَ الثَّوَابِ، وَالْعِقَابِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى فِعْلِ ذَلِكَ بِهِمْ، فَهُمْ فِي قِبْضَتِهِ، لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مِشِيئَتِهِ.



(١) المؤمنون: ٥٦.

(٢) الإسراء: ٦٠.

فصل [- ٤٠ -]

[في مسائل متفرقة]

قوله - تعالى - : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾^(١).
وجه التشبيه فيه، بأخذه من الظالم حتى المظلوم، بلا مُداراة^(٢)، فإن الله
- تعالى - نَقَلَهُمْ إلى جهة عِقَابِهِ^(٣)، بلا مُحَابَاةٍ. ونَقَلَ الشَّيْءَ إلى جهة الأَخْذِ، مجازاً.
وكذلك يُؤَوَّلُ قوله: ﴿ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾^(٤)، وقوله: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ
لَشَدِيدٌ ﴾^(٥).

قوله - سبحانه - : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾^(٦).
معناه: إن أحلَّ بك الضُّرَّ، لأنَّ المسَّ الحقيقي، ما يكونُ بينَ الجسمين،

(١) هود: ١٠٢.

(٢) في (ك): مَرَاةٌ. بالراء المهملة وبالف وواحدة.

(٣) في (أ): عَقَايد.

(٤) هود: ١٠٢.

(٥) البروج: ١٢.

(٦) الأنعام: ١٧. يونس: ١٠٧.

وذلك لا يجوزُ عليه. لكنْ لِمَا أَدْخَلَ «الباء» الْمُتَعَدِّيَّةَ، جرى مجرى أنْ يَقُولَ:
يَمْسُكَ. مِنْ «المَسِّ»^(١).

وأما^(٢) إذا لم يَكُنْ^(٣) مُتَعَدِّيًّا إلى مفعولين، فيكونُ كقولِهِ: ﴿مَسَّنِي
الضَّرُّ﴾^(٤).

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾^(٥).

جَعَلَ «المَسَّ» - على الله - على وجهِ المجازِ، لأنَّ الحَيْرَ، والشَّرَّ، عَرَضَانِ،
لا تَصُحُّ - عَلَيَّهَا - المَمَاسَّةُ. وأرادَ - تعالى - بذلك التَّغْيِبَ في عبادتِهِ، وتركِ
عبادَةِ سِوَاهُ، لِأَنَّهُ المَالِكُ لِلنَّفْعِ، والضَّرُّ دونَ غَيْرِهِ، وَأَنَّهُ القَادِرُ عَلَيْهَا.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا
الْأَوَّلُونَ﴾^(٦).

(١) في (ح): من أمس.

(٢) في (ح): فأما. مع الفاء.

(٣) في (أ): تكن.

(٤) الأنبياء: ٨٢.

(٥) الأنعام: ١٧.

(٦) الإسراء: ٥٩.

لا يجوز إطلاق المنع في صفات الله - تعالى - لأن المنع وجود ما لا يصح معه وقوع الفعل من القادر عليه.

وإنما جاز - ههنا - للمبالغة في أنه لا يصح وقوع الفعل، فكأنه قد منع [منه]^(١).

والحقيقة: أننا لم نُرسل بالآيات، لكيلا يُكذَّب بها هؤلاء، كما كذَّب مَنْ قَبْلَهُمْ، فيستحقُّوا^(٢) المعاجلة بالعقوبة.

وقيل: قوله: ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ﴾، يجوز أن تكون^(٣) «إلا» زائدة. وتقديره: ما منعنا أن نُرسل بالآيات أن كذَّبَ بها الأولون. أي: لم يَمْنَعْنَا ذَلِكَ مِنْ إِرْسَالِهَا، بَلْ أَرْسَلْنَاهَا مَعَ تَكْذِيبِ الْأُولِينَ.

وَمَعْنَى ﴿أَنْ كَذَّبَ﴾، هُوَ التَّكْذِيبُ، كَمَا تَقُولُ^(٤): أُرِيدُ أَنْ تَقُومَ^(٥). بمعنى: أُرِيدُ قِيَامَكَ.



(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٢) في (ش): فيستحقون. بإثبات نون الرفع.

(٣) في (ش) و(ك) و(أ): يكون.

(٤) في (ك): يقال: بصيغة المبني للمجهول.

(٥) في (ش): يقوم.

فصل [٤١ -]

[في معنى الشاكر والجبار]

قوله - تعالى - : ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾^(١).

والشُّكْرُ، هو الاعترافُ بالنعمةِ، وذلك لا يجوزُ على الله - تعالى -.

معناه: لم يزل الله مُجَازِيًا لِلشَّاكِرِ على شُكْرِهِ في جميع عبادِهِ، عَالِمًا^(٢) بما يستحقُّونه على طاعاتهم من الثوابِ.

وقيل: إنما يجوزُ الشُّكْرُ منه، [على]^(٣) معنى الجزاءِ عليه، كما قال: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(٤). والجزاءُ ليسَ سَيِّئَةً، ولكن أُطْلِقَ^(٥) ذلك، لازدواجِ الكلامِ.

وقال المُرْتَضَى: إِنَّهُ فاعِلٌ، بمعنى: مفعولٍ. كما يقالُ: رِذَاءٌ ساجِبٌ، بمعنى:

(١) النساء: ١٤٧.

(٢) في (أ): فلما.

(٣) ما بين المعقوفتين زيادة من (ه).

(٤) الشورى: ٤٠.

(٥) في (أ): أطلق.

مَسْحُوبٍ. فَالشَّاكِرُ^(١) بمعنى: المَشْكُورِ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَاللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٢).

الشُّكُورُ في صفاتِ الله - تعالى - مجازٌ، لأنه - في الأصلِ - هو المُظْهِرُ، للإِنْعَامِ عليه، واللهُ - تعالى - لا تُلْحَقُهُ المنافعُ والمضارُّ، فيكونُ معناه: إنه يُعَامِلُ المُطِيعَ في حُسْنِ الجزاءِ، معاملةً الشَّاكِرِ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾^(٣).

معنى «الْجَبَّارُ»، عزيزٌ، لا يُنَالُ باهتضامٍ. والْجَبَّارُ: مَدْحُ الباري، - كما قال - وَذَمُّ لِلخَلْقِ، قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيحاً﴾^(٤).

وأما قوله - في صفةِ النَّبِيِّ - عليه السلام^(٥) -: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ

(١) في (هـ): فالشكر.

(٢) التغابن: ١٧.

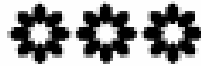
(٣) الحشر: ٢٣.

(٤) مريم: ٣٢.

(٥) في (ح): صلى الله عليه وآله.

بِجَبَّارٍ^(١). قال^(٢) الفراء^(٣): أي: لا تُجَبَّرُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ.

وَالصَّحِيحُ: أَي: لَا تَتَجَبَّرُ عَلَيْهِمْ. لِأَنَّهُ لَمْ يُسْمَعْ «فَعَالٌ» مِنْ: «أَفْعَلْتُ».



(١) ق: ٤٥.

(٢) في (ح): فقال. مع القاء.

(٣) معاني القرآن: ٣: ٨١.

فصل [- ٤٢ -]

[في مسائل متفرقة]

قوله - تعالى - : ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُونَ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾^(١)، ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢).
إنَّهَا قَبِيحٌ^(٣) تَزْكِيَةُ النَّفْسِ مِنَ الْآدَمِيِّ، لِأَنَّهُ مَنْقُوصٌ^(٤) فِي كُلِّ مَا يَمْدَحُ بِهِ
نَفْسَهُ.

ولما قال - تعالى - : إِنَّهُ كَرِيمٌ، أَوْ رَجِيمٌ، أَوْ عَلِيمٌ، فِيهِ كُلُّ الْكَرَمِ، وَالرَّحْمَةِ،
وَالْعِلْمِ. وَلَا يَجْتَلِبُ بِمَدْحِ نَفْسِهِ، وَلَا يَدْفَعُ ضَرًّا.
وجاز - أيضاً - أن يمدح نفسه، ليعرفها - أيضاً - خلقه، ليعبد، ويعظم.

(١) الحشر: ٢٣.

(٢) الجاثية: ٣٧.

(٣) في (ش): فتح. بالفاء الموحدة بعدها التاء المثناة من فوق.

(٤) في (أ): منقوض. بالضاد المعجمة.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾^(١)، وقوله:
﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ ﴾^(٢).

قال الطُّوسِيُّ^(٣): إِنَّمَا يَقْبُحُ الامْتِنَانُ، إِذَا كَانَ الْغَرَضُ^(٤) الْإِزْرَاءَ^(٥) بِالْمُنْعِمِ عَلَيْهِ. فَأَمَّا إِذَا كَانَ الْغَرَضُ تَعْرِيفَ النِّعْمَةِ، وَتَعْدِيدَهَا، وَإِعْلَامَهُ وَجُوبَهَا، لِتَقَابُلِهَا بِالشُّكْرِ، فَيَسْتَحِقُّ بِهَا الثَّوَابَ، وَالْمَدْحَ، فَإِنَّهُ نِعْمَةٌ أُخْرَى، وَتَفْضُلٌ آخَرُ^(٦)، يَسْتَحِقُّونَ بِهَا الشُّكْرَ.

وقال ثعلبٌ^(٧): أَجْمَعَ أَهْلُ اللُّغَةِ كُلُّهُمْ أَنَّ الْمَنْ مِّنَ اللَّهِ مَحْمُودٌ، لِأَنَّهُ مِنْهُ، وَتَفْضُلٌ. وَأَصُولُ النِّعَمِ كُلُّهَا مِنْهُ^(٨). وَالْمَنْ مِّنَ الْخَلْقِ، تَقْرِيعٌ وَتَوْبِيخٌ. قوله:
﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ﴾ الآية^(٩).

(١) إبراهيم: ١١.

(٢) ص: ٣٩.

(٣) التبيان: ٩: ٣٥٥.

(٤) (الغرض) ساقطة من (أ).

(٥) في (أ): الأزر.

(٦) في (ش): أخرى. وهو تحريف.

(٧) في (ش): تغلب. بالتاء المثناة من فوق بعدها غين معجمة. وهو تصحيف.

(٨) في (ش) و(ك) و(هـ): منه. بالهاء غير المنقوطة.

(٩) الحجرات: ١٧.

قوله - سُبْحَانَهُ - ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾^(١).

المراد - هاهنا - سِعةٌ مَقْدُورَاتِهِ.

وقال ابنُ عباسٍ^(٢)، ومجاهدٌ^(٣)، والضَّحَّاكُ^(٤): أي: عَظَمَتُهُ.

ويقال: أي: لا تخافونَ اللهَ^(٥) تعظيماً، وتوقيراً.

قال أبو ذؤيبٍ^(٦):

إِذَا لَسَعَتَهُ الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسَعَهَا / ٤٦ / وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبٍ وَكَابِلٍ^(٧)

النَّابِغَةُ^(٨):

تَحَلَّتُهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ وَدِينُهُمْ قَوْمٌ فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ الْعَوَائِبِ

(١) نوح: ١٣.

(٢) جامع البيان: ٢٩: ٩٤. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٦١. الجامع لأحكام القرآن: ١٨: ٣٠٣ في أحد الأقوال.

(٣) جامع البيان: ٢٩: ٩٤. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٦١. الجامع لأحكام القرآن: ١٨: ٣٠٣.

(٤) جامع البيان: ٢٩: ٩٤. الجامع لأحكام القرآن: ١٨: ٣٠٣.

(٥) في (ش): الله. من دون حرف الجر (الباء).

(٦) ديوان الهذليين: ق ١: ١٤٣.

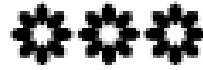
(٧) في الديوان: خالفها. بالخاء المعجمة. وإشارة إلى الرواية المطابقة لرواية كتابنا هذا: وفيه أيضاً: نُوبٌ عَوَائِلٌ.

لم يَرْجُ: لم يَحْتَسِ، لم يَحْتَفِ. الثُّوبُ: التي تنوب، أي: تهيء وتذهبُ.

(٨) ديوان النابغة الذبياني: ٤٧.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾^(١).

قال ابن عباس^(٢): جَدُّ رَبِّنَا، عَظَمْتُهُ. وهذا كقوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾^(٣)، وكقوله^(٤): ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾^(٥)، وكقوله^(٦): ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾^(٧). فتكون هذه زيادات.



(١) الجن: ٣.

(٢) جامع البيان: ٢٩: ١٠٢. وفيه: عن ابن عباس في قوله: ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ يقول: فعلُهُ، وأمرُهُ، وقُدْرَتُهُ. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٦٨. وفيه: تعالی قدرُهُ رَبِّنَا. وفي الجامع لأحكام القرآن: وقال ابن عباس: قدرُهُ.

(٣) الفاتحة: ١.

(٤) في (ح): قوله.

(٥) الرحمن: ٧٨.

(٦) في (ح): قوله.

(٧) الرحمن: ٢٧.

فصل [- ٤٣ -]

[في مسائل متفرقة]

قوله - تعالى - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾^(١) ، وقوله : ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾^(٢) .

الاستحياء: الانقياض عن الشيء في اللسان. فتأويله ما قال المفضل^(٣) :
معناه لا يمتنع.

وقال غيره^(٤) : لا يترك.

وقال جماعة^(٥) : لا^(٦) يخشى. لأن «يستحي»^(٧) ، جاء بمعنى قوله:

(١) البقرة: ٢٦.

(٢) الأحزاب: ٥٣.

(٣) القول في مجمع البيان: ١: ٦٧ من دون عزو. وكذا في الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٤٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٤٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ١: ٢٤٢.

(٦) (لا) ساقطة من (أ).

(٧) «لأن يستحي» ساقطة من (أ).

﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾^(١).

قوله - مُبْحَاثُهُ -: ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾^(٢).

أي: ليس الله، بساهٍ عن كتابان الشهادة التي لَزِمَتْكُمْ^(٣) القيام بها لله - تعالى
- أعني أوَّل^(٤) الآية: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾^(٥).

وقيل: إنَّهُ على عُمومِهِ. والمعنى: إنَّهُ لا يخفى عليه شيءٌ من المعلومات، لا
صغيرها، ولا كبيرها، فكونوا على حذرٍ، من الجزاءِ على السيئاتِ، بما تستحقُّونهُ
من العقاب.

قوله - مُبْحَاثُهُ -: ﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾^(٦).

والدُّكْرُ بعدَ النِّسيانِ؟

(١) الأحزاب: ٣٧.

(٢) البقرة: ١٤.

(٣) في (أ): لم نكم.

(٤) في (هـ): الأوَّل. مع الألف واللام.

(٥) البقرة: ١٤٠.

(٦) البقرة: ١٥٢.

قلنا: الذُّكْرُ، حضورُ المعنى في النَّفسِ. ومعناه: فاذكروني بطاعتي، اذْكُرْكُمْ [برحمتي، اذكروني بالشكر، اذْكُرْكُمْ] ^(١) بالثَّوَابِ. اذكروني بالدُّعَاءِ، اذْكُرْكُمْ بالإجابة، ونحو ذلك.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ ^(٢).

قال الطوسي ^(٣): نُكَلِّمُكَ بِهِ. كما يقال: أنشأ زيد الكتاب، وتلاه عمرو.

وقال الجبائي: يَتْلُوهُ عَلَيْكَ ^(٤) بأمرنا جبريل.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ ^(٥).

اختلفوا: هل يجوز أن يُوصَفَ اللهُ - تعالى - بأنه مُسْتَطِيعٌ، أم لا؟

فقال بعضهم: يجوز لقوله: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ

(١) ما بين المعقوفين سقطت من (ش) و(ك) و(هـ) و(أ).

(٢) آل عمران: ٥٨.

(٣) التبيان في تفسير القرآن: ٢: ٤٨١.

(٤) في (هـ): يتلوه عليك يا محمد بأمرنا جبريل.

(٥) المائدة: ١١٢.

النساء^(١).

وقال آخرون: لا يجوز. لأنه يؤهم^(٢) الحال.

قوله - سبحانه -: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾^(٣).

اللَّعْنَةُ: الإِبْعَادُ من رَحْمَةِ اللَّهِ، عِقَاباً على مَعْصِيَتِهِ. فلذلك لا يجوزُ لَعْنُ البهائمِ، ولا مَنْ لَيْسَ بِعَاقِلٍ من المجانين، والأطفالِ، لأنه سُؤالُ العُقُوبَةِ، لمن لا يَسْتَحِقُّهَا. فمن لَعَنَ حَيَّةً، أو عَقْرَباً، أو نحو ذلك، ممَّا^(٤) لا مَعْصِيَةَ لَهُ، فقد أَخْطَأَ، لأنه سَأَلَ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - ما لا يَجُوزُ في حُكْمِهِ.

فإن قَصَدَ - بذلك - الإِبْعَادَ - لا على وَجْهِ العُقُوبَةِ - كان ذلك جائزاً.

قوله - سبحانه -: ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾^(٥).

سأل عمرو بن عبيد الباقر - عليه السلام - فقال^(٦): غَضَبُ اللَّهِ، عِقَابُهُ

(١) المائدة: ١١٢.

(٢) في (أ): يريهم. وهو تحريف.

(٣) النساء: ٥٢.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): يَمُنْ.

(٥) طه: ٨١.

(٦) في (ش): يقال. يباء المضارعة المثناة من تحت. وهو تحريف.

يا عمرو. وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ يُغَيِّرُهُ^(١) شَيْءٌ، فَقَدْ كَفَرَ. إِنَّمَا يُغَضِبُ الْمَخْلُوقَ الَّذِي يَأْتِيهِ الشَّيْءُ، وَيَسْتَفِزُّهُ، وَيُغَيِّرُهُ عَنِ الْحَالِ، الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا إِلَى غَيْرِهَا، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يُغَيِّرُهُ الْغَضَبُ، وَالرِّضَاءُ، وَيَزُولُ مِنْ هَذَا، إِلَى هَذَا، فَقَدْ وَصَفَهُ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِ.

وَسُئِلَ الصَّادِقُ^(٢) - عَلَيْهِ السَّلَامُ - هَلْ لِلَّهِ رِضًا، وَسُخْطٌ؟

فَقَالَ: نَعَمْ. وَلَكِنْ لَيْسَ ذَلِكَ مِمَّا يُوجَدُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ. غَضِبُ اللَّهُ، عِقَابُهُ، وَرِضَاُهُ، ثَوَابُهُ.



قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾^(٣).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٤)، وَمَجَاهِدٌ^(٥)، وَقَتَادَةُ^(٦)، وَالسُّدِّيُّ^(٧)، وَابْنُ زَيْدٍ^(٨) مَعْنَى

(١) فِي (أ): يَضْرَهُ. بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةِ بَعْدَهَا رَاءٌ مُشَدَّدَةٌ.

(٢) الْكَافِي: ١: ١١٠. التَّوْحِيدُ: ١٧٠. أَمْوَالِي الصَّدُوقِ: ٢٤٧.

(٣) الرَّحْرَفُ: ٥٥.

(٤) جَامِعُ الْبَيَانِ: ٢٥: ٨٤. أَيْضًا: مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٥: ٥٢. الدَّرُ الْمَشُورُ: ٧: ٣٨٤. الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ

الْقُرْآنِ: ١٦: ١٠١ بِرَوَايَةِ الضَّحَّاكِ.

(٥) جَامِعُ الْبَيَانِ: ٢٥: ٨٤. أَيْضًا: مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٥: ٥٢. الدَّرُ الْمَشُورُ: ٧: ٣٨٤.

(٦) جَامِعُ الْبَيَانِ: ٢٥: ٨٤.

(٧) جَامِعُ الْبَيَانِ: ٢٥: ٨٤.

(٨) جَامِعُ الْبَيَانِ: ٢٥: ٨٤.

«آسَفُونَا»: أَغْضَبُونَا. لَأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يَغْضَبُ عَلَى الْعَصَاةِ. بِمَعْنَى: أَنَّهُ يُرِيدُ عِقَابَهُمْ.

وَالْأَسْفُ - فِي الْأَصْلِ - الْغَيْظُ مِنَ الْمُغْتَمِّ. إِلَّا أَنَّهُ - هَاهُنَا - بِمَعْنَى الْغَضَبِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ﴾^(١).

قَالَ ثَعْلَبُ^(٢): مَعْنَاهُ: يَا حَسْرَةً عَلَيْهِمْ، لَا عَلَيْنَا، وَلَا عَلَى رُسُلِنَا.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾^(٣).

إِنَّمَا سَمِيَ «الْهَوَى» إِلَهًا مِنْ حَيْثُ أَنَّ الْعَاصِيَ، يَتَّبِعُ هَوَاهُ، وَيَتْرَكِبُ مَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ^(٤): مَعْنَاهُ: اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ. لَأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى^(٥) - يُعْرِفُ بِحُجَّةٍ

(١) يس: ٣٠.

(٢) في (ك): ثعلب. بالفين المعجمة. وهو تصحيف.

(٣) الجاثية: ٢٣.

(٤) مجمع البيان: ٥: ٧٨.

(٥) (تعالى) ساقطة من (أ) و(ح).

العقل، لا^(١) بالهوى.

وقال ابن عباس^(٢): معناه^(٣): أفرأيت من اتخذ دينه بهواً، لأنه يتخذهُ بلا برهان.

وقال ابن جبير^(٤): كانوا يعبدون «العزى»، فإذا وجدوا ما هو أحسن منه، طرَحُوا الأوَّلَ، وعبدُوا الآخرَ.

قوله - سُبحَانَهُ - : ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(٥).

أي: أخبر بها^(٦) يقوم مقام الشهادة من الدلالات الواضحة، والحجج اللائحة، على وُحدانيته من عجب خلقه، ولطيف حكمته، فيما خلق.

ويقال: «شَهِدَ اللهُ» أي: عَلِمَ اللهُ.

(١) في (أ): إلّا.

(٢) جامع البيان: ٢٥: ١٥٠. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٧٨. الدر المشور: ٧: ٤٢٦.

(٣) (معناه) سقطت من (ح).

(٤) جامع البيان: ٢٥: ١٥٠. أيضاً مجمع البيان: ٥: ٧٨. بلفظ مختلف. الدر المشور: ٧: ٤٢٦.

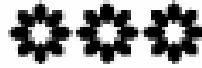
الجامع لأحكام القرآن: ١٦: ١٦٧.

(٥) آل عمران: ١٨.

(٦) في (أ): بها.

وقال^(١) أبو عبيدة^(٢): أي: قضى الله أنه لا إله إلا هو، والملائكة، وأولو العلم.

وقال الحسن^(٣)، وعمرو بن عبيد: إن في الآية تقديماً، وتأخيراً، وتقديرها: شَهِدَ اللهُ: أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَائِماً بِالْقِسْطِ. أي: بِالْعَدْلِ. وشَهِدَ الْمَلَائِكَةُ: أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَائِماً بِالْقِسْطِ، وشَهِدَ^(٤) أُولُو الْعِلْمِ: أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَائِماً بِالْقِسْطِ. وَأُولُو الْعِلْمِ، هُمُ^(٥) الْمُؤْمِنُونَ.



(١) في (ك): يقال. بصيغة المضارع المبني للمجهول.

(٢) مجاز القرآن: ١: ٨٩.

(٣) مجمع البيان: ١: ٤٢٠، الدر المنثور: ٢: ١٦٦.

(٤) في (هـ): شهدوا.

(٥) في النسخ جميعها: هو. والمقام يقتضي الضمير (هم).

فصل [- ٤٤ -]

[في مسائل متفرقة]

قوله - تعالى - : ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(١).

الشأن: الأمر العظيم. فمن شأنه أن يغفر ذنباً، ويُفرج كرباً، ويرفع قوماً، ويضع آخرين.

وقيل: شأنه أن يخرج - كل يوم - ثلاثة عساكر: عسكر من الأصلاب إلى الأرحام، وعسكر من الأرحام إلى الأرض، وعسكر من الأرض إلى القبور، ثم يرتحلون^(٢) - جميعاً - إلى الله.

قوله - سبحانه - : ﴿سَتَفْرُغُ لَكُمْ آيَةُ الثَّقَلَانِ﴾^(٣).

معناه: سنعمل عمل مجرد، من غير شاغل. وأصل «الفراغ»: الخلق. يقال:

(١) الرحمن: ٢٩.

(٢) في (أ): يرتحلون. بالجيم المعجمة من تحت.

(٣) الرحمن: ٣١.

دِرْهَمٌ مَفْرُوعٌ: مَصْبُوبٌ فِي الْقَائِبِ. وَخَرَبَةٌ فَرِيغَةٌ: وَاسِعَةٌ. وَقَرَعَ الْإِنَاءُ، وَنَحْوُهُ.
ويقال: أَي: سَتَفْرَعُ لَكُمْ مِمَّا وَعَدْنَاكُمْ مِنَ الثَّوَابِ، وَأَوْعَدْنَاكُمْ مِنْ
العقابِ.

ويقال: هَذَا كَقَوْلِكَ - لِلرَّجُلِ (١)، وَأَنْتَ غَيْرُ مَشْغُولٍ -: سَأَفْرَعُ لِلنَّظَرِ (٢) فِي
أَمْرِكُمْ.

قال جرير:

يَبِي عَبْدَةَ إِي قَرَعْتُ إِلَيْكُمْ وَقَدْ طَالَ رَجْرِي مَا تَهَاكُم تَقْدُمِي (٣)

قوله - سُبْحَانَهُ - فِي «الْفَاتِحَةِ»: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وَ﴿مَالِكِ يَوْمِ
الدِّينِ﴾ (٤). وَلَمْ يَجُزْ فِي سُورَةِ «النَّاسِ» (٥): مَلِكِ يَوْمِ النَّاسِ. لِأَنَّ صِفَةَ «مَلِكِ»،
يَدُلُّ عَلَى تَدْبِيرٍ مَنْ يَشْعُرُ بِالتَّدْبِيرِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ «مَالِكُ». لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ:
مَالِكُ الثَّوْبِ. وَلَا يَجُوزُ: أَنْ يُقَالَ: مَلِكُ الثَّوْبِ. وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: مَلِكُ الرُّومِ.

(١) فِي (أ): الرَّجُلِ. مِنْ دُونَ حَرْفِ الْجَرِّ (اللام).

(٢) فِي (أ): النَّظَرِ. مِنْ دُونَ حَرْفِ الْجَرِّ (اللام).

(٣) دِيوَانُ جَرِيرٍ: ١: ٢٧١. وَفِيهِ: بَنِي عَبْدِ عَمْرِو قَدْ... لَوَّهَاكُمْ.

(٤) الْفَاتِحَةُ: ٤. قَرَأَ عَاصِمٌ وَالْكَسَائِيُّ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بِالْأَلْفِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: «مَلِكِ» بِغَيْرِ

الْأَلْفِ. (السبعة فِي الْقِرَاءَاتِ: ١٠٤).

(٥) النَّاسِ: الْآيَةُ: ٢: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾.

وَلَا يَجُوزُ: مَالِكٌ.

فَجَرَتْ^(١) - في الفاتحة - على معنى: السَمَلِكِ في يَوْمِ الْجَزَاءِ، وَمَالِكِ الْجَزَاءِ.
وَجَرَتْ في سورة^(٢) النَّاسِ على: مَلِكِ تَدْبِيرٍ مَنْ يَعْقِلُ التَّدْبِيرَ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾^(٣).

إنَّهَا خُصَّ بِأَنَّهُ «مَلِكُ النَّاسِ»، مَعَ أَنَّهُ مَلِكُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، لِلْبَيَانِ. لِأَنَّ مَدْبِرَ
جَمِيعِ النَّاسِ، قَادِرٌ أَنْ يُعِيدَهُمْ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذُوا مِنْهُ. مَعَ أَنَّهُ أَحَقُّ بِالتَّعْظِيمِ مِنْ
مَلُوكِ النَّاسِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(٤).

قال مجاهد^(٥)، والرَّبِيعُ^(٦)، والزَّجَّاجُ^(٧): «الْقَيُّومُ»: القائمُ بتدبيرِ عبادِهِ، فيما

(١) في (هـ): فَجَرَى.

(٢) في (هـ): صورة. الصاد المهملة.

(٣) الناس: ٢.

(٤) البقرة: ٢٥٥.

(٥) جامع البيان: ٣: ٦. الدر المنثور: ٢: ١٥.

(٦) جامع البيان: ٣: ٦، الدر المنثور: ٢: ١٥.

(٧) معاني القرآن وإعرابه: ١: ٣٣٣.

يُضْرَهُمْ، وينفعهم، كقوله^(١): ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾^(٢)، وقوله: ﴿قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾^(٣).

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٤).

اللُّطَافَةُ: من صفاتِ الجواهر، لأنَّه الجزءُ المنفرد^(٥)، والرَّقِيقُ، وأنه بخلافِ الكثيفِ.

والمعنى الصَّحِيحُ فِيهِ: إِنَّهُ لَطِيفٌ بِالتَّدْبِيرِ، وَالصُّنْعِ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^(٦).

سُمِّيَ نَفْسَهُ «وَكِيلًا»، مَعَ أَنَّهُ مَالِكُ الْأَشْيَاءِ، لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ مَنَافِعُهُ لغيرِهِ، لَا سِتْحَالَةَ الْمَنَافِعِ عَلَيْهِ، وَالْمَضَارَّ، صَحَّتِ الصِّفَةُ لَهُ، مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ.

(١) في (هـ) و(ح): لقوله. مع حرف الجر (اللام).

(٢) آل عمران: ١٨.

(٣) الرعد: ٣٥.

(٤) الأنعام: ١٠٣.

(٥) في (أ) المنفرد. بثناء المثناة من فوق بين الميم والفاء.

(٦) هود: ١٢.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾^(١).

و«الغالبُ»، الذي يعلو غيره، لمنعه بنفسه، ما يصيرُ إليه في قبضته.

«وَاللَّهُ غَالِبٌ كُلِّ شَيْءٍ»، بمعنى: أنه غالبٌ عليه لدُخُولِهِ في مقدوره، ولا يُمكنُهُ الخروجُ منه.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(٢).

«الْأَعْلَى»، معناه: القادرُ الذي لا قادرَ أقدرُ منه. وصفةُ «الأعلى» منقولةٌ إلى معنى «الأقْدَر»، حتى لو بطلَ معنى علوِ المكان، لم يبطلْ أن يُفهمَ تحقيقُها^(٣). إذ هيَ غَيْرُ متضمنةٍ بغيرها. ولم يُنقلَ صفةُ «الأرفع»، وإنما يعرفُ في رفعةِ المكان.

وأما قولُ فرعونَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾^(٤)، فإنه كَذِبٌ في دعواه.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ﴾^(٥).

(١) يوسف: ٢١.

(٢) الأعلى: ١.

(٣) في (أ): تحقيقاً.

(٤) النازعات: ٢٤.

(٥) التوبة: ٣٢.

الإباء، هو المنع، لا الكراهية.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾^(١).

هو الذي يقصّر مقدار ما يكون من غيره، عما يكون منه. وهو على ضربين: أحدهما: عظيم الشخص، [و] ^(٢) الآخر: عظيم الشأن.

ومعناه - في صفة الله - : إنَّ كُلَّ شَيْءٍ سِوَاهُ، مقصّرٌ عن صفته بأنه قادرٌ فيما يصحُّ أن يكون مقدوراً، وعالمٌ بحيث لا يخفى عليه شيءٌ. وغنيٌ بنفسه عن كلِّ شيءٍ، لا تجوز ^(٣) عليه الحاجة.

قوله - سُبْحَانَهُ - : ﴿ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾^(٤).

لفظة «إله»^(٥)، إسمٌ جنسي، مثل قولنا: بيتٌ.

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من (هـ) و(ح).

(٣) في (ش) و(ك) و(أ) و(ح): يجوز، بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٤) الإخلاص: ١.

(٥) في (أ): إنه. بالنون.

ولفظه «الله»، اسمٌ غالبٌ له - تعالى - مثل «البيت» للكعبة.

والحقيقة - فيها - أنه من يستحقُّ العبادة، لكونه قادراً على خلقٍ من يُنعمُ عليه، فيستحقُّ عليه العبادة.

وقوله: ﴿وَيَذَرِكْ وَأَهْتِكْ﴾^(١)، مجازٌ. وإنما قال ذلك، لأن الكفار كانوا يعبدونها^(٢). وهم إن أخطأوا في العبادة، فما أخطأوا في اللفظ.

فيقال: إنه - تعالى - إلهٌ فيما لم يزل، ولا يزال، وإلهُ الجهاد، والعقلاء.

ولا يجوز أن يكون - تعالى - إلهاً للأعراض^(٣)، ولا للجوهر الواحد، لاستحالة أن ينعمَ عليها ما يستحقُّ به العبادة، وإنما هو إلهُ الأجسام: الحيوانُ / ٤٨ / منها، والجهاد.

قوله - سبحانه -: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ﴾^(٤).

معناه: إن تنصروا دينه بالدعاء إليه. وأضافه إلى نفسه، تعظيماً، كما قال:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾^(٥).

(١) الأعراف: ١٢٧.

(٢) في (أ): يعبدون.

(٣) في (هـ): الأعراض. من دون حرف الجر (اللام).

(٤) محمد: ٧.

(٥) البقرة: ٢٤٥. الحديد: ١١.

وقيل: معنى «تَنْصُرُوا»: تَدْفَعُوا عن نبيِّه [صلى الله عليه وآله] ^(١)
«يَنْصُرْكُمْ» ^(٢). أي: يدفعُ عنكم أعداءكم - في الدِّينِ - عَاجِلًا، وَعَذَابَ النَّارِ،
أَجَلًا ^(٣).

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿بَلِ اللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ ^(٤).

مع أنه لا يُعْتَدُ بنصرِ [غيرِ] ^(٥) الله، مع نُصْرَتِهِ، فمعناه ^(٦): إنَّه إن اعْتَدَّ
بنصرة غيرِ الله، فنُصرةُ الله، خيرٌ منها، لأنَّه لا يَجُوزُ أنْ يُغْلَبَ، وغيرهُ يَجُوزُ أنْ
يُغْلَبَ. وإنْ نَصَرَ، فالثقةُ بِنُصرةِ ^(٧) الله تحصلُ ^(٨)، ولا تحصلُ ^(٩) الثقةُ بنُصرةِ غيره.

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من (ح).

(٢) محمَّد: ٧.

(٣) (أَجَلًا) ساقطة من (أ).

(٤) آل عمران: ١٥٠.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٦) العبارة: «فمعناه... لأنه» ساقطة من (أ).

(٧) في (ك) و(ح): بنصر. من دون التاء المتحرِّكة.

(٨) في (ش): يحصل. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٩) في (ش): يحصل. بياء المضارعة المثناة من تحت.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(١).

وقد ينصرُ المؤمنونَ بعضهم بعضاً، وبعضُ المشركينَ بعضاً؟

قلنا: إنَّ نصرَ بعضِ المؤمنينَ بعضاً من عندِ الله، لأنه بمعونته، وحُسنِ توفيقه. وأما نصرُ المشركينَ بعضهم ببعضٍ^(٢)، فلا يُعتدُّ به، لأنه يخذلانِ الله من حيثُ أنَّ عاقبتَهُ إلى شرِّ مآلٍ من العقابِ الدائمِ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾^(٣).

أي: بالمعونة التي تُوجبُ الغلبةَ، لأنَّ الله - تعالى - يقدرُ على إعطائهم ما يغلبونَ به كلَّ مَنْ نازعهم، ويقلعونَ كلَّ من ناوَاهم.

ومن كانَ اللهُ ناصِراً^(٤) بالحجَّةِ، لم يغلبه أحدٌ، وإذا غلبَ بالحرِبِ، فليضربِ من المحنة^(٥)، وشدةِ التَّكليفِ. ولو هزمَ قومٌ من المؤمنينَ، لجازَّ أن يقالَ: همُ المنصُورونَ^(٦). أي: بالحجَّةِ.

(١) آل عمران: ١٢٦. الأنفال: ١٠.

(٢) في (أ): بعض. من دون حرف الجرِّ (الباء).

(٣) آل عمران: ١٦٠.

(٤) في (ك): ناضره. بالضاد المعجمة.

(٥) في (أ): المحية، بالباء الموحدة من تحت.

(٦) في (ك): المنصرون.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١).

لم يقل: الله نورٌ. ولو كان نوراً - في الحقيقة - لم يكن - للإضافة - معنى. لأن ما كان نوراً في الحقيقة، فهو نورٌ لأي^(٢) شيء كان.

ولو أراد على معنى الضياء، لوجب ألا يكون في شيء من السماوات، والأرض ظلمة بحال، لأنه دائم لا يزول. ولوجب^(٣) أن يكون الاستضاءة^(٤) به دون الشمس.

ويبين أنه خالق النور، فقال: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾^(٥)، فكيف يكون نوراً مع كون النور مخلوقاً.

وقال في آخرها: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾^(٦)، فلو أراد - بذلك - الضياء، لما كان له معنى.

وجعل لنوره مثلاً، وهو المصباح في ضعفه، وكيف يكون نوراً، والأرض والسما في ضوئها.

(١) النور: ٣٥.

(٢) في (أ): لا شيء.

(٣) في (ش): وأوجب.

(٤) في (ك): الاستضاءة. بالطاء المعجمة ومن دون التاء المتحركة.

(٥) الأنعام: ١.

(٦) النور: ٣٥.

ولو كان نوراً، لوجب أن يكون ذا أجزاء كثيرة، لأنَّ النورَ، هو المضيءُ،
والمضيءُ لا يكون إلا بأن ينفصل منه أجزاء، يُضيءُ غيرَهُ بتلك الأجزاء.

ولو كان نوراً، لم يخلُ من أن تحجبهُ الظلمةُ، والحجابُ، أو لا يحجبهُ شيءٌ.
فإن لم يحجبهُ شيءٌ، وجب^(١) أن تكون السَّمَاوَاتُ، والأَرْضُ في جميع الأوقاتِ،
مضيئةً. وإن حجبهُ حجابٌ، أو منعه مانعٌ، كان كسائر الأنوارِ.

ثمَّ إنَّ ذلك تحقيقُ قولِ الثنويَّةِ^(٢) في زعمهم بالأصلين: النورِ،
والظلمةِ.

إبنُ عباسٍ^(٣)، والزَّجَّاجُ^(٤): «اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»: مدبِّرُ
أمرهما.

الشَّدي^(٥): بنوره أضاءتِ السَّمَاءِ، والأَرْضِ.

الضَّحَّاكُ^(٦): بِهِ تَكُونُ الْأَشْيَاءُ.

(١) في (ح): فيجب.

(٢) الملل والنحل: ١: ٦١٨.

(٣) جامع البيان: ١٨: ١٣٥. أيضاً: مجمع البيان: ٤: ١٤٢. باختلاف اللَّفْظِ. الدر المنثور: ٦: ١٩٦.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ٤: ٤٣.

(٥) في جامع البيان: ١٨: ١٣٥. وردَّ هذا القول بلا نسبة إلى أحد.

(٦) في مجمع البيان: ٤: ١٤٢ نسب إلى الضَّحَّاكِ قوله: «اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» بالشمسِ،
والقمرِ، والنجومِ.

ويقال: اللهُ واحدٌ في سمائه، وأرضه، ويسمى الفردُ: نوراً.

قال الرضا^(١) - عليه السلام - هادٍ لأهل السماء، وهادٍ لأهل الأرض.



(١) الكافي: ١: ١١٥. التوحيد: ١٥٥. وفي الاحتجاج: ٢: ٢٥١ معزواً إلى علي بن محمد الهادي

(عليه السلام) باختلاف يسير في اللفظ.

فصل [-٤٥-]

[في الرؤية]

قوله - تعالى - : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾^(١).

تمدَّح - سبحانه -^(٢) بالإجماع، وبما يقتضيه سياق الآية - بنفي إدراك الأبصار الذي هو رؤيتها^(٣).

وهذا التمدُّح راجع إلى ذاته، لأنَّ الإدراك، ليس بمعنى، فيتمدَّح بالأفعال على سبيل التفضيل^(٤)، وكلُّ ما تمدَّح بنفيه - على هذا الوجه - لا يكون إثباته إلا نقصاً، وموجباً ذمّاً. وهو يتعالى عمّا يوجبُ الذمَّ، والنقص. ألا ترى أنه - تعالى - لما تمدَّح بنفي الصَّاحبة، والولد، والسنة، والنوم في قوله: ﴿ مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾^(٥)، ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾^(٦)، لم يجرَّ إثباتُ شيءٍ من ذلك

(١) الأنعام: ١٠٣.

(٢) سبحانه) سقطت من (ح).

(٣) في (هـ): رثيها.

(٤) في (أ): التفضيل. بالصاد المهملة.

(٥) الجن: ٣.

(٦) البقرة: ٢٥٥.

في حالٍ من الأحوال، لاقتضائه^(١) الذَّم، والنَّقْص، كذلك - هاهنا - يوضِّح ذلك أن قبل الآية: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ذَلِكَُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢).

فتمدَّح - سبحانه - بما تَضَمَّنَتْهُ هذه الآياتُ مِنْ صِفَاتِهِ على حدِّ واحدٍ، لا يَخْتَلَفُ فِيهِ الحَالُ، / ٤٩ / وكلُّ ما كَانَ نَفِيَهُ مدْحاً، فلا يَكُونُ إثْبَاتُهُ إِلَّا ذَمًّا عِنْدَ أَهْلِ اللُّسَانِ.

الرِّضَا^(٣) - عليه السلام - لا تُدْرِكُهُ أَوْهَامُ القُلُوبِ، فَكَيْفَ تُدْرِكُهُ أَبْصَارُ العَيُونِ.

الصَّادِقُ^(٤) - عليه السلام - أَي: إِحَاطَةُ الوَهْمِ. أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٥). يُقَالُ: فَلَانَ بَصِيرًا بِالدَّرَاهِمِ، وَالثِّيَابِ، وَالجَوَارِحِ، وَالأَشْعَارِ.

(١) في (ك): لاقتضائه. بالنون الموحدة من فوق بعد الألف.

(٢) الأنعام: ١٠١ - ١٠٣.

(٣) أمالي الصدوق: ٣٦٧، مجمع البيان: ٢: ٣٤٤. بلفظ مختلف قليلاً.

(٤) الكافي: ١: ٩٨. الاحتجاج: ٢: ٧٧. التوحيد: ١١٢.

(٥) الأنعام: ١٠٤.

أبو جعفر^(١) الثاني - عليه السلام - : أوهاهُمُ القلوبُ أدقُّ من أبصارِ العيونِ .
 أنتَ قد تُدركُ بوهمِكَ البلدانَ التي لم تدخلها، ولا تُدركها^(٢) بِبَصَرِكَ . فأوهاهُمُ
 القلوبُ لا تُدركُهُ، فكيفَ تُدركُهُ الأبصارُ .
 الصَّاحِبُ^(٣) :

فقلت: فقل لي: أبا لأبصارٍ تُدركُهُ؟ فقلتُ: جَلَّ عن الإبصارِ بالقليلِ
 وأجمعوا على أنَّ النَّبيَّ^(٤) - عليه السلام -^(٥) قال: يا مَنْ يَرَى، ولا يُرَى،
 وهو بالمنظَرِ الأعلى .

وكتبَ أحمدُ بنُ إسحاقَ إلى أبي الحسن^(٦) الثالثِ - عليه السلام - يسألهُ عن
 الرؤيَةِ؟ فكتبَ جوابهُ:

ليسَ تجوزُ الرؤيَةُ ما لم يكن^(٧) بينَ الرَّائي، والمرئي هواء^(٨)، ينفذُهُ البصرُ،

(١) الكافي: ١: ٩٩ التوحيد: ١١٣ . الاحتجاج: ٢: ٢٣٨ . أمالي الصدوق: ٣٦٧ وأبو جعفر الثاني هو الإمام محمد الجواد - عليه السلام - .

(٢) في (هـ): تدركُ .

(٣) ديوان الصاحب بن عباد: ٤٠ وفيه: جَلَّ عن الإدراكِ .

(٤) التوحيد: ٤٥ في جملة خطبة له (ص) .

(٥) في (ح): صلى الله عليه وآله .

(٦) الكافي: ١: ٩٧، التوحيد: ١٠٩ . الاحتجاج: ٢: ٢٥١ وأبو الحسن الثالث هو الإمام علي بن محمد الهادي - عليه السلام - .

(٧) في (ش): تكن، بناء المضارعة المثناة من فوق .

(٨) في (ش): هو هواء .

فتمتى انقطعَ الهواء، وعَدِمَ الضياءُ، لم تصحَّ الرؤيةُ. وفي وجوبِ اتِّصالِ الضياءِ بينَ الرائي، والمرئي، هواءٌ ينفذهُ البصرُ، واللهُ تعالى عنِ الأشياءِ، فثبتَ أنَّه لا يجوزُ عليه - سبحانه - الرؤيةُ بالأبصارِ.

وقيلَ للرُّضا^(١) - عليه السلام - : إنَّ رجلاً رأى ربَّهُ في منامِهِ، فما يكونُ

ذلكَ؟

فقال: ذاكَ الرَّجُلُ، رجُلٌ لا دينَ له، إنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - لا يُرى في اليقظةِ، ولا في المنامِ، ولا في الدنيا، ولا في الآخرةِ.

أبو سعيد الواعظِ في «رجالِ الصُّوفيَّةِ»^(٢): قال أمير المؤمنين - عليه السلام - :

سلوني^(٣) قبلَ أن تفتقدوني. فقال [له]^(٤) ذعلبُ^(٥): هل رأيتَ ربَّكَ؟

فقال - عليه السلام - : ما كنتُ أعبُدُ ربًّا لم أره!

قال: كيفَ رأيتَهُ؟

قال: لم ترهُ العيونُ بمشاهدةِ العيانِ، ولكنَّ رأتهُ القلوبُ بحقائقِ الإيمانِ.

(١) أمالي الصدوق: ٥٤٦.

(٢) كتاب «رجال الصوفية» لأبي سعيد الواعظ من الكتب المفقودة، وهذه الرواية وردت في مصادر

عديدة أخرى، أنظر التوحيد: ٣٠٤ فما بعدها، وأنظر ما يأتي في هامش الرواية.

(٣) في (ش): إسألوني.

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ) و (ك).

(٥) في (ش): دغلب. وفي (هـ): ذعلب. وفي (أ): دعلب.

لا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ.

فصاح ذعلب^(١)، وخرّ مغشياً عليه^(٢).

الصَّادِقُ^(٣) - عليه السلام - وقد سأله أعرابيٌّ: هل رأيتَ ربَّكَ حينَ عبدتهُ؟

فقال - عليه السلام - لم أكنُ أعبدُ ربًّا لم أره!

فقال: كيفَ رأيتَهُ؟

قال: لم ترهُ الأبصارُ بمشاهدةِ العيانِ، بل رأتهُ القلوبُ بحقائقِ الإيمانِ،

لا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ، معروفٌ بالآياتِ، والدَّلالاتِ، منعوتٌ

بالعلاماتِ، لا يجوزُ في قضيتِهِ، هو اللهُ، لا إله إلا هو.

فقال الأعرابيُّ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٤). [شعرًا]^(٥):

(١) في (ش): دغلب. وفي (هـ): ذعلب. وفي (أ): دعلب.

(٢) هذه الرواية في الاحتجاج: ١: ٣١٢ دون ذكر اسم السائل (ذعلب). وهي في أمالي المرتضى: ١:

١٥٠ منسوبة إلى الباقر (عليه السلام) وفي أمالي الصدوق: ٣٠٥ منسوبة إلى أمير المؤمنين (عليه

السلام) والسائل فيها ذعلب. وفي الإرشاد: ١٣٣: أن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين (عليه

السلام) فقال له...

(٣) الكافي: ١: ٩٧. التوحيد: ١٠٨ عن الباقر (عليه السلام) باختلاف يسير في اللفظ أمالي

الصدوق: ٢٤٦ - ٢٤٧. الإرشاد: ١٣٣ بزيادة في اللفظ عن أمير المؤمنين (عليه السلام).

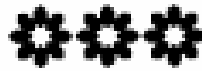
الاحتجاج: ٢: ٧٦ - ٧٧.

(٤) الأنعام: ١٢٤.

(٥) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ).

قالوا: نرى معبودنا وجأؤوا
لا يُبهر الإنسان ما يراه
ببراه إذ رآه في المكان
إذ قال^(١): «لا تُدرِكهُ الأبصارُ،
إلا إذا حــــاذاهُ أو وازاهُ
يقدرُ أن يشيرَ بالبنانِ^(٢)
الصَّاحِبُ^(٣):

لو كان محسوساً بعيني ناظرٍ
لكان ملموساً بكفِّي زائرٍ



(١) في (ك): قالوا.

(٢) لم أقف على اسم قائل الأبيات ولا مظنة أخذها.

(٣) أُخِلَّ به ديوانه بتحقيق آل ياسين.

فصل [٤٦-]

[في الرؤية]

قوله - تعالى - : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(١).

فقوله: «وَجُوهٌ»، لا يخلو^(٢) إمَّا أَنْ يُرَادَ بِهِ: الوجهُ، أو العينُ، أو الجملةُ.

فالأوَّلُ، لا يجوزُ، لأنَّ الوجهَ لا يَرى، ولا يَنْظُرُ^(٣)، ولا يكونُ رَائياً على الحقيقةِ. فَلَا يصحُّ حملُهُ على أيِّ وجهٍ، صرفت الآيةُ إليه، يدلُّ عليه أنه لا يجوزُ أن يقولَ: رآه وجهي.

ولا يجوزُ الثاني، لأنَّ العينَ، لا توصفُ بالنَّصارةِ التي هي الإشراقُ، ولأنَّ العينَ - في الحقيقةِ - ليستُ بناظرةً، لأنَّ الناظرَ، والرَّائيَ، إنما هو الجملةُ، إذ العينُ آلةٌ يَرى^(٤) بها.

فلم يبقَ إلا أن المرادَ به، الجملةُ. ويبينُ ذلك قولُهُ - في نظيره - : ﴿وَوُجُوهٌ

(١) القيامة: ٢٢، ٢٣.

(٢) في (ك): يخ.

(٣) في (ك) و(هـ) و(أ) و(ح): يتظر.

(٤) في (هـ): ترى. بناء المضارعة المثناة من فوق.

يَوْمَئِذٍ بِأَسْرَةٍ تَنْظُرُ^(١)، وَالظَّنُّ إِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى الْجَمَلَةِ، وَلَا يَصُحُّ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ، حَقِيقَةَ الْوَجْهِ، مِنْ حَيْثُ وُصِفَ بِالنَّضَارَةِ^(٢)، وَالْبُسُورِ^(٣). إِذْ ذَلِكَ جَاءَ صِفَةَ الْوَجْهِ، وَالْجَمَلَةَ، تَوْصِفُ بِذَلِكَ، يُقَالُ: فَلَانٌ عَبُوسٌ كَالِحٌ، فَهُوَ^(٤) بَسْرٌ^(٥)، وَبَسِيرٌ^(٦)، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ.

وقوله: «يومئذ»، وَالْحَصْمُ لَا يُثْبِتُ ذَلِكَ إِلَّا فِي الْجَنَّةِ، لِأَنَّهُ مِنَ الْفَضَائِلِ^(٧)، الَّتِي يَخْتَصُّ^(٨) بِهَا الْمُؤْمِنُ. وَهَاهُنَا فِي صِفَةِ الْقِيَامَةِ.

وقوله: «ناظرة»، النَّظْرُ: التَّامُّلُ، وَهُوَ لَا زَمٌّ: ﴿انظُرْ كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ^(٩)﴾، ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ^(١٠)﴾. وَقَدْ يَتَعَدَّى هَذَا بِالْجَارِ، نَحْوُ: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ^(١١)﴾، ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي

(١) القيامة: ٢٤، ٢٥.

(٢) في (ش): بالنظارة. بالنظاء المعجمة.

(٣) في (أ): البسور، بالشين المعجمة.

(٤) في (ح): وهو. مع الواو.

(٥) في (ك) و(أ) و(ح): بشر بالشين المعجمة.

(٦) في (أ) و(ح): بشير. بالشين المعجمة.

(٧) في (ش): الفضال. و(أ): الفضل.

(٨) في (ك): تختص، بالتاء المثناة من فوق.

(٩) الإسراء: ٤٨، الفرقان: ٩.

(١٠) الإسراء: ٢١.

(١١) الغاشية: ١٧.

مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ ﴿١﴾.

والانتظارُ: ﴿غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاءً﴾^(١)، ﴿وَمَا يَنْظُرُ هُوَ لِأَيِّ﴾^(٢)، حَسَانَ^(٣):

وجوهُ يومٍ بدرٍ ناظراتٌ إلى الرحمن يأتي بالفلاح
الكميتُ^(٤):

وُسُومٌ يَنْظُرُونَ إِلَى بِلَالٍ كَمَا نَظَرَ الظُّبَاءُ حَيَا النَّهَامِ
البعيثُ^(٥):

وجوهُ بهاليلِ الحجازِ على الندى إلى مالكٍ ركنِ المعارفِ ناظره^(٦)
والمهملَةُ^(٧): ﴿فَنَظِيرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾^(٨)، ﴿فَنَاطِرَةٌ / ٥٠ / بِمَ يَرْجِعُ

(١) الأعراف: ١٨٥.

(٢) الأحزاب: ٥٣.

(٣) ص: ١٥.

(٤) لم نقف عليه في ديوانه بطبعاته المتعددة. وهو في التفسير الكبير: ٣٠: ٢٢٧ من دون عزو، وشطره الثاني: إلى الرحمن تنتظر الخلاصا. وفي الأساس لعقائد الأكياس: ٨٠: يأتي بالخلاص ومن دون عزو.

(٥) أخلّ به مجموع شعره المنشور من قبل داود سلوم.

(٦) أخلّ به مجموع شعره بجمع وتحقيق ناصر حلاوي.

(٧) في (ك): الحجار. بالراء المهملَة. وفي (ك) و(هـ): ملك.

(٨) في (ك): المهملَة.

(٩) البقرة: ٢٨٠.

الْمُرْسَلُونَ^(١)، ﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ^(٢)﴾، ﴿أَنْظِرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ^(٣)﴾.

[أبا هندٍ فلا تعجل علينا] وأنظرنا نخبرك اليقيناً^(٤)

والرَّحْمَةُ: انظرُ إليَّ نظرَ الله إليك. وفلانٌ ينظر لفلانٍ. وهو حسنُ النظرِ له.

﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٥)﴾.

والإهلاكُ: نظرَ الدهرُ إلى بني فلانٍ. قال الشاعرُ^(٦):

[في قرومٍ سادةٍ من قومِهِ] نظرَ الدهرُ إليهم فابتهل^(٧)

والتَّحْدِيقُ نحوَ الشيءِ، طلباً للرؤيةِ، لأنهم يُبْتَوْنَ النَّظَرَ دونَ الرؤيةِ.

قولهم: نظرتُ إلى الهلالِ، فلم أره. وما زلتُ أنظرُ إليه، حتى رأيتُهُ، وانظرُ حتى ترى. ولو لا آتي كنتُ أنظرُ إليه، كما رأيتُهُ. ونظرتُ إليه، فوجدتُهُ جالساً.

(١) النمل: ٣٥.

(٢) الأعراف: ١٤.

(٣) الحديد: ١٣.

(٤) قاله الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم الثعلبي. انظر: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات:

٣٨٧، شرح القصائد السبع المشهورات: ق ٢: ٦٢٨ شرح القصائد العشر: ٢٣١ ومنها صدر

البيت.

(٥) آل عمران: ٧٧.

(٦) هو ليبد بن ربيعة العامري. انظر شرح ديوانه: ١٩٧. ومنه صدر البيت.

(٧) في النسخ جميعها: فاضتحلوا.

ولا يُقال: نظرتُ إلى زيدٍ متعربياً. كما يُقال: رأيتُهُ متعربياً. والله - تعالى -
رائي^(١)، ولا يُقال: ناظرٌ. لأنَّ النَّظَرَ، تَقْلِيْبُ الحَدَقَةِ الصَّحِيْحَةِ نحوَ المرثِي،
لِطَلْبِ الرُّؤْيَةِ.

ونظرتُ إليه نظراً راضٍ، ونظراً غضباناً، ونظراً شزرأً. ونظراً بمؤخرِ عينِهِ.
وقد أُحدِّدُ إليه النَّظَرَ. ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ﴾^(٢). شاعر^(٣):

نظروا إليك بأعينٍ مُخَمَّرَةٍ نظرَ التُّيُوسِ إلى شِفَارِ الجَاوِزِ
غَيْرُهُ^(٤):

ونظرةٌ ذي شُجْنٍ وَاْمَقِي إذا ما الرَّكائبُ جَاوَزْنَ مَيْلَا
و«النَّظْرُ» يتعدى بـ «إلى»، و«الرُّؤْيَةُ»، وأمثالُهَا بنفسِهَا، يُقالُ: نظرتُ
إليه، ورأيتُهُ^(٥).

قال اللهُ - تعالى -: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٦).

(١) في (ش) و(ك) و(هـ): رأى. وفي (ح): راو. بتنوين العوض.

(٢) محمَّد: ٢٠.

(٣) أمالي الصدوق: ٨٦ بلا عزو. شرح الأصول الخمسة: ٢٤٣. بلا عزو وفيه: بأعينٍ مَزْوُورَةٍ.
الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ١٢٧ في جملة أبيات معزوة إلى علي بن عبدالله بن عباس.

(٤) المفضَّلِيَّات: ٥٦، معزواً إلى بشامة بن الغدير. وفي التفسير الكبير: ٢٠: ٢٢٧ من دون عزو.

(٥) في (هـ): فرأيتَهُ.

(٦) الأعراف: ١٩٨.

وَالْقَوْلُ بِذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى مَنَاقِضَةِ قَوْلِهِ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(١)، إِذْ ذَاكَ عَمُومٌ، لَا تَخْصِيصَ فِيهِ، وَلِأَنَّهُ تَمَدَّحٌ بِهِ، كَمَا تَمَدَّحَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾^(٢).

فَهُوَ - إِذْنٌ - جَارٍ - فِي عُمُومِ الْأَوْقَاتِ - تَجْرَأُ، لِأَنَّ زَوَالَ مَا يُوجِبُ الْمَدْحَ، نَقِصٌ.

وَلَا يَجُوزُ: إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ لَهَا، لِأَنَّ التَّخْصِيصَ، لَا يَقَعُ إِلَّا بِمَا يَشْتَبِهُ الْأَمْرُ فِيهِ، فَكَيْفَ بِهَا لَا يَقْتَضِيهِ؟ وَنَمَطُ هَذِهِ الْآيَةِ، وَمَا يَتَعَقَّبُهُ، لَا يُنْبِئُ عَنْهُ، وَيُبْطِلُهُ، لِأَنَّهُ قَالَ فِي نَقِيضِهِ: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِآيِرَةٍ﴾ الْآيَةُ^(٣).

فَلَمَّا أَوْجَبَ الْكُفَّارَ خَوْفَ الْعِقَابِ، دُونَ الْمَنْعِ مِنَ الرَّؤْيَةِ، وَجِبَ أَنْ يَكُونَ مَا أَوْجَبَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ انْتِظَارُ الثَّوَابِ، دُونَ الرَّؤْيَةِ، لِيَتَشَاكَلَ الْمَعْنِيَانِ، لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنِي، وَالْكَافِرِينَ أَعْدَبُهُمْ، لَمْ يَكُنْ مَتَشَاكِلًا فِي الْمَعْنَى، بَلْ كَانَ مَعْيَا عِنْدَ الْبَلْغَاءِ.

وَقَالَ الصَّاحِبُ^(٤) بِنُ عِبَادٍ^(٥): «نَاطِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا». أَي: نَعْمَةٌ رُبُّهَا،

(١) الأنعام: ١٠٣.

(٢) الأنعام: ١٠٣.

(٣) القيامة: ٢٤.

(٤) المحيط في اللغة (مادة - إلى).

(٥) في (هـ): عبادة.

لأنَّ «الآلاء»، والنَّعمُ، وفي واحدها، أربع لغات، يقال: «أَلَى»، مثل: «قَفَا»،
و«أَلَى»، مثل: «مَعَا»، و«إِلَى»، مثل «رَمَى» و«أَلَى»، مثل: «حَسْبِي»^(١) قال
الأعشى^(٢):

أَبْيَضٌ لَا يَرْمِي الْمَرْزَالَ وَلَا يَنْقَطِعُ رَحْمًا وَلَا يَنْجُونَ إِلَّا
وَجَاءَ فِي التَّفْسِيرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٣)، وَالْحَسَنِ^(٤)، وَعَمْرٍو، وَمَجَاهِدٍ^(٥)،
وَقَتَادَةَ، وَالْأَعْمَشِ^(٦)، وَابْنِ جَرِيحٍ، وَأَبِي صَالِحٍ^(٧)، وَالضُّحَّاكِ^(٨)، وَالْكَلْبِيِّ،
وَابْنِ الْمُسَيَّبِ، وَابْنِ جُبَيْرٍ^(٩): «وَجَوْهٌ يَوْمئِذٍ نَاطِرَةٌ»، يَعْنِي: مَشْرِقَةٌ تَنْتَظِرُ^(١٠) ثَوَابَ

(١) في (ش) و(ك): جي. وفي (هـ): مطموسة. وفي (أ): حيي.

(٢) ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس): ٢٣٥.

(٣) مجمع البيان: ٥: ٣٩٧.

(٤) جامع البيان: ٢٩: ١٩٢. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٩٧-٣٩٨.

(٥) جامع البيان: ٢٩: ١٩٢. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ٣٩٧، ٣٩٨. الدر المنثور: ٨: ٣٦٠. رسائل

الجاحظ الكلامية (رسالة الرد على المشبهة): ٢٣٢ الجامع لأحكام القرآن: ١٩: ١٠٩.

(٦) جامع البيان: ٢٩: ١٩٣.

(٧) جامع البيان: ٢٩: ١٩٣. الدر المنثور: ٨: ٣٦٠. رسائل الجاحظ الكلامية (رسالة الرد على

المشبهة): ٢٣٢.

(٨) مجمع البيان: ٥: ٣٩٨.

(٩) مجمع البيان: ٥: ٣٩٨.

(١٠) في (ك) و(أ): ينتظر: يباء المضارعة المثناة من تحت.

ربّها. وهو المرويُّ عن النَّبِيِّ^(١) - عليه السلام -.

وقال أمير المؤمنين^(٢) - عليه السلام - : ينظرونَ إليه في الآخرة، كما ينظرونَ

في الدنيا.



(١) الاحتجاج: ٢: ١٩١ مروياً بلفظه عن الرضا (عليه السلام) وكذلك في أمالي الصدوق: ٣٦٧

والتوحيد: ١١٦ وفي مجمع البيان: ٥: ٣٩٨: وهو المرويُّ عن علي (عليه السلام).

(٢) الاحتجاج: ٢: ٢١٥.

فصل [-٤٧-]

[في الرؤية]

قوله - تعالى -: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾^(١).

ليس في مسألة الشيء^(٢) [دلالة]^(٣) على صحّة وقوعه، ولا جوازه، لأنّ السائل، يسأل عن الجائز، والمحال، مع العلم، وفقد العلم، لأغراض مختلفة.

ثمّ أنّه سأل لقومه، بعد ما أجابهم. فلم يرتدعوا، فاختر السبعين الذين حضروا الميقات، ليكون سؤاله بمحضّر منهم، قوله: ﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾^(٥)، وقوله: ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) في (ش): الشيء. وفي (ح): الشيء.

(٣) ما بين المعقوفين مطموسة في (ش).

(٤) النساء: ١٥٣.

(٥) البقرة: ٥٥.

رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِيَّايَ أَتَمَّلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الشُّفَهَاءُ مِنَّا^(١).

إضافة ذلك إلى الشُّفَهَاءِ ، يدلُّ على أنَّه كانَ بسببهم ، فإنَّهم^(٢) سألوهُ ما لا يجوزُ عليه، وقال: «أَرِنِي أَنْظُرُ إِلَيْكَ». والنَّظَرُ غيرُ الرُّؤْيَةِ.

ويقال: إنَّ موسى إنَّما سأل رَبَّهُ أن يُعَلِّمَهُ [نَفْسَهُ]^(٣) ضرورةً بإظهار بعضِ أعلامِ الآخرةِ التي تُضطرُّ إلى المعرفةِ، ويستغني^(٤) عن الاستدلالِ. فتزولُ عنه الدَّواعي، والشُّكوكُ، والشُّبهاتُ، كما سأل إبراهيمُ أن يُرِيهُ كيف يُجيبِي الموتى.

/ ٥١ / والسؤالُ، وإن وقع بلفظِ الرُّؤْيَةِ، فإنَّ الرُّؤْيَةَ تُفيدُ العِلْمَ، كما تُفيدُ الإدراكَ بالبصرِ، فقال له: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾^(٥) أي: لن تَعَلِّمَنِي على هذا الوجهِ الَّذِي التَمَسْتَهُ^(٦) مِنِّي، وأَنَّهُ أَجَابَهُ^(٧) اللهُ - تعالى - بأنَّهُ لا يراهُ - بلفظِ مُحْكَمٍ ظاهِرٍ حَلِيِّ، لا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ، عامٌّ لا تخصِّصَ فيه.

(١) الأعراف: ١٥٥.

(٢) في (ك) و(هـ) و(أ): وإيَّهم. مع الواو.

(٣) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش).

(٤) في (ج): تستغني. بقاء المضارعة المثناة من فوق.

(٥) الأعراف: ١٤٣.

(٦) في (أ): التمسُّ.

(٧) في (ك): إجابة بالتاء المتحركة المنقوطة.

﴿لَنْ تَرَانِي﴾ معناه: لا تراني أبداً. لأنَّ «لَنْ» للتأييد، قوله: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾^(١)، وقوله: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾^(٢).

ومعلوم أنه إذا لم يره موسى - عليه السلام - فلا مَطْمَعَ لغيره.

والآية بالنفي، أولى من الإثبات، وأنه عُلِّقَ رُؤْيَتُهُ بما يستحيلُ كَوْنُهُ. والشَّيْءُ إذا عُلِّقَ كَوْنُهُ بما يستحيلُ حُصُولُهُ، اسْتَحَالَ، كقولِهِ في الكَفَرَةِ: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾^(٣).

فكذلك لما عُلِّقَ رُؤْيَتُهُ بما يستحيلُ كَوْنُهُ - وهو استقرارُ الجبلِ في حالِ الدَّكَّةِ - إذ محالٌ سكونُ الشَّيْءِ في حالِ تحرُّكِه^(٤)، وذلك يُوجِبُ استحالةَ رُؤْيَتِهِ، فلما اندكَّ الجبلُ عند سُؤالِهِ ذلك، كان فيه غايةُ الإنكارِ، إذ كان ذلك مما أُوْعِدَ بأنه يكادُ أن يحدُثَ عندَ رَعْمِهِمْ: أنْ لَهِ وَلَدًا، قوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾^(٥).

ويَبَيِّنُ أنَّ القولَ بالرُّؤْيَةِ يُضَاهِي القولَ باتِّخَاذِ الوَلَدِ، بل يزيدُ^(٦) عليه، إذ

(١) البقرة: ٩٥.

(٢) الحج: ٧٣.

(٣) الأعراف: ٤٠.

(٤) في (هـ): تحريكه.

(٥) مريم: ٨٨ - ٩٠.

(٦) في (هـ): تزيد. بناء المضارعة المثناة من فوق.

قال - في الأخاذ^(١) الولد - «تَكَادُ»، [و] ^(٢) في الرؤية^(٣) «حصل»، فَكَمَّ^(٤) - بين
الأميرين - فَرَقَا^(٥)؟

قال أبو علي^(٦): ولم يُنزل عليهم الصَّاعِقَةُ، إِلَّا بعدَ السُّؤالِ، وفي ذلك دلالةٌ
على أنَّ أصلَ كُلِّ، سَيِّئٌ^(٧) تجويزُ الرؤية على الله - تعالى -.

ويُعَبَّرُ بـ «رأى» عن حَسْبَةٍ معانٍ:

بمعنى «أَبْصَرَ»: رأيتُ زيداً قائماً.

وبمعنى «عَلِمَ»: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾^(٨).

وبمعنى «ظَنَّ»: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً﴾^(٩).

وبمعنى «إِعْتَقَدَ»، [شَعُرَ]^(١٠):

(١) في (أ): إيجاد. بالجيم المعجمة من تحت بعدها دال مهملة بينها ألف.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٣) في (ح): وبالرؤية.

(٤) في (هـ): فكان.

(٥) في (هـ): فرق. من دون تنوين النصب.

(٦) هو أبو علي الطبرسي: مجمع البيان: ٢: ٤٧٥.

(٧) في (ح): سيئة. وهو تحريف.

(٨) القيل: ١.

(٩) المعارج: ٦.

(١٠) ما بين المعقوفتين زيادة من (هـ).

وَأَنَا الْقَوْمُ لَا نَرَى الْقَنْلَ سُبَّةً إِذَا مَارَاتُهُ عَامِرٌ وَسَلُولٌ^(١)

وبمعنى «الرأي»، تقول^(٢): رأيتُ هذا الرَّأْيَ. وهذا رأيُ أبي حنيفة.



قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾^(٣).

التَّجَلَّى: هُوَ إِظْهَارُ الشَّيْءِ، ومنه: جَلَّتِ المَاشِطَةُ العَرُوسَ جَلْوَةً.

وقد فُسرَ قوله: ﴿ لَا يُجَلِّبُهَا لِوَفْتِهَا ﴾^(٤). أي: لَا يُعَرِّفُكُمْ وَفْتَهَا سِوَاهُ.

وَتَجَلَّى، وَجَلَّى، بِمَعْنَى وَاحِدٍ، كَمَا يُقَالُ: تَصَدَّقَ، وَصَدَّقَ، وَتَحَدَّثَ وَحَدَّثَ.

وَالنَّظَرَ إِلَى الشَّيْءِ، تَقُولُ^(٥): تَجَلَّى فَلَانٌ لِفَلَانٍ. إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ. وَتَجَلَّى البَازِي

لِلصَّيْدِ. إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ، نَظَرًا^(٦) إِلَيْهِ.

فَالأَوَّلُ غَيْرُ جَائِزٍ عَلَى اللَّهِ - تَعَالَى - لِأَنَّ الظُّهُورَ، وَالْكُمُونَ، تَغْيِيرٌ، وَهُوَ

(١) نسبت القصيدة التي منها هذا البيت إلى السَّمَوَالِ. أنظر ديوان السَّمَوَالِ صنعة أبي عبدالله

نفظويه: ١٢. ونسبت إلى الحارثي. أنظر: الحارثي: حياته وشعره: ٨٨. ونسبت إلى غيرهما.

(٢) في (ش) و(هـ) و(أ): يقول. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) الأعراف: ١٤٣.

(٤) الأعراف: ١٨٧.

(٥) في (ش) و(ك) و(أ): يقول. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) في (هـ): ناظر. من دون تنوين النصب.

من صفات المُخَدَّث. ولو أرادَ - تعالى - ذاتَهُ، لَمْ يَكُنْ لذلك معنى، لأنَّ المُتَجَلِّي^(١)، يكونُ إمَّا: بِمُقَابَلَةٍ، أو ظُهُورٍ. فلو أُريدَ به «المقابلة» فصار الجبلُ دَكًّا، وجب أن يستقرَّ له مكانٌ في العرشِ، وغيره، بل يصيرُ دَكًّا.

وإنَّ أرادَ «ظَهَرَ» لكانَ لا يَصُحُّ، لِأَنَّهُ تَعَلَّقَ^(٢) نفي الرُّؤيةِ بِأَلَّا يَسْتَقِرَّ الجبلُ. والمعلومُ أَنَّهُ لا يَسْتَقِرُّ، بأنْ يَنكشِفَ له، ويرى، لأنَّ ذلكَ في حُكْمِ أنْ يجعلَ الشَّرْطَ في أَلَّا يرى ما يُوجِبُ أنْ يرى. وذلك مُتَناقِضٌ.

ويَحْتَمِلُ أَنَّهُ لَمَّا أَظْهَرَ اللهُ - تعالى - للجبلِ من آياتِ الأخرى، صارَ الجبلُ دَكًّا، إِذْ قَدْ بَيَّنَّا أَنَّ ظُهُورَهُ، ظُهُورُ آيَاتِهِ، كما قال الحسن^(٣): «تَجَلَّى رَبُّهُ»: بِدَالِهِ نُورُ العَرْشِ.

وفي رواية: تَجَلَّى اللهُ عَلَمًا من أعلامِ يومِ القيامةِ، فاقْتُلِعَ الجبلُ.

ويَحْتَمِلُ أنْ يكونَ في الكلامِ تَقْدِيمٌ، وتَأخِيرٌ، فيكونُ معناه: فَلَمَّا تَجَلَّى موسى للجبلِ. أي: فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ نَاطِرًا إِلَيْهِ، جَعَلَهُ رَبُّهُ دَكًّا. وذلكَ إِنَّهُ قال: ﴿انظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ﴾^(٤).

(١) في (ح): التجلِّي.

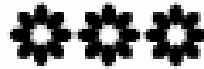
(٢) في (هـ) و(ح): علَّق. بصيغة الماضي.

(٣) قول الحسن هذا نُسِبَ في مجمع البيان: ٢: ٤٧٥ إلى ابن عباس، ونُسِبَ إلى الحسن قوله: لما ظهر

وحيُّ ربه للجبل.

(٤) الأعراف: ١٤٣.

ونظيره: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظُّلُمَ﴾^(١). وتقديره: ألم تر إلى الظُّلُمَ
 كيف مَدَّهُ رَبُّكَ؟



فصل [- ٤٨ -]

[في الرؤية]

قوله - تعالى - ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾^(١)، ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾^(٢)، ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾^(٣).

التَّعَلَّقُ بظواهرها، لا يَصُحُّ، لأنَّ اللِّقَاءَ - عندهم - أفضلُ ثوابِ الله. والله - تعالى - حذَّرَهُم من لِقَائِهِ، بعد الأمرِ بِاتِّقَائِهِ، وَهُمْ متى ما اتَّقَوْهُ، لَقَوْهُ بِزَعْوِهِمْ، ومتى ما لم يتَّقَوْهُ، لم يَلْقَوْهُ. فَالتَّوَعُّدُ - بذلك - لا يَصُحُّ عندهم، لأنَّهُ من أَفْضَلِ الثَّوَابِ. ولو كَانَ اللِّقَاءُ الرَّؤْيِيَّ، لَرَأَاهُ الْمُؤْمِنُونَ، وَالكَافِرُونَ^(٤)، لأنَّهُ أَخْبَرَهُم أَنَّهُم الَّذِينَ يَعْلَمُونَ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ.

وعندهم: أَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِلثَّوَابِ، فإذا لم يَجْزُ أَنْ^(٥) يَعْلَمَ أَحَدٌ أَنَّهُ يَرَاهُ، صَحَّ^(٦)

(١) البقرة: ٢٢٣.

(٢) الانشقاق: ٦.

(٣) الكهف: ١١٠.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): الكافر. بصيغة المفرد.

(٥) في (ش): وَيَأْنِ.

(٦) في (أ): يَصَحُّ. بصيغة المضارع.

/ ٥٢ / أن الملاقاة، غير الرؤية.

و«الملاقاة»، «مُفَاعَلَةٌ» من اللِّقَاءِ، وأصله لاستقبال^(١) الشَّيْثِينَ، أحدهما للآخر. يُقَالُ: دَارِي تَلْقَاءَ دَارِهِ. وَيُسْتَعْمَلُ^(٢) في الرُّؤْيَةِ لاستقبال الرائي المرئي. والظاهرُ يقتضي أنهم يستقبلون الله، واللهُ يستقبلهم، ولو تركوا الظاهرَ، سَقَطَ تَعَلُّقُهُمْ.

وإن^(٣) كانت الملاقاة استقبال أحد الشَّيْثِينَ للآخر، فلا معنى للتوعد به، لأنها لا يُوجِبَانِ تَحْذِيرًا، ولا تَخْوِيفًا.

وظاهرُ اللفظِ، يُوجِبُ أنهم يَعْلَمُونَ أنهم يَلْقَوْنَهُ في الوقتِ، لأنه أخبرَ أنهم يَعْلَمُونَ أنهم مُلَاقُوهُ.

ولم يَقُلْ: سَيَلْقَوْنَهُ في الآخرة. ومتى قُلْتَ: فلانُ يُلاقِي فلاناً. فإنه يجبُ للحالِ.

وإذا لم يَكُنْ في الوقتِ - كذلك - سَقَطَ التَّعَلُّقُ. ولا يَرُدُّ إلى الاستقبالِ، لأنه عُدُولٌ عن الظاهرِ. واللِّقَاءُ مجازٌ في الرُّؤْيَةِ، لأنه يُسْتَعْمَلُ في ممارسة السَّيِّئِ، وإن لم تَصُحَّ الرُّؤْيَةُ عليه. يُقَالُ: لَقِيتُ مِنْهُ شَرًّا، وَبَرَحًا. وَلَقِيتُ مِنْهُ الْأَمْرَيْنِ. ﴿لَقَدْ

(١) في (ش): الاستقبال. من دون حرف الجرّ (اللام).

(٢) في (ش): تستعمل. بناء المضارعة المثناة من فوق.

(٣) في (أ) و(ح): وإذا.

لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا^(١)، ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُلَاقَوْهُ﴾^(٢).
[شِعْرٌ]^(٣):

فَمَنْ يَلْقَى خَيْرًا يَحْمَدِ اللَّهَ أَمْرَهُ يَلِاقِي كَمَا لاقَى مُجِيرُ أُمِّ عَامِرٍ^(٤)
وعلى سبيل التَّوَعُّدِ: يَجِبُ أَنْ تَلْقَى الْأَمِيرَ. ﴿فَلُدُّوْا بِهَا نَيْبِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَذَا﴾^(٥)، ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾^(٦)، ﴿يَنْظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ﴾^(٧)،
﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُواهُ﴾^(٨).

وإذا كان مجازاً، لم يجز رده إليها، إلا بدليل، ومتى منح الجزئي على ظاهره،
وجب رد المعنى إلى ما يصح الجزئي عليه، كقوله: ﴿وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾^(٩)، ﴿فَأَتَى

(١) الكهف: ٦٢.

(٢) آل عمران: ١٤٣.

(٣) ما بين المعفوتين زيادة من (هـ).

(٤) الفضليات: ٢٤٧ معزواً إلى المرقش الأصغر. متشابه القرآن: ١: ٢٧٥ بلا عزو. أمالي المرتضى:

٢: ٢٤٦ وشطره الثاني فيه: «وَمَنْ يَغْوَلَا يَعْذَمُ عَلَى الْغَيِّ لِأَسْأَلِ». التبيان في تفسير القرآن: ١:

٢٧٥، ٤: ٣٦٣، ٥: ٤٧٨، ٦: ٣٣٦ بلا عزو.

(٥) السجدة: ١٤.

(٦) الفرقان: ٢١.

(٧) البقرة: ٢٤٩.

(٨) البقرة: ٢٢٣.

(٩) يوسف: ٨٢.

اللهُ بُنْيَانَهُمْ^(١)، يُؤَكِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾^(٢).

معناه: يوم يلقون جزاءه، لأن المنافقين، لا يرون الله، عند أحد من أهل الصلاة.

وكذلك قَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾^(٣) إلى آخر الآية.

معناه: إذ وقفوا على جزاء ربهم، لأن الكفار، لا يرون الله، عند أحد من الأمة^(٤).

وتستحيل^(٥) الرؤية، لموجب كون المرئي جسماً كثيفاً، بأكثف من شعاع العين في محاذة^(٦) مخصوصة، متوسطاً في القرب، والبعد، من الرائي.

فلما استحال عليه ما به تصحح الرؤية^(٧)، استحالت^(٨) الرؤية عليه، فوجب صرف ما ينقَى عنه من الألفاظ إلى غيره.

(١) النحل: ٢٦.

(٢) التوبة: ٧٧.

(٣) الأنعام: ٣٠.

(٤) في (أ): الآية.

(٥) في (ش) و(أ): يستحيل، بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) في (هـ): محاذاته.

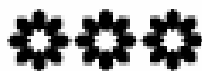
(٧) في (هـ): الرواية.

(٨) في (ش): استحالة. بصيغة المصدر.

وقد فسره الله - تعالى - بما لا إشكال فيه: أن جميع الناس، يلقونه. ثم بين كيفية اللقاء، من سرور، أو بُور.

قوله - سبحانه -: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا ﴾^(١).

أي: خسر هؤلاء الكفار الذين كذبوا بقاء ما وعده الله به، من الثواب، والعقاب، وجعل لقاءهم - لذلك - لقاءً - تعالى - مجازاً. كما يقول المسلمون - لمن مات منهم -: لقد لقي الله، وصار إليه. يعنون^(٢): لقاء ما يستحقه^(٣) من الله، كما قال: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ مَمْنُونِ الْمَوْتِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾^(٤)، والموت لا يُشاهد. أي: [فقد]^(٥) رأيتم أسبابه، وأنتم تنظرون.



(١) الأنعام: ٣١.

(٢) في (هـ): يعنون.

(٣) العبارة في (ح): يعنون لقي ما يستحق من الله.

(٤) آل عمران: ١٤٣.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ح).

فصل [- ٤٩ -]

[في الرؤية]

قوله - تعالى - : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^(١).

الظاهر أنه لا دلالة على ما قالوه^(٢)، لأنَّ الزيادة، لا تُعقَل بمعنى الرؤية. فإذاً لا يجوز أن يُخاطبَ اللهُ عبادةً بما ليس في لغتهم، إلا مع البيان لذلك. وإنما يصحُّ ذلك في الشرع من حيث لم يكن - لِمَا أمر^(٣) به في أصل اللُّغة - إسمٌ موضوعٌ، وليس كذلك الرؤية. ولا بيان هاهنا.

وأما^(٤) حمل الآية على حديث^(٥) مروى عن أبي بكر^(٦)، فإسناده^(٧) غير

(١) يونس: ٢٦.

(٢) في (أ): قالوا.

(٣) في (هـ): أقر.

(٤) في (ح): فأما. مع الفاء.

(٥) وهو ما رواه أبو بكر عن النبي (ص): «إنكم سترون رؤيكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته».

(٦) في (هـ): بكرة.

(٧) في (ك): فاستناده.

مرضي ثم أن رد ذلك إلى مخصوص، جائز، ما لم ترده^(١) اللغته^(٢)، والأصول.
فاللغة تنفي ذلك، لأن الزيادة على الشيء، لا تكون إلا من جنس ذلك الشيء،
ألا ترى أنه لا يجوز أن يقول: له، عشرة دراهم، وزيادة. ثم تكون الزيادة ثوباً.
وإن الزيادة على الشيء^(٣)، لا تكون أفضل من الشيء المذكور، بل تكون دونه.
فلما كانت رؤيته أفضل من جميع الثواب، ومن الجنة، لم يجوز أن يكون المراد
بلفظ^(٤) «الزيادة» الرؤية.

وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾^(٥)، مثل قوله: ﴿الَّذِينَ آسَأُوا
السُّؤَى﴾^(٦). فمعنى «الحسنى»: الثواب. ومعنى «السُّؤَى»: العقاب. ومعنى
الآية، مفسر في القرآن في مواضع، وهو أنه يعني به: أن للمحسن جزاء إحصانه،
وزيادة تحصل له، لا يستحقها بفعله، كما قال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ
أَمْثَلِهَا﴾^(٧)، ﴿لِيُؤْتِيَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٨).

(١) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يرده. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٢) في (ش): اللعنة.

(٣) في (هـ) شيء. من دون (أل).

(٤) في (أ): بلفظة، بالتاء المتحركة المثناة.

(٥) يونس: ٢٦.

(٦) الرُّوم: ١٠.

(٧) الأنعام: ١٦٠.

(٨) فاطر: ٣٠.

فَبَيَّنَ أَنَّ الزِّيَادَةَ «مِنْ فَضْلِهِ»، وَلَمْ يَقُلْ: مِنْ رُؤْيِيهِ.

وَلَا مَعْدِلَ عَمَّا بَيَّنَّهُ اللَّهُ، وَقَدْ فَسَّرَهُ / ٥٣ / الْمَفْسُورُونَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(١)، وَالْحَسَنُ^(٢)، وَمَجَاهِدٌ^(٣)، وَقَتَادَةُ^(٤): «الْحُسْنَى»: الثَّوَابُ الْمَسْتَحَقُّ، وَالزِّيَادَةُ: التَّفَضُّلُ عَلَى قَدْرِ الْمَسْتَحَقِّ عَلَى طَاعَاتِهِمْ^(٥) مِنْ الثَّوَابِ، وَهِيَ الْمَضَاعَفَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾.

وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ، وَالْكَلْبِيُّ نَحْوَ ذَلِكَ.

وَقِيلَ: مَا يَأْتِيهِمْ^(٦) فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ مُجَدِّدًا.

الْبَاقِرُ^(٧) - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: الزِّيَادَةُ، هِيَ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ النِّعَمِ فِي الدُّنْيَا، لَا يُحَاسِبُهُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ.

(١) جَامِعُ الْبَيَانِ: ١١: ١٠٧. أَيْضًا: مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٣: ١٠٤. الدَّرُ الْمَثُورُ: ٤: ٣٥٩. التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ: ٧٨: ١٧.

(٢) جَامِعُ الْبَيَانِ: ١١: ١٠٨. أَيْضًا: مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٣: ١٠٤. الدَّرُ الْمَثُورُ: ٤: ٣٦٠. التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ: ٧٨: ١٧.

(٣) مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٣: ١٠٤. وَفِي جَامِعِ الْبَيَانِ عَنْ مَجَاهِدٍ: ١١: ١٠٨: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى﴾: مِثْلَهَا حَسَنًا، «وَزِيَادَةٌ»: مَغْفِرَةٌ وَرِضْوَانٌ. وَكَذَا فِي الدَّرِ الْمَثُورِ: ٤: ٣٦٠.

(٤) جَامِعُ الْبَيَانِ: ١١: ١٠٨. أَيْضًا: مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٣: ١٠٤.

(٥) فِي (أ): طَاعَتِهِمْ، بِصِيغَةِ الْمَفْرُودِ.

(٦) فِي (هـ): مَا تَأْتِيهِمْ.

(٧) مَجْمَعُ الْبَيَانِ: ٣: ١٠٤. تَفْسِيرُ الْقَتَّانِيِّ، عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ: ١: ٣١١.

أمير المؤمنين^(١) - عليه السلام - الزيادة عُرفَةٌ من لَوْلَا^(٢) واحدة، لها أربعة

أبواب.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾^(٣).

ليس في الآية^(٤) ذكر هؤلاء محجوبين، إثباتٌ لكونهم غير محجوبين، لأن اللفظ لا يدل عليه، ولا يُنسبُ عنه. والمتروكُ ذِكْرُهُ لا يدلُّ على أنه بخلاف المذكور، بل يكونُ موقوفاً على الدليل. على أن ما ذَكَرَ أَنَّهُمْ محجوبونَ عنه في يوم القيامة.

وعند القوم لا يراه أحدٌ في ذلك الوقت، بل الكلُّ محجوبونَ.

ولو كان منعاً عن الرؤية لناقض قوله: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ ﴾^(٥)،

فهذه تُخبرُ عن وقوفهم عليه^(٦)، وتلك تُخبرُ عن كونهم غير محجوبين عنه.

(١) مجمع البيان: ٣: ١٠٤، وعن علي (عليه السلام) في أمالي الشيخ الطوسي: ١: ٢٥: الحسنى هي

الجنة، والزيادة هي الدنيا. وفي الدر المنثور: ٤: ٣٥٨ ما يطابق رواية كتابنا هذا، وكذا في التفسير

الكبير: ١٧: ٧٨. والجامع لأحكام القرآن: ٨: ٣٣٠ وفيه: لها أربعة آلاف باب.

(٢) في (هـ): لَوْلَا.

(٣) المطففين: ١٥.

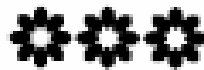
(٤) (الآية) سقطت من (ح).

(٥) الأنعام: ٣٠.

(٦) في (ش): عليك.

ويأتي لفظ «الحجاب»، فيما هو أبلغ من الرؤية، فيقال: فلانٌ محجوبٌ عن الإرث، إذا كان [هُنَاكَ] ^(١) مَنْ - لأجلِهِ - لا يستحقُّ الإرثَ. وفلانٌ محجوبٌ عن ماله. أي: ممنوعٌ من التَّوصُّلِ إليه.

وعلى هذا تُؤوَّلُ الآية، على أن الاستدلال بالآية، مبنيٌّ على دليل الخطاب، وهو باطلٌ.



(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

فصل [- ٥٠ -]

[في الرؤية]

قوله - تعالى -: ﴿ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾^(١).

تَعَلَّقُهُمْ - بذلك - فاسدٌ، لَأَنَّ التَّكْذِبَ فِي أَوَّلِ^(٢) الْآيَةِ، إِنَّمَا هُوَ التُّزْوُلُ، لَا الصُّعُودُ. يُقَالُ: أَذْلَيْتُ الدَّلْوَ. وَتَدَلَّى الشَّيْءُ. وَتَدَلَّيْتُ مِنَ السُّطْحِ.

قَوْلُهُ: ﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً ﴾^(٣). أَي: تُزْوِلًا. لِيُعْلَمَ أَنَّ «تَدَلَّى»^(٤) بِمَعْنَى:

التُّزْوُلِ^(٥). وَلَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، لَمْ يَصُحَّ قَوْلُهُ: ﴿ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾^(٦). وَالْأَوَّلُ لَيْسَ بِنَزْلَةٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ لَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾، يُوجِبُ أَنَّهُ رَأَاهُ مَرَّتَيْنِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مَذْهَبَهُمْ.

(١) النجم: ١١.

(٢) في (أ): الأول.

(٣) النجم: ١٣.

(٤) النجم: ٨.

(٥) في (ح): نزل.

(٦) النجم: ١٣.

وقوله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ﴾^(١)، ولو كان - كما زعموا - لقال: رأى ربه.

وقد فسّر المخالفون^(٢) قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(٣): أنه في الدنيا. وعندنا: أنه في الدنيا، والعقبى.

فعل قول الجميع، لا يجوز أن يراه أحد في الدنيا. فكيف يفسر آية^(٤) بما يبطل هذه الآية. ونمط الآية يبطل قوتهم، كما قال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾^(٥). فتبين أنه وحي. والموجي إليه، إنما هو جبريل. وبيّن أنه ﴿شَهِيدٌ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: عقل. ﴿فَاسْتَوَى﴾^(٦)، أي: عقل. ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾^(٧). يعني: بالسما العُلّيا، ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾^(٨).

أي: نزل، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(٩)، أي: كان جبريل من محمد على هذا المقدار.

(١) النجم: ١٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٥٤ - ٥٥.

(٣) الأنعام: ١٠٣.

(٤) في (أ): أنه.

(٥) النجم: ٣.

(٦) النجم: ٦.

(٧) النجم: ٧.

(٨) النجم: ٨.

(٩) النجم: ٩.

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾^(١). يعني: جبرئيلُ إلى النبيِّ - عليه السلام -
 ﴿ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾^(٢). لم يكن - فيما رأى - شُبُهَةً، يَرْتَابُ بِهَا، بل كانت
 رُؤْيَةً صحيحةً. وهذه^(٣) كُلُّهَا من صفاتِ الأجسامِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَةً أُخْرَىٰ ﴾. يعني بها: ﴿ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴾^(٤).
 وَرَعَمُوا أَنَّ السُّدْرَةَ فِي الْجَنَّةِ، فيجبُ أن يكون «رأه» في الجنةِ. [فتارة
 يقولون: رآه على العرشِ وتارة رآه في الجنةِ على أنه لم يَقُلْ: في الجنةِ]^(٥) ولكن:^(٦)
 قَالَ: «عِنْدَهَا». ومعنى ذلك كقولِهِ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا ﴾^(٧).
 ثُمَّ قَالَ: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾^(٨). أي: لم يَزَعْ في رُؤْيِهِ، ولم يَكُنْ فِيهِ
 غُحُطًا.

ثُمَّ قَالَ: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾^(٩)، فَبَيَّنَّ أَنَّهُ رَأَىٰ «الْكُبْرَىٰ»

(١) النجم: ١٠.

(٢) النجم: ١١.

(٣) في (هـ): هذا.

(٤) النجم: ١٤.

(٥) ما بين المعرفتين سقطت من (ش) و(ك) و(هـ) و(أ).

(٦) في (ح): لكنه.

(٧) النساء: ١٠.

(٨) النجم: ١٧.

(٩) النجم: ١٨.

مِنْ آيَاتِ رَبِّي.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَشْرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَخِيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾

الآية^(١).

فَبَيَّنَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُكَلِّمَ أَحَدًا^(٢)، إِلَّا عَلَى هَذِهِ التُّجُوهِ الثَّلَاثَةِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ مُخَاطَبَةً، وَمُشَافَهَةً.

[و] ^(٣) روى الترمذي^(٤) في صحيحه: قال مسروق: دخلتُ على عائشة،

فقلتُ: هل رأى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ؟

فقلتُ: لقد تَكَلَّمْتُ بِشَيْءٍ، قَفَّ^(٥) لَهُ شَعْرِي.

فقلتُ: رُوِيَ دَأً، ثُمَّ قَرَأْتُ: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾.

فقلتُ: أَيْنَ يَذْهَبُ بِكَ^(٦)؟ إِنَّمَا هُوَ جَبْرِيلُ. ثُمَّ قَالَتْ - بَعْدَ كَلَامٍ -: لَكِنَّهُ

رَأَى جَبْرِيلَ. لَمْ يَرَهُ فِي صُورَتِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً عِنْدَ بَسْطَةِ الْمَتْنِيِّ، وَمَرَّةً فِي

(١) الشورى: ٥١.

(٢) في (ش): أحد.

(٣) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش) و(ح).

(٤) لم نقف عليه في صحيح الترمذي بطبعاته المختلفة. وقد ورد في مصادر أخرى، أنظر: عيون

أخبار الرضا: ١: ٢٢٦-٢٢٧. مجمع البيان: ٥: ١٧٥. الأسماء والصفات: ٤٣٥.

(٥) قَفَّ الشَّعْرُ: قام من الفزع. «المعجم الوسيط - قَفَّ».

(٦) في (أ): يذهبك.

أجيباً^(١)، لَهُ سِتْمَانَةُ جَنَاحٍ، قَدْ سَدَّ الْأَفْقَ^(٢).

أبو ذرٍّ: سُئِلَ^(٣) رَسُولُ اللَّهِ^(٤) - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ -: أَرَأَيْتَ رَبُّكَ؟

فَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: أَتُورُّ أَنِّي^(٥) أَرَاهُ؟

ابنُ عَبَّاسٍ^(٦): ﴿مَا كَذَّبَ الْقُورَاطُ مَا رَأَى﴾. قَالَ: رَأَاهُ بِقَلْبِهِ.

وَرَوَى الْمُفَسِّرُونَ - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٧)، وَابْنِ مَسْعُودٍ^(٨)، وَالْحَسَنِ^(٩)،

وَعَائِشَةَ^(١٠)، وَمَشْرُوقٍ^(١١) / ٥٤ / وَعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، وَمَعْمَرٍ^(١٢)، وَهَيْثَامُ بْنُ

(١) في (أ): أجيباً.

(٢) في (أ): الأفق.

(٣) في (هـ): سأل: بصيغة المبني للمعلوم.

(٤) صحيح مسلم: ١: ١١١ بلفظ: «نورٌ أتى أراه؟». صحيح الترمذي: ١٢: ١٧٢ بلفظ «نوراً أتى

أراه؟». شرح الأصول الخمسة: ٢٦٩، بلفظ «نورٌ هوَ أتى أراه؟». الجامع لأحكام القرآن: ١٧:

٩٣، بلفظ: نورٌ أتى أراه؟.

(٥) ورد في النسخ جميعها: «أنورٌ أن أراه؟».

(٦) جامع البيان: ٢٧: ٤٨. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ١٧٤، ١٧٦. الدر المنثور: ٧: ٦٤٦. الجامع

لأحكام القرآن: ٧: ٥٦ / ١٧: ٩٢.

(٧) جامع البيان: ٢٧: ٤٨. الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٥٥.

(٨) جامع البيان: ٢٧: ٤٦. الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٥٥.

(٩) جامع البيان: ٢٧: ٤٤، ٤٧. الجامع لأحكام القرآن: ١٧: ٩٢.

(١٠) جامع البيان: ٢٧: ٤٦. الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٥٥.

(١١) جامع البيان: ٢٧: ٤٦. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ١٧٥.

(١٢) جامع البيان: ٢٧: ٤٩.

عُرْوَةً - نَحْوَ مَا قُلْنَا مِنْ الْوَجْهِ.

قال الجبائي^(١) - في قوله: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَلَائِكَةَ نُورًا نَرَى رَبَّنَا﴾^(٢) :-
الْكُفَّارُ مَجْسَمٌ، فَلِذَلِكَ جَوَّزُوا الرَّؤْيَةَ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ الْيَهُودُ، حَيْثُ قَالَتْ: ﴿لَنْ
نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾^(٣).

وقد تكونُ الرؤْيَةُ في النَّوْمِ، والرُّؤْيَةُ بِالْقَلْبِ، فإِذَا قَالَ: ﴿جَهْرَةً﴾، لَمْ تَكُنْ
إِلَّا رُؤْيَةَ الْعَيْنِ عَلَى التَّحْقِيقِ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ
جَهْرَةً﴾^(٤).

استدلَّ الْبَلْخِيُّ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ الرَّؤْيَةَ لَا تَجُوزُ^(٥) عَلَى اللَّهِ - تَعَالَى -
لِأَنَّهَا^(٦) إِنْكَارٌ تَضَمَّنَ أَمْرَيْنِ:

(١) مجمع البيان: ٤: ١٦٦.

(٢) الفرقان: ٢١.

(٣) البقرة: ٥٥.

(٤) البقرة: ٥٥.

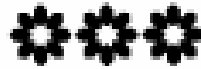
(٥) في (أ): يجوز. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٦) في (ك) و(ح): لأنه.

رَدَّهُمْ عَلَى نِيَّهِمْ. وَتَجْوِزَهُمُ الرُّؤْيَا عَلَى رَبِّهِمْ.

وَيُبَيِّنُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾^(١)، فدلَّ ذلك على

أنَّ المراد، إنكار الأمرين.



فصل [- ٥١ -]

[في التوحيد]

قوله - تعالى - : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(١).

أي: تعلمون أن الأنداد، التي تعبدونها من الأصنام، وغيرها، لا تُضْرُ، ولا تنفع، ولا تسمع، ولا تُبصر.

والمشركون لا يعتقدون أن الأصنام، خلقت السماء^(٢)، والأرض من دون الله. فالوصف هم - هاهنا - بالعلم، إنما هو لتأكيد الحجّة عليهم، ليكونوا أضيّق عُذراً.

ويقال: ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. أي: تعقلون أن من كان بهذه الصفة، فقد استوفى شروط التكليف، وضاق عُذره في التخلف عن النظر، وإصابة الحق، كما قال: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾^(٣).

(١) البقرة: ٢٢.

(٢) في (ح): السموات.

(٣) الرعد: ١٩.

وقال مجاهد^(١): المراد - بذلك - اليهود، والنصارى خاصة. ومعنى ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أي: إنكم تعلمون في التوراة والإنجيل أنه إله واحد.

شريح^(٢) بن هاني: إن أعرابياً، قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين - عليه السلام - فسأله عن التوحيد، فقال الناس: أما تراه في تقسم القلب؟

فقال - عليه السلام -: دعوهُ، فإن الذي يُريد الأعرابي، هو الذي تُريده من القوم. ثم قال:

يا أعرابي، إن الكلام في: أن الله - تعالى - واحد، على أربعة أقسام: فوجهان منها، لا يجوزان على الله - تعالى -. ووجهان يثبتان فيه.

فأما اللذان، لا يجوزان عليه:

فقول القائل: واحد. يقصدُ به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوزُ عليه، لأن ما لا ثاني له، لا يدخل في باب الأعداد. أما ترى أنه كفر من قال: ﴿ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ﴾؟

وقول القائل: هو واحد^(٣) من الناس. يُريدُ به النوع من الجنس. فهذا ما لا يجوزُ، لأنه تشبيه. وجل رَبُّنا عن ذلك. وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه:

فقول القائل: هو واحد، ليس له في الأشياء شبهة. كذلك ربُّنا.

(١) جامع البيان: ١: ٦٤. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٦٠. الدر المنثور: ١: ٨٨ - ٨٩.

(٢) التوحيد: ٨٣ - ٨٤. معاني الأخبار: ٥ - ٦.

(٣) في (١): أخذ.

وقول القائل: إِنَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَحَدِي الْمَعْنَى. يَعْنِي بِهِ: أَنَّهُ لَا يَنْقَسِمُ فِي
وُجُودٍ، وَلَا عَقْلٍ، وَلَا وَهْمٍ، كَذَلِكَ رَبُّنَا.

وقال مُتَكَلِّمٌ: قَوْلُنَا: إِنَّهُ وَاحِدٌ، عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ:

الأوَّلُ: وَاحِدٌ، لَيْسَ بِذِي أَعْضَاءٍ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْإِنْقِسَامُ.

والثَّانِي: وَاحِدٌ فِي اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ.

والثَّالِثُ: وَاحِدٌ، لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ.

والرَّابِعُ: فِي الصِّفَاتِ النَّفْسِيَّةِ.

وقال أمير المؤمنين^(١) - عليه السلام -: وَكُلُّ مَعْدُودٍ بِنَفْسِهِ مَخْلُوقٌ، وَكُلُّ
قَائِمٍ بِسِوَاهُ، مَعْلُولٌ.

قوله - سُبحَانَهُ -: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ﴾^(٢).

أي: الْمُنْفَرِدُ بِالتَّدْبِيرِ، فِي السَّمَاوَاتِ، وَفِي الْأَرْضِ، لَا أَنْ حَلَّ^(٣) فِيهَا، أَوْ فِي
شَيْءٍ مِنْهَا، لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: هُوَ زَيْدٌ فِي الْبَيْتِ، وَالدَّارِ. إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي

(١) نهج البلاغة، بشرح محمد عبده: ٢: ١١٩، وفيه: «كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مُضْنُوعٌ».

(٢) الأنعام: ٣.

(٣) في (هـ) و(أ): أَحَلَّ.

الكلام ما يدلُّ على المراد به التدبير، كقول القائل: فلانُ الحليفةُ في الشرقِ^(١)، والغربِ. لأنَّ المعنى - في ذلك - أنه المدبِّرُ فيها.

ويجوزُ أن يكونَ حَبْرًا بعدَ حَبْرٍ، كأنه قال: هو اللهُ، وهو في السَّمواتِ وفي

الأرضِ.

وقال أبو علي^(٢): إنَّ قولَهُ: ﴿وَهُوَ اللهُ﴾، قد تَمَّ^(٣) الكلامُ، وقولُهُ: ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾، متعلِّقٌ بقولِهِ: ﴿يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾^(٤) في السَّمواتِ، وفي الأرضِ. لأنَّ الخلقَ إنما يكونونَ ملائكةً، فهم في السَّماءِ، أو الإنسَ^(٥)، والجنَّ، فهم في الأرضِ. فهو^(٦) - تعالى^(٧) - عالمٌ بجميعِ ذلك، لا تخفى^(٨) عليه خافيةٌ. ويقوِّيه^(٩) قولُهُ: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُكْسِبُونَ﴾^(١٠).

(١) في (أ): المشرق.

(٢) هو أبو علي الطوسي: مجمع البيان: ٢: ٢٧٣.

(٣) في (ش): قد تم.

(٤) الأنعام: ٣.

(٥) في (ح): أو إنسا أو جنّا.

(٦) (فهو) ساقطة من (أ). وفي (ح): وهو. مع الواو.

(٧) في (أ): وتعالى.

(٨) في (ش) و(ك): يخفى. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٩) في (ك): تقويه. بقاء المضارعة المثناة من فوق.

(١٠) الأنعام: ٣.

وقال هشامُ بنُ الحكمِ للمؤبذ^(١): «أهما»^(٢) في القوَّةِ سواء؟ قال: نعم. قال:
فجوهرُهما واحدٌ؟

قال المؤبذُ - لنفسه^(٣): - إن قلتُ: إنَّ جوهرَهما، واحدٌ، عادَ إلى نعتِ واحدٍ،
وإن قلتُ: مختلفٌ^(٤)، اختلفا / ٥٥ / - أيضاً - في الهمِّ، والإراداتِ، ولم يتَّفقا في
الخلقِ؟

فقال هشامُ: كيف لا تُسلمُ؟

قال: هيهات.

وقال أبو الهذيل^(٥) لصالحِ بنِ عبدِ القدوسِ: على أيِّ شيءٍ تعزمُ
يا صالحُ؟

قال: استخيراً لله، وأقولُ بالاثنتين!

قال: فأَيُّهما استخرتَ، لا أمَّ لك؟

شاعراً^(٦):

(١) في (أ) و(ح): المؤبذ. بالبدال المهملة.

(٢) العبارة: «أهما... المؤبذ» ساقطة من (أ).

(٣) في (ح): بنفسه. مع حرف الجر (الباء).

(٤) في (أ): مختلف.

(٥) فرق وطبقات المعتزلة: ٥٧ - ٥٨. أمالي المرتضى: ١: ١٤٤.

(٦) في (هـ): شعر.

لَوْ كَانَ لِلْخَيْرِ سِوَاهُ رَبِّ تَبَيَّنَتِ الْمَلَكُ وَجَاءَ الْحَرْبُ
لَوْ كَانَ فِي الْخَلْقِ لَهُ نَظِيرٌ لَقَبِلَ هَذَا عَاجِزٌ حَقِيرٌ^(١)

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾^(٢). قَالَ
الدَّبِيسَانِيُّ^(٣) لَهْشَامُ بْنُ الْحَكَمِ: إِنَّ فِي الْقُرْآنِ - هَذِهِ الْآيَةُ - قُوَّةٌ لَنَا. فَكَتَبَ هَشَامٌ إِلَى
الصَّادِقِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَجَابَهُ:-

قُلْ^(٤) لَهُ: مَا اسْمُكَ فِي الْكَوْفَةِ؟ فَإِنَّهُ^(٥) يَقُولُ: فَلَانٌ. فَقُلْ: مَا اسْمُكَ
بِالْبَصْرَةِ؟ فَإِنَّهُ يَقُولُ: فَلَانٌ. فَقُلْ لَهُ: كَذَلِكَ رَبُّنَا: ﴿ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ
إِلَهٌ ﴾، وَفِي الْبَحَارِ إِلَهٌ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ، إِلَهٌ.

قَالَ: فَاتَيْتُهُ^(٦)، فَأَخْبَرْتُهُ^(٧)، فَقَالَ: هَذَا نُقِلَ مِنَ الْحِجَازِ.
الْفَضْلُ^(٨) بِنِ شَاذَانَ: قَالَ ثَنَوِيٌّ لِلرُّضَا - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: إِنِّي أَقُولُ: إِنَّ

(١) لم نقف على قائله ولا مورد أخذه.

(٢) الزخرف: ٨٤.

(٣) الكافي: ١: ١٢٨ - ١٢٩. التوحيد: ١٣٣.

(٤) (قل) ساقطة من (أ).

(٥) في (ح): فيقول.

(٦) في (ك): فاتية.

(٧) في (ك) و(هـ): وأخبرته: مع (وار) العطف.

(٨) التوحيد: ٢٧.

صَانِعَ الْعَالَمِ، إِثْنَانٍ، فَمَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ؟

فقال - عليه السلام -^(١): قَوْلُكَ إِثْنَانٍ، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ، لِأَنَّكَ لَمْ تَدْعِ الثَّانِي إِلَّا بَعْدَ إِثْبَاتِكَ الْوَاحِدِ، فَالْوَاحِدُ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ.



قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٢).

دخول «مِنْ» فِيهِ، يَدُلُّ عَلَى عَمُومِ النَّفْيِ لِكُلِّ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ. وَلَوْ قَالَ: مَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ. لَمْ يُفْزِدْ ذَلِكَ. وَإِنَّمَا أَفَادَتْ «مِنْ» هَذَا الْمَعْنَى، لِأَنَّ أَصْلَهَا لَابْتِدَاءٍ^(٣) الْغَايَةِ. فَدَلَّتْ عَلَى اسْتِغْرَاقِ النَّفْيِ لَابْتِدَاءِ الْغَايَةِ إِلَى انْتِهَائِهَا.

وَقَالَ ثَنَوِيُّ^(٤) هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ: أَنَا أَقُولُ بِالِاثْنَيْنِ.

فَقَالَ: - حَفِظَكَ اللَّهُ - يَقْدَرُ أَحَدُهُمَا يَفْعَلُ شَيْئاً، لَا يَسْتَعِينُ بِصَاحِبِهِ عَلَيْهِ؟
قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَمَا تَرْجُو مِنْ اثْنَيْنِ: وَاحِدٌ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ؟ أَبُو الْخَيْرِ^(٥) فَأَذْشَاه:

(١) (عليه السلام) سقطت من (ح).

(٢) ص: ٦٥.

(٣) في (ش): الابتداء. من دون حرف الجر (اللام). وفي (ح): الابتداء في الغاية.

(٤) العقد الفريد: ٢: ١٩٧.

(٥) في (ش) و(ح): أبو الحسين فأذشاه. وفي (ح) - أيضاً -: فأذشاه بالزاي المعجمة.

تبارك الله العزيز القدرُ من أن يُرى ضدًّا^(١) له أو ندًّا^(٢)

قوله - سبحانه - : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣).

معناه: ليس مثله شيءٌ على وجهٍ من الوجوه. وتكون «الكاف» زيادةً.

تقديره: ليس مثل الله، شيءٌ من الموجودات، والمعلومات. قال أوس^(٤):

وَقَتْلِي كَمِثْلِي جَذْوَعِ النَّخِيلِ بِفِئَاهُمْ سَبِيلٌ مُنْتَهَرٌ^(٥)

وقال المرتضى^(٦): «الكاف»، ليست زائدةً، وإنما نفى أن يكون مثله مثلٌ،

فإذا ثبت ذلك، عُلِمَ أنه لا مثل له، لأنه لو كَانَ لَهُ مِثْلٌ، لَكَانَ لَهُ أَمْثَالٌ، وَكَانَ^(٧)

لِمِثْلِهِ مِثْلٌ، لأن الموجودات على ضربين: ما لا مثل له كالقدرة. وما له مثلٌ

كالسواد، والبياض، وأكثر الأجناس، فله - أيضاً - أمثالٌ. وليس في الموجودات

ما له مِثْلٌ واحدٌ فحسبٌ، فَعُلِمَ أَنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ أَصْلًا مِنْ حَيْثُ لَا مِثْلَ لِمِثْلِهِ.

(١) في (ح): نَدُّ له أو ضِدُّ.

(٢) لم نقف على مورد أخذه.

(٣) الشورى: ١١.

(٤) ديوان أوس بن حجر: ٣٠.

(٥) في (ش): منهم. وهو تحريف.

(٦) التبيان في تفسير القرآن: ٩: ١٤٧.

(٧) العبارة: «وكان... مثل» ساقطة من (أ).

ويقال: أي: ليس كهو^(١) شيء. فأدخل الـمِثْلَ توكيداً، كقوله: ﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾^(٢). أي: مثل الجنة. لقوله: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ﴾^(٣). وقالوا: «الكاف» زيادةً معنى وذلك أن التشبيه يقع بـ«مثل» وبـ«الكاف». فأراد الله - تعالى - أن يُبين أنه منزّه عن التشبيه أنه كشيء، أو مثل شيء.

قوله - سبحانه -: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٤).

معنى ذلك: أنه لو صحَّ إلهان، أو آلهة، لصحَّ - بينهما - التمانع، فكان يؤدي ذلك إذا أراد أحدهما فعلاً، وأراد الآخر ضده، إما أن يقع مرادهما، فيؤدي إلى اجتماع الضدين، أو لا يقع مرادهما، فينتقض كونهما قادرين. أو يقع مراد أحدهما، فيؤدي إلى كون الآخر غير قادر. وكل ذلك فاسد.

قوله - سبحانه -: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٥).

(١) في (ش) و(أ): هو. مع اللام. وفي (ك) و(ح): له. وفي (هـ): هو.

(٢) محمد: ١٥.

(٣) محمد: ١٥.

(٤) الأنبياء: ٢١، ٢٢.

(٥) الإخلاص: ١.

سأل أبو هاشم^(١) الجعفريُّ أبا جعفرِ الثاني - عليه السلام - عن معنى

«الأحد»؟

قال: المُجْمَعُ عليه بالوحدانية، أمّا سمعته يقول: «وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللهُ»^(٢)، ثم يقولون - بعد ذلك - له شريكٌ وصاحبةٌ؟

أبو الطفيل^(٣) الكنانيُّ: سألتُ رسولَ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - عن أدنى التَّوْحِيدِ.

فقال - عليه السلام - : إِنَّ اللَّهَ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا، وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، وَكُلُّ مَا وَقَعَ فِي الْوَهْمِ، فَهُوَ بِخِلَافِهِ.

ابن مسعودٍ: سألتُهُ - عليه السلام - عَنِ التَّوْحِيدِ، فَقَالَ:

[التَّوْحِيدُ]^(٤) ظَاهِرُهُ فِي بَاطِنِهِ، وَبَاطِنُهُ فِي ظَاهِرِهِ. فَظَاهِرُهُ مُوصُوفٌ لَا يَرَى، وَبَاطِنُهُ مُوجُودٌ لَا يَحْفَى. لَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ. ظَاهِرٌ غَيْرٌ مَحْدُودٍ، وَبَاطِنٌ غَيْرٌ مَفْقُودٍ.

(١) الكافي: ١: ١١٨. التوحيد: ٨٣. معاني الأعبار: ٥ وفيه باختلاف يسير في اللفظ. الاحتجاج:

٢: ٢٣٨. وأبو جعفر الثاني هو الإمام محمد الجواد (عليه السلام).

(٢) لغمان: ٢٥، الزمر: ٣٨.

(٣) الكافي: ١: ٨٢. التوحيد: ٨٠. وفيه: عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام). الإرشاد: ٣١٧

وفيه أيضاً: عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام). وكذا في كتر الفوائد: ١٩٩.

(٤) ما بين المعنيتين ساقطة من (ش).

وَسُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ^(١) - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَنْهُ؛ فَقَالَ: التَّوْحِيدُ أَلَّا تُتَوَهَّمَهُ،
وَالْعَدْلُ أَلَّا تُتَّهَمَهُ.

وَسُئِلَ الصَّادِقُ ^(٢) - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَنْهُ؛ فَقَالَ ^(٣): هُوَ / ٥٦ / أَلَّا تُجْبُوزَ ^(٤)
عَلَى رَبِّكَ، مَا جَازَ عَلَيْكَ، وَالْعَدْلُ أَلَّا تُنْسَبَ إِلَى خَالِقِكَ مَا لَأَمَنَكَ عَلَيْهِ.

وَسُئِلَ الصَّادِقُ ^(٥) - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَنْهُ؛ فَقَالَ: كُلُّ مَا أَحَاطَ بِهِ وَهْمُكَ،
وَجَذَبَهُ تَفَكُّرُكَ، أَوْ أَصَبَتْهُ بِالْحَوَاسِرِ، فَاللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - بِخِلَافِ ذَلِكَ.



(١) نهج البلاغة بشرح محمد عبده: ٤: ١٠٨.

(٢) التوحيد: ٩٦. معاني الأخبار: ١١.

(٣) (فقال) ساقطة من (ك) و(هـ) و(أ).

(٤) في (أ): يجوز. بياض المضارعة المثناة من تحت.

(٥) أمالي الصدوق: ٣٦٩.

فصل [-٥٢-]

[في التوحيد]

قوله - تعالى - : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾^(١).

قولهم : إنّ الله واحدٌ ثلاثة، أشياء مناقضة، لأنّ الواحد ما^(٢)، لا بعض له، وثلاثة، ما له بعض. فكأنهم قالوا: لا بعض له، وله بعض. ويُنزّل منزلة قول القائل في الشيء الواحد: إنّهُ موجودٌ، معدومٌ، قديمٌ، محدثٌ.

وكل ما سوى الله، فهو غيرٌ واحدٍ، لأنّه إمّا أن يكون بالصفة، والتركيب، كالعدد، والجمع. أو بالصفة، والصورة كالجوهر، والعرض^(٣)، [أو بالتولّد، كالأصل، والفرع، أو بالمكان. كالعرض، والطول]^(٤)، أو بالوهم^(٥) كالعقل، والنفس، أو بالاعتدال، كالطبع، والموت، أو في مقابلة شيء، كالمثل، والشبه،

(١) المائدة: ٧٣.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ) و(ح): منّا.

(٣) في (ح): الغرض. بالعين المعجمة.

(٤) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش).

(٥) في (ش): بالهم.

أو بالعنصر^(١) كالهيوئى، والعنصر، أو بالعدد كالمكان، أو بالمُدَد كالأزمان، أو بالحد، كالصورة، أو لقبول شيء كالتأصية، أو للوهم كالمشكوك، أو للوجود، والعدم، كالضد، أو^(٢) للوقف.

والواحد - على الحقيقة - هو الله - تعالى - . وكل مخلوق بنفسه، اثنان: جسم، وروح. ومن اثنين: من ذكر، وأنثى. وبأثنين: بالطعام، والشراب. وفي اثنين: في الليل، والنهار. وبين اثنين: بين السماء، والأرض. [و]^(٣) مع اثنين: مع الشمس، والقمر.

ولا تخلو من اثنين: [من]^(٤) الحركة، والسكون. وكذلك: من الغنى، والفقر، والصحة، والمرضى، والنور، والظلمة، والبر، والبحر. والله - تعالى - واحدٌ وحدانيٌّ، ليس معه ثاني^(٥).

ومرَّ الحسنُ بن عليٍّ - عليها السلام - على قاضي، يقول: سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي!

(١) في (ش) و(ك): بالعصر.

(٢) في (ش) و(ك) و(ح): وللوقف. مع الواو.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش) و(أ).

(٥) في (ح): ثانٍ. بتنوين العوض.

[فقال] ^(١): دَعَوَى ^(٢) لِأُنْبِيئِهِ! ثُمَّ قَالَ لَهُ: شَعْرَاتُ رَأْسِكَ شَفَعٌ، أَمْ وَتَرٌ؟

فتحير الرجل. فستل الحسن - عليه السلام - عن ذلك، فقال: شفَعٌ.

لقوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ ^(٣). والوتر ^(٤): هو الذي لا شريك له.

قوله - سبحانه -: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾ آية ^(٥) الكرسي، ردُّ

على جميع الكفرة.

فَاللَّهُ، ردُّ على الدهرية ^(٦)، لأنَّ فيه إثباتاً ^(٧)، وإثم قالوا بالنفي أصلاً.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ^(٨): ردُّ على الثنوية ^(٩)، لأنهم قالوا: الله خالق الخير،

وإيليس خالق الشر، وهو شريك الله.

(١) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش) و(ك) و(أ).

(٢) في (ح): دعوى.

(٣) الذاريات: ٤٩.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): الفرد.

(٥) البقرة: ٢٥٥.

(٦) الملل والنحل: ٢: ١٢٢٩.

(٧) في (ش) و(ك) و(أ): إثبات. من دون تنوين النصب.

(٨) البقرة: ٢٥٥.

(٩) الملل والنحل: ٦٢٤.

﴿ الْحَيِّ ﴾^(١)، ردُّ على من عبد صنماً، أو وثناً.

﴿ الْقِيَوْمِ ﴾^(٢): ردُّ على أصحابِ الطَّبائعِ، حيثُ قالوا بالكُفْمونِ والظُّهورِ.

﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾^(٣): ردُّ على من قالَ بالهَيْبَةِ عَزِيزًا، وَعَيْسَى. وردُّ

على جهم، فإنَّه قال: إنَّه عالمٌ بعلمِ محدثٍ، فيجوزُ عليه السَّهْوُ.

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾^(٤): ردُّ على الْمُفَوَّضَةِ^(٥) أنَّه خلقَ

العالمَ، وفوَّضَ أمرَهُ إلى شخصٍ مُحدِّثٍ. وعلى من قالَ ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ

أَغْنِيَاءُ ﴾^(٦).

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ ﴾^(٧): ردُّ على مَنْ نَمَى الشَّفَاعَةَ.

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾^(٨): ردُّ على الجبريَّةِ^(٩)، حيثُ قالوا:

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) البقرة: ٢٥٥.

(٤) البقرة: ٢٥٥.

(٥) الملل والنحل: ١: ١٣٥ - ١٣٦.

(٦) آل عمران: ١٨١.

(٧) البقرة: ٢٥٥.

(٨) البقرة: ٢٥٥.

(٩) الملل والنحل: ١: ١٤٢.

إنه^(١) عالمٌ بعلمٍ، وقادرٌ بقدرته.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(٢): ردُّ على الكهنة، والمنجمين،

فبما يعتقدونه في الكواكب.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٣): ردُّ على الفلاسفة حيثُ قالوا:

العالم^(٤)، أرض، وأفلاك فقط.

﴿وَلَا يُوَدُّهُ حِفْظُهُمْ﴾^(٥): ردُّ على اليهود في قولهم: إنَّ الله أعبأ بخلق أوليهم،

فاستراح يوم السبت.

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^(٦): ردُّ على الثنوية، لثبوت التمانع.

قوله - سبحانه -: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾^(٧)، فيكون

مربوباً. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾^(٨)، فيكون عاجزاً، محتاجاً إلى غيره.

(١) في (ك): إنَّ الله.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) البقرة: ٢٥٥.

(٤) في (أ): العلم.

(٥) البقرة: ٢٥٥.

(٦) البقرة: ٢٥٥.

(٧) الإسراء: ١١١.

(٨) الإسراء: ١١١.

لِعَيْنِهِ^(١). ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذُّلَّةِ﴾^(٢) أي: لم يكن له حليف، حالفه، لينصره على من يُناوئه، لأن ذلك صفةٌ ضعيف^(٣) عاجز.

وهذه الآية، ردُّ على اليهود، والنصارى، حيث قالوا: إِنَّا نَحْنُ اللهُ وَلَدًا. وَعَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ، حَيْثُ قَالُوا: لِيَبَّكَ اللَّهُمَّ لِيَبَّكَ، لِيَبَّكَ لَا^(٤) شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكَ هُوَ لَكَ تَمَلُّكُهُ، وَمَا مَلَكَ. وَعَلَى الصَّائِبِينَ وَالْمَجُوسِ، حَيْثُ قَالُوا: لَوْلَا أَوْلِيَاءُ اللهُ، لَدَلَّ اللهُ - تَعَالَى عَنِ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا -.

وَ«الْحَمْدُ» فِي الْآيَةِ، لَيْسَ هُوَ عَلَى أَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا حَمْدٌ عَلَى أفعالِهِ الْمَحْمُودَةِ، وَوُجَّهٌ إِلَى مِنْ هَذِهِ صِفَّتُهُ^(٥)، لَا مِنْ أَجْلِ أَنْ ذَلِكَ صِفَّتُهُ، كَمَا تَقُولُ: أَنَا أَشْكُرُ فَلَانًا الطَّوِيلَ / ٥٧ / الْجَمِيلَ. لَيْسَ إِنَّكَ تَشْكُرُهُ عَلَى جَمَالِهِ، وَطَوِيلِهِ، بَلْ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَعْلِهِ.

قَوْلُهُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(٦)، وَقَوْلُهُ: ﴿قُلِ

(١) فِي (هـ) وَ(أ): بِعَيْنِهِ. مِنْ دُونَ (لَامِ) التَّعْلِيلِ.

(٢) الْإِسْرَاءُ: ١١١.

(٣) فِي (ش): ضَعْفٌ.

(٤) فِي (أ): وَلَا. مَعَ الْوَاوِ.

(٥) فِي (أ): صِفَةٌ. مِنْ دُونَ إِضَافَتِهِ إِلَى الضَّمِيرِ (الْهَاءِ).

(٦) الْأَعْرَافُ: ١٨٠.

ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿١﴾.

إنَّها أمره بذلك، لأنَّ مُشْرِكِي قَوْمِهِ، لَمَّا سَمِعُوا النَّبِيَّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَدْعُو رَبَّهُ - تَارَةً - بِأَنَّهُ اللَّهُ، وَتَارَةً بِأَنَّهُ الرَّحْمَنُ، ظَنُّوا أَنَّ^(١) [لَهُ] ^(٢) إلهين. حَتَّى قَالَ بَعْضُهُم: الرَّحْمَنُ، رَجُلٌ بِالْيَمَامَةِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، إِحْتِجَاجاً لِنَبِيِّهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِذَلِكَ، وَأَنَّهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَإِنْ اِخْتَلَفَتْ أَسْمَاؤُهُ، وَصِفَاتُهُ.

وَقَالَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِيِّ لِابْنِ عَبَّاسٍ: تُفْتِي فِي النَّمْلَةِ، وَالْقَمَلَةِ. صِفُّ لَنَا إِهْلِكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ.

فَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ - عَلَيْهَا السَّلَامُ -^(٣): يَا نَافِعُ. مَنْ وَضَعَ دِينَهُ عَلَى الْقِيَّاسِ، لَمْ يَزَلْ - الدَّهْرَ - فِي الْارْتِمَاسِ، مِثْلًا عَنِ الْمُنْهَاجِ، ظَاعِنًا^(٤) فِي الْأَعْوِجَاجِ، ضَالًّا عَنِ السَّبِيلِ، قَاتِلًا غَيْرَ الْجَمِيلِ.

يَا ابْنَ الْأَزْرَقِيِّ. أَصِفْ إلهي بما وصفَ [به] ^(٥) نَفْسَهُ، وَاعْرِفْهُ بِمَا عَرَفَ بِهِ^(٦)

(١) الإسراء: ١١٠.

(٢) في (ش) و(ك) و(أ): أنه.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (هـ). وبها يستقيم الكلام معنى وإعراباً.

(٤) (السلام) ساقطة من (هـ).

(٥) في (ح): طاعياً.

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من (ح).

(٧) في (ك) و(ح): به هو.

نفسه. لا يُدركُ بالحواس، ولا يُقاسُ بالناس، فهو قريبٌ غيرٌ ملتصق، وبعيدٌ غيرٌ منفصل، يوحدُ، ولا يبعثُ. معرُوفٌ بالآيات، موصُوفٌ بالعلاقات. لا إله إلا هو الكَبِيرُ الْمُتَعَالِي^(١).



(١) التوحيد: ٨٠ عن الحسين بن علي (عليه السلام).

فصل [-٥٣-]

[في التوحيد]

قوله - تعالى^(١) - : ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾^(٢).

المعنيون^(٣) - بذلك - طائفتان:

أحدهما: كفَّارُ العرب، فإيَّهم قالوا: الملائكةُ بناتُ الله.

والأخرى: النَّصارى، الَّذِينَ قالوا: ﴿ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾^(٤).

فكذَّبَ الفريقين، فقالَ في العربِ: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَّبِّكَ ابْنَاتٌ وَلَهُمْ

الْبُنُونَ... ﴾ الآياتُ^(٥).

وقال قتادة^(٦)، والسُّديُّ^(٧): كانت قريشُ تقولُ: الملائكةُ بناتُ الله، فنزلتِ

(١) في (ح): سبحانه.

(٢) يونس: ٦٨.

(٣) في (ش): المعنوي.

(٤) التوبة: ٣٠.

(٥) الآيات: ١٤٩ - ١٥٣ من سورة الصافات.

(٦) جامع البيان: ٢٣: ١٠٦. الدر المشور: ٧: ١٣٣.

(٧) جامع البيان: ٢٣: ١٠٦.

الآية على وجه التقرير: أن يقول: كيف يكون لربك البنات - يا محمد - ولهم البنون مع قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾^(١)، وقوله: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾^(٢)؟ ومن اصطفي الأدون على الأفضل - مع القدرة - كان ناقصاً. ومن أين علموا أن الملائكة إناث؟ أشهدوا خلق الله لهم، قرأوهم إناثاً؟

إلا أنهم - من إفكهم - ليقولون: ولد الله. إنما يتخذ الولد، من يجوز أن يكون مثل ذلك، قد ولد. وذلك مستحيل. ولذلك استهزئ بمن قال: الملائكة بنات الله، فقيل: من أمهن؟ وأما جواب النصارى، فقد ذكرناه في الفصل الأول^(٣).

قوله - سبحانه -: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾^(٤).

لا يجوز عليه - تعالى -^(٥) التبني، لأن التبني، إقامة المتخذ لولد غيره، مقام

(١) النحل: ٥٨.

(٢) الصافات: ١٥٣.

(٣) انظر الفصل الرابع من الباب الأول بترقيمنا.

(٤) الأنبياء: ٢٦.

(٥) (تعالى) سقطت من (ح).

ولِدِهِ، لَوْ كَانَ لَهُ.

فَإِذَا اسْتَحَالَ أَنْ يَكُونَ لَهُ - تَعَالَى - وَوَلَدًا^(١) عَلَى الْحَقِيقَةِ، اسْتَحَالَ أَنْ يَقُومَ
وَلَدًا^(٢) غَيْرِهِ، مَقَامَ وَلَدِهِ.

فَلِذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُشَبَّهَ بِخَلْقِهِ عَلَى وَجْهِ الْمَجَازِ، لَمَّا لَمْ يَكُنْ مَشَبَّهًا بِهِ عَلَى^(٣)
الْحَقِيقَةِ.

وَحَقِيقَةُ الْوَالِدِ، مَنْ وُلِدَ^(٤) عَلَى فِرَاشِهِ، أَوْ خُلِقَ مِنْ مَائِهِ، وَلِذَلِكَ لَا يُقَالُ:
تَبَنَّى الشَّابُّ شَيْخًا. وَلَا: تَبَنَّى الْإِنْسَانُ بَيْعَةً.

وَلَمَّا اسْتَحَالَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ، صَارَ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ مُسْتَحِيلَةً فِيهِ.

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: اتَّخَذَهُ وَوَلَدًا. إِذَا اخْتَصَّهُ بِضَرْبٍ مِنَ الْمَحَبَّةِ، لِأَنَّ [فِي]^(٥)
ذَلِكَ، إِخْرَاجَ الشَّيْءِ عَنْ حَقِيقَتِهِ، كَمَا أَنَّ تَسْمِيَةَ مَا لَيْسَ بِطَوِيلٍ: عَرِيضًا، عَمِيقًا
جَسْمًا، إِخْرَاجَ لَهُ عَنْ حَقِيقَتِهِ.

(١) فِي (هـ): وَلَدًا. بِتَوِينِ النَّصْبِ.

(٢) فِي (هـ): وَلَدًا. بِتَوِينِ النَّصْبِ.

(٣) فِي (ح): عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ.

(٤) فِي (أ): وَلَدِهِ.

(٥) مَا بَيْنَ الْمَعْرُوفَتَيْنِ سَاقِطَةٌ مِنْ (ش).

قوله - سُبحَانَهُ -: ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^(١).

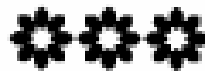
أما الحِلَّةُ، فقد جازت عليه - تعالى - لأحد شيئين:

أحدهما: أن الحِلَّةَ، إخلاصُ المودَّةِ التي تُوجبُ الإختصاصَ، بتخلُّلِ الأسرارِ^(٢). فلما جازَ أن يُطَّلِعَ اللهُ - تعالى -^(٣) إبراهيمَ - عليه السلام - على أمورٍ، لا يُطَّلِعُ عَلَيْهَا غَيْرُهُ، تشریفاً له، اتَّخَذَهُ خَلِيلًا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ.

والثاني: إنَّ الحِلَّةَ - بالفتح - هِيَ الحَاجَةُ. قَالَ زُهَيْرٌ^(٤):

وإنَّ أناةَ خَلِيلٍ يَوْمَ مَسْفِيَةٍ [يقولُ لا غائبَ مالي ولا حرمُ]

وإنَّما إختَصَّ إِبْرَاهِيمُ - عليه السلام^(٥) - بذلك، لأنَّ قِطَاعَهُ عَنِ الخَلْقِ، وتوكُّلُهُ عَلَى الخَالِقِ.



(١) النساء: ١٢٥.

(٢) في (ش): الأشرار. بالشين المعجمة.

(٣) (تعالى) ساقطة من (هـ).

(٤) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى. صنعة أبي العباس ثعلب: ١٥٣. ومنه تمام البيت. وفيه: يوم

مسألة.

(٥) (عليه السلام) سقطت من (ح).

فصل [٥٤] -

[في الإيمان والإسلام]

قوله - تعالى - ^(١): ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا
وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ ^(٢).

الإيمانُ هو التصديقُ بالقلبِ، ولا إعتبارَ بما يجري على اللسانِ. وهو ^(٣) - في
وضع اللُّغَةِ - التصديقُ. وليسَ باسمِ لأفعالِ الجوارحِ. يقالُ: فلانٌ يؤمنُ بكذا.
وقال اللهُ - تعالى -: ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ ^(٤)، وقال: ﴿ يُؤْمِنُونَ
/ ٥٨ / بِالْحَبِيبِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ ^(٥)، وقال: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا
صَادِقِينَ ﴾ ^(٦)، أي: بمصدقني ^(٧) الحقُّ. وقال: ﴿ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ

(١) في (ح): سبحانه.

(٢) الحجرات: ١٤.

(٣) في (أ): فهو. مع الفاء.

(٤) البقرة: ٥٥.

(٥) النساء: ٥١.

(٦) يوسف: ١٧.

(٧) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): بمصدقني في الحقِّ.

الحساب^(١)، وقال: ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(٢)، وقال: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^(٣)، كذبهم الله مع إظهار الشهادة. وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾^(٤)، وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٥)، أخبر أنهم مؤمنون^(٦). وإن لم يهاجروا. وقال: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾^(٧)، يدل على أنه يكون مؤمناً، وإن لم يعمل الصالحات. وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٨)، فرق بين الإيمان، والأعمال. وقال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا...﴾^(٩) إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾^(١٠)، فسأهم^(١١) - في حال البغي والمعصية - أخوة للمؤمنين.

(١) غافر: ٢٧.

(٢) النحل: ١٠٦.

(٣) المنافقون: ١.

(٤) الأنعام: ٨٢.

(٥) الأنفال: ٧٢.

(٦) في (هـ): يؤمنون. بصيغة المضارع المسند إلى واو الجماعة.

(٧) طه: ٧٥.

(٨) يونس: ٩. وفي أكثر من موضع من القرآن الكريم.

(٩) الحجرات: ٩.

(١٠) الحجرات: ١٠.

(١١) في (هـ): فسؤاهم.

وقال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾^(١)، حكى عنهم كراهة الحق، والجِدَالِ فيه بعد وُضُوْحِهِ، مع تسميتهم بالإيمان.

وقال: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾^(٢)، العمل لا يُطْلَقُ إلا على أفعال الجوارح، لأنهم لا يقولون: عَمِلْتُ بِقَلْبِي. وإنما يَقُولون: عَمِلْتُ بيدي، أو بِرِجْلِي. ثم إن هذا، مجازٌ يُحْمَلُ على الصُّرُورَةِ، وكلامنا مع الإطلاق.

قال سعيد^(٣) بن جبّير: جاء بنو أسد إلى النبي - عليه السلام - في سنة جدية^(٤)، وأظهروا الإسلام، يطلبون الخير، فأخبر الله - سبحانه - بذلك، ليكون معجزة له، فقال: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾^(٥)، أي: خضعنا.

والإسلام^(٦)، هو الاستسلام. أنس: قال النبي^(٧) - عليه السلام -: الإسلام

(١) الأنفال: الآيات ٥ - ٦.

(٢) البقرة: ٦٢.

(٣) جامع البيان: ٢٦: ١٤٢ باختلاف في اللفظ. أيضاً: مجمع البيان: ٥: ١٣٨ وفي أسباب النزول للواحد: ٢٦٥ - ٢٦٦. دون عزو الرواية إلى أحد.

(٤) في (ش) و(ك) و(أ): جدية. بالذال المعجمة. والسنة الجدية: التي يُحْتَسَبُ بها المطر.

(٥) الحجرات: ١٤.

(٦) في (أ): الإسلام. من دون الواو.

(٧) الكافي: ٢: ٦، ٢٤ عن الصادق (عليه السلام) بلفظٍ مختلف. الإرشاد: ٣١٤ بلفظه عن الصادق

(عليه السلام). إعلام الوري: ٢٧٥ عن الصادق (عليه السلام) بلفظه. الاحتجاج: ٢: ١٢٥.

التوحيد: ٢٢٣ عن الصادق (عليه السلام) بلفظه.

قَبْلَ الْإِيْمَانِ، وَعَلَيْهِ يَتَوَازَنُونَ، وَيَتَنَاقِحُونَ. وَالْإِيْمَانُ عَلَيْهِ يُثَابُونَ.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١)، وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(٢)، وقوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٣)، يدلُّ على أنَّ الإسلامَ، هو الإيمانُ، على الحقيقة، ومتى عرِّي عنه، كان مجازاً.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾^(٥).

إنما أرادَ مَنْ أظهرَ الإيمانَ فقط.

قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(٦). قال

(١) الذاريات: الآيات ٣٥-٣٦.

(٢) آل عمران: ٨٥.

(٣) آل عمران: ١٩.

(٤) المتحنة: ١٠.

(٥) النساء: ٩٢.

(٦) يوسف: ١٠٦.

ابن عباس^(١)، ومجاهد^(٢)، وقادة^(٣): وما يؤمن أكثرهم بالله في إقراره: بأنه الخالق، إلا وهو مُشركٌ بعبادة الأوثان. تقديره: أنهم ما يُصدّقون بعبادة الله، إلا وهم يُشركون الأوثان معه في العبادة.

وقال الرّماني: لا تنافي بين أن يؤمنوا بالله من وجوه، ويكفروا به من وجوه آخر، كما قال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾^(٤). وأنكره البلخي^(٥)، وقال: إنما هو في المنافقين: يؤمنون في الظاهر، ويُشركون في الباطن. والمعنى الصحيح: أنه لا يؤمن أكثرهم، إلا وأشرك في توحيدِه وعدليه.



(١) جامع البيان: ١٣: ٧٧. أيضاً: مجمع البيان: ٣: ٢٧٦. التفسير الكبير: ١٨: ٢٢٤.

(٢) جامع البيان: ١٣: ٧٧. الجامع لأحكام القرآن: ٧: ٢٧٢.

(٣) جامع البيان: ١٣: ٧٧.

(٤) البقرة: ٨٥.

(٥) مجمع البيان: ٣: ٢٦٧.

فصل [- ٥٥ -]

[في الإيمان]

قد استدلت المعتزلة على أن الطاعات من الإيمان، بآيات: منها قوله - تعالى -: ﴿مِمَّا أَمُرُوا بِالْإِيبَادَةِ وَاللَّيْبِ بِذُنُوبِهِمْ أَلَّا يُعْبِدُوا اللَّهَ مَخْلِطِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾^(١). ولفظة «ذلك»، عبارة عن الواحد، فكيف يكون عبارة عن جميع ما تقدم.

ثم أن لفظة «ذلك»، كناية^(٢) عن التذكير^(٣)، والعبادات - التي تقدم ذكرها - إنما يُشارُ إليها بلفظة «تلك»، وينبغي أن تكون^(٤) عِدَّة الشُّهُورِ في قوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾^(٥). من الدين.

ومنها قوله - سبحانه -: ﴿يَسِّرْ لِلْمُسْلِمِينَ بِعَدَدِ الْإِيمَانِ﴾^(٦)، لا يبدل

(١) الآية: ٥.

(٢) في (أ): كتابة.

(٣) في (أ): التذكرة.

(٤) في (هـ): يكون.

(٥) التوبة: ٣٦.

(٦) الحجرات: ١١.

على بطلان حُكْمِ الإِيْمَانِ، وارتفاعِ التَّسْمِيَةِ بِهِ. وقد قال - تعالى - : ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾^(١)، ومعلومٌ أنَّ التَّفَرِّقَ لِمَا حَدَّثَتْ بَعْدَ الْبَيِّنَةِ، لم تُبْطِلْ حُكْمَ الْبَيِّنَةِ، بل كانت ثابتةً / ٥٩ / على ما كانت عليه، وإنما أرادَ - تعالى - بعد مجيء البَيِّنَةِ.

ثمَّ إنَّ هذا الاستدلالَ، مَبْنِيٌّ عَلَى الْقَوْلِ بِالْعَمُومِ، ونحنُ نخالِفُ فِيهِ، وإذا جازَ أن يكونَ لفظُ الفُسُوقِ، مَخْصُوصاً، جازَ أن يُجْمَلَ على حُكْمِ الفُسُوقِ.

ومنها قولُهُ - سُبحانَهُ - : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾^(٢). أرادَ بِهِ التَّصْديقَ الَّذِي لا يَعْرِفُ الْقَوْمُ - فِي الإِيْمَانِ - سِوَاهُ. وَالْقُرْآنُ غَيْرُ نَاطِقٍ بِأَنَّ الإِيْمَانَ، الْمُرَادُ بِهِ الصَّلَاةُ، وَلا مُعَوَّلٌ - فِي مِثْلِ ذَلِكَ - عَلَى أَحْبَابِ آخَادٍ.

ومنها قولُهُ - سُبحانَهُ - : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾^(٣)، لا يَقْتَضِي نَفْيَ اسْمِ الإِيْمَانِ عَمَّنْ لم يَكُنْ بِالصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ فِيهَا، وَإِنَّمَا يَقْتَضِي التَّفْضِيلَ، وَالتَّعْظِيمَ، فَكَأَنَّهُ - تعالى - قال^(٤): إِنَّمَا أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ، وَخِيَارُهُمْ مَنْ فَعَلَ كَذَا، وَكَذَا. كما تقولُ^(٥): الرَّجُلُ مَنْ يَضْبُطُ نَفْسَهُ

(١) البَيِّنَةُ: ٦.

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) الأنفال: ٢.

(٤) قال ساقطة من (هـ).

(٥) في (هـ) و(أ): يقول.

عِنْدَ الْغَضَبِ. وَإِنْ كَانَ مَنْ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ لَا يَخْرُجُ^(١) مِنْ أَنْ يَكُونَ رَجُلًا.



قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾^(٢).

كان ذلك إيماناً إلهياً، لا يستحقُّ به الثواب، كما لا يستحقُّ بالإيمان الضَّروري، وهذا كقوله: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾^(٣).



قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾^(٤).

إنما لا يقبلُ معذرتهم، لأنهم مُلَجَّؤُونَ في تلك الحال.
﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾. أي: لا يقبلُ عنهم، ولا يقبلُ منهم الإعتاب^(٥).



(١) في (أ): تخرج. بناء المضارعة المثناة من فوق بعدها جيم معجمة من تحت.

(٢) يونس: ٩٠.

(٣) غافر: ٥٨.

(٤) الزوم: ٥٧.

(٥) أعتب: أَرْضَاهُ بَعْدَ الْعِتَابِ. وفي المثل: «مَا مِيبِيَّةٌ مِّنْ أَعْتَبَ»، «المعجم الوسيط - عَتَبَ».

فصل [- ٥٦ -]

[في الإيمان]

وقد تَعَلَّقَتِ الحَوَارِجُ في تَكْفِيرِ كُلِّ عاصِرٍ، بِآيَاتِ:

منها قوله - تعالى - : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَخُكِّمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ ﴾^(١).

لفظة «مَنْ»، تُعْمُ^(٢)، وتُخَصُّ^(٣). وإِنَّمَا يُعْلَمُ أَحَدُهُمَا بِدَلِيلٍ.

ومنها قوله - سُبحَانَهُ - : ﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلْفُظِي لا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾^(٤).

هذه^(٥) الآيةُ إِنَّمَا يُسْتَفَادُ - بظَاهِرِهَا - أَنَّ النَّارَ المُتَلَفِظِيَّةَ^(٦)، الموصوفةَ في الآيةِ،

(١) المائة: ٤٤.

(٢) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): يعم. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٣) في (أ): يختص. وفي (ش) و(ك) و(هـ): يخص. بياء المضارعة المثناة من تحت.

(٤) الليل: الآيات ١٤ - ١٦.

(٥) في (هـ): وهذه. مع الواو.

(٦) في (أ): المتلفظة.

لا يَصْلَاهَا إِلَّا مَنْ كَذَّبَ، وَتَوَلَّى، فَلْيَدُّوا^(١) - بعد ذلك - على أنه لا نازَ اللهُ بِسَوَى هذه النَّارِ الموصوفة.

ومنها قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَوُجُوهُ يُؤْمِنُ عَلَيْهَا غَبْرَةٌ﴾^(٢)، لا يدلُّ على أنَّ هُنَاكَ وُجُوهُ أَقْوَامٍ، ليست بهذه الصِّفَةِ بل بصفةٍ أُخرى: إمَّا أنَّ [لا]^(٣) يكونَ عليها غَبْرَةٌ، بل سِمَةٌ أُخرى. أو بأنَّ يكونَ عليها غَبْرَةٌ ولا تَلْحَقُهَا قَتْرَةٌ.

ولو دلَّ ذلك على ما قالوه، لَوَجِبَ أنَّ يَدُلَّ قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهُ وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ﴾^(٤)، على أنَّ كُلَّ مَنْ لا يَبْيَضُّ وَجْهَهُ من المؤمنين، يجبُ أن يكونَ مُرْتَدًّا، لأنَّهُ - تعالى - قال لهم: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾^(٥). والخوارِجُ لا تقولُ ذلك، لأنَّ من المعلوم^(٦)، أنَّ - هاهنا - كُفَّاراً^(٧)، من الأَصْلِ، ليسوا بِمُرتدِّينَ عن الإسلام.

ومنها قوله - سُبْحَانَهُ -: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهُ وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ﴾. ليست مِن أَلْفَاظِ العُمومِ عندَ أَحَدٍ، فغيرُ مُتَّعٍ أن يكونَ اللهُ - تعالى - أرادَ بَعْضَهَا، أو أرادَ

(١) في (ش): فليستدُّوا.

(٢) عيس: ٤٠.

(٣) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش) و(ك) و(أ).

(٤) آل عمران: ١٠٦.

(٥) آل عمران: ١٠٦.

(٦) في (أ): العِلْم.

(٧) في (هـ): كُفَّار. من دون تنوين النصب.

سَوَادًا مَخْصُوصًا، يُلْحَقُ [هذه] ^(١) الوجوه، وإن لم يكن لاجتقاً بها.

ومنها قوله - سبحانه ^(٢) - : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ ^(٣). لا يَمْتَنِعُ مِنْ أَنْ تَكُونَ مُحِيطَةً بِغَيْرِهِمْ أَيْضًا.

ومنها قوله - سبحانه ^(٤) - : ﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ ^(٥). لو اقتضى نفي المجازاة عَمَّنْ لَيْسَ بِكَفُورٍ، لاقتضى أن يكون المؤمنُ غَيْرَ مُجَازَى بِإِيَابِهِ وَطَاعَتِهِ. وَيُمْكِنُ أَنْ يُحْمَلَ ^(٦) الجزء على الاصطلاح في الدنيا، لأنَّ الله - تعالى - أَجْرَى الْعَادَةِ، أَنْ يُعَاقِبَ - بهذا ^(٧) الضَّرْبِ مِنَ الْجَزَاءِ ^(٨) - الْكُفَّارَ، دُونَ غَيْرِهِمْ، كَمَا قَالَ: ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ﴾ الآية ^(٩).

ومنها قوله - سبحانه ^(١٠) - : ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ ^(١١). والمؤمنُ

(١) ما بين المعقوفتين ساقطة من (ش).

(٢) في (ح): تعالى.

(٣) التوبة: ٤٩.

(٤) سبأ: ١٧.

(٥) في (ش): بحمله. مع الضمير (الهاء).

(٦) في (ش): بهيؤ.

(٧) في النسخ جميعها: جزاء. من دون (أل). وجعلناها مع (أل) لما يتطلبه المعنى.

(٨) سبأ: ١٦.

(٩) التوبة: ٦٦.

- عندنا - لا يجوز أن يكفر، لأنه يؤدي إلى اجتماع استحقاق الثواب الدائم،
والعقاب الدائم معاً، ليطلان التحايط. والإجماع يمنع^(١) من ذلك.
فالوجه فيه: لا تعتذروا المعاذير الكاذبة، فإنكم - بما فعلتموه - قد كفرتم،
بعد أن كنتم مظهرين الإيمان الذي يحكم - لمن أظهره - أنه مؤمن.
ومنها قوله - سبحانه -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ
ازدادوا كفراً﴾^(٢). المراد به: من أظهر الإيمان. وليس كل من أظهر الإيمان، يكون
مؤمناً على الحقيقة في باطنه عند الله - تعالى - لجواز أن يكون ما أظهره نفاقاً،
[أو]^(٣) واقعاً عن تقليد. والثواب إنما يستحق بالإيمان الحقيقي. أو^(٤) يكون
بحكم الظاهر، كما قال: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ / ٦٠ / إِلَى
الْكَفَّارِ﴾^(٥)، وكما قال: ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾^(٦).
ومنها قوله - سبحانه -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازدادوا
كفراً﴾^(٧).

(١) في (ش): يمتنع.

(٢) النساء: ١٣٧.

(٣) ما بين المعقوفين ساقطة من (ش) و(هـ) و(أ).

(٤) في (هـ): ويكون. مع الواو.

(٥) المتحنة: ١٠.

(٦) النساء: ٩٢.

(٧) آل عمران: ٩٠.

قال الحسن^(١)، وقفاة^(٢)، وعطاء^(٣): نزلت في اليهود، كفروا^(٤) يعيسى، والإنجيل، ثم ازدادوا كفراً بمحمد [صلى الله عليه وآله]^(٥) والقرآن. وقال أبو العالية^(٦): نزلت في اليهود، والنصارى، كفروا^(٧) بمحمد [صلى الله عليه وآله]^(٨) بعد إيمانهم بنعمته، وصدقته، ثم ازدادوا كفراً بإقامتهم على كفرهم.

ومنها قوله - سبحانه - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾^(٩).

أي: الذين آمنوا باللسان ظاهراً، آمنوا بالجنان باطناً.

قال مجاهد^(١٠)، وابن زيد^(١١): يعني - بذلك - أهل النفاق. إنهم آمنوا، ثم

(١) أسباب النزول للواحي: ٧٥. الدر المنثور: ٢: ٢٥٨.

(٢) جامع البيان: ٥: ١٢٧. أيضاً: مجمع البيان: ١: ٤٧٢. أيضاً: أسباب النزول للواحي: ٧٥.

(٣) مجمع البيان: ١: ٤٧٢. أيضاً: أسباب النزول: ٧٥.

(٤) في (أ): كفراً.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من (ح).

(٦) جامع البيان: ٥: ٣٢٧. أسباب النزول للواحي: ٧٥. وفي مجمع البيان: ١: ٤٧٢ هذا القول

منسوب إلى الحسن وفي الدر المنثور: ٢: ٢٥٨ نسبة إلى أبي العالية.

(٧) في (أ): كفراً.

(٨) ما بين المعقوفين زيادة من (ح).

(٩) النساء: ١٣٦.

(١٠) الدر المنثور: ٢: ٧١٧.

(١١) الدر المنثور: ٢: ٧١٧.

إرتدوا، ثم آمنوا، ثم إرتدوا، ثم إزدادوا كفراً على كفرهم.

وقال قتادة^(١): عني - بذلك - الذين آمنوا بموسى، ثم كفروا به، بأن عبدوا العجل ثم آمنوا، يعني النصارى، آمنوا بيسى، ثم كفروا به، ثم إزدادوا كفراً بنبوّة محمد - صلى الله عليه وآله -.

والأول، أقوى. ويكون خطاباً للمنافقين.

وقال الجبائي^(٢)، والبلخي، والزجاج^(٣): الخطاب لجميع المؤمنين، أمرهم الله - تعالى - بأن يؤمنوا به في المستقبل، بأن يستديموا الإيمان، ولا يتقلوا عنه، لأن الإيمان، الذي هو التصديق، لا يبقى، وإنما يستمر بأن يجدده الإنسان حالاً بعد حال. وهذا وجه جيد.

ومنها قوله - سبحانه - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾^(٤). ليس فيها ما يدل على أن المؤمن على الحقيقة - يجوز أن يكفر، لأنه لا يمتنع أن يكون المراد: من رجّع عن إظهار الإيمان، بعد وضوح الأمر فيه، وقيام الحجّة عليه بالصحة.

ومنها قوله - سبحانه - : ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ

(١) مجمع البيان: ٢: ١٢٥. الدر المنثور: ٢: ٧١٦.

(٢) مجمع البيان: ٢: ١٢٥.

(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٢: ١٢٩ - ١٣٠.

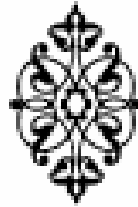
(٤) محمد: ٢٥.

فِيهَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا
وَأَحْسَنُوا^(١).

الإيمانُ الأوَّلُ، هو التصديقُ. والإيمانُ الثاني، هو الاطمئنانُ إلى الصوابِ
بفعله، مع الثقةِ به^(٢).

ومنها قوله - سبحانه - : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾^(٣)، وفي
موضع: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾^(٤).

المرادُ بالأوَّلِ: أنه يذكرُ ثوابه، وإنعامه، فيسكنُ إليه. وبالثاني^(٥): يذكرُ
عقابه، وانتقامه، فيخافه، ويَجِلُّ قلبه.



(١) المائدة: ٩٣.

(٢) في (ش): التقوية. بدلاً من (الثقة به).

(٣) الرعد: ٢٨.

(٤) الأنفال: ٢.

(٥) في (ش) و(ك) و(هـ) و(أ): الثاني. يسقط (الباء).

فهرس الجزء الأول

٧	مقدمة في المؤلف والكتاب
٤٥	دواعي تأليف الكتاب
٤٦	أقوال العلماء في معنى المحكم والمتشابه
٤٨	فائدة معرفة المحكم والمتشابه

[١]

باب ما يتعلق بأبواب التوليد

٥٣	أولية خلق السموات والأرض
٥٤	عظمة خلق السموات والأرض
٥٥	خلق السماء بلا عمد
٥٧	أولية خلق العرش
٥٧	الاحتجاج بخلق السموات والأرض
٥٨	نقض قول الرقائي أن السموات غير الأفلاك

فصل [١]

في بعض الظواهر الكونية

- ٥٩ معنى المشارق والمغارب
- ٦٠ في عدّة أيام خلق السموات والأرض
- ٦١ الأرض كروية مسطوحة
- ٦٢ الاحتجاج بخلق الإبل
- ٦٢ خلق الإنسان من تراب

فصل [٢]

في خلق الإنسان

- ٦٤ مراحل خلق الإنسان من تراب
- ٦٤ خلق الإنسان من نفس واحدة
- ٦٧ خلق الإنسان من سلالة من طين
- ٦٧ معنى قوله ﴿خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾
- ٦٩ معنى قوله ﴿بَنِي آدَمَ﴾
- ٦٩ معنى قوله ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾
- ٧١ معنى ميثاق النبيين
- ٧٢ معنى ميثاق بني إسرائيل
- ٧٢ الله لم يستخرج الذرية من ظهر آدم

فصل [٣]

في خلق حواء وفي معنى القلب وفي أمور أخرى

- ٧٣ خلق آدم وحواء
- ٧٤ عدم جواز أن يكون لإنسان واحد قلبان
- ٧٥ التألف بين القلوب
- ٧٦ معنى ضيق الصدر
- ٧٧ من معاني (أو)
- ٧٩ (الهاء) في قوله (سلكتاه) كناية عن القرآن
- ٨٠ محل العلم والعقل والقلب
- ٨١ التخيل بمعنى الرؤية
- ٨٢ معنى الشبات
- ٨٣ معنى قوله ﴿بَلَّغْتَ الْقُلُوبَ الْحَنَاجِرَ﴾
- ٨٤ معنى قوله ﴿الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾

فصل [٤]

في الملائكة

- ٨٧ إنزال الملك في صورة رجل
- ٨٨ ظهور الملائكة لمريم معجزة
- ٨٩ جواز تصوّر الملائكة بصورة البشر
- ٨٩ معنى وصف الملائكة بالغلظة والشدة
- ٩٠ الملائكة رسل الله وهم لا يعصونه

- الرسول من الناس أيضاً ٩١
- معنى ردّ الملائكة على الله بالسؤال ٩٢
- معنى ﴿سُبْحَانَكَ﴾ ٩٢
- الملائكة لا يخفى عليها شيء مما يفعل البشر ٩٣
- معنى ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ٩٣
- معنى ﴿اضْحَابُ النَّارِ﴾ ٩٤
- بعض أوصاف الملائكة ٩٤
- علة تأخير ذكر جبرائيل وميكايل ٩٥
- ملك الموت ليس واحداً بل هو جنس ٩٦
- هاروت وماروت ٩٧

فصل [٥]

في الجنّ والشيطان

- إبليس من الملائكة ٩٩
- إبليس كان كافراً ٩٩
- احتجاج إبليس على الله ١٠٢
- عداوة إبليس لبني آدم ١٠٣
- مجيء إبليس إلى بني آدم من كلّ جهة ١٠٣
- حرص إبليس على إغواء بني آدم ١٠٤
- ليس لإبليس سلطان على بني آدم ١٠٥
- معنى استعادة الإنس بالجنّ ١٠٦

- ١٠٧ معنى الوسوسة
- ١٠٨ تزيين الشيطان الأعمال
- ١٠٩ ظهور الشيطان في صورة سراقه
- ١١٠ معنى ﴿هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾
- ١١٠ معنى نزع الشيطان
- ١١١ الأمر من الشيطان
- ١١٢ علم إبليس
- ١١٣ معنى ضعف كيد الشيطان
- ١١٤ الصَّرَع ليس من الشيطان
- ١١٤ سلطان الشيطان بالإغواء
- ١١٥ معنى إعادة مريم من الشيطان
- ١١٦ الجن يروننا ولا نراهم
- ١١٦ تسخير سليمان الجنّ
- ١١٧ إهلاك الجنّ
- ١١٧ وجه استمتاع الجنّ بالإنس
- ١١٨ الجنّ مؤمنون
- ١١٨ للجن أزواج

فصل [٦]

في تسبيح المخلوقات لله

- ١١٩ تسبيح الجماد والحيوان

- ١٢١ نسبة القول إلى الحيوان
- ١٢٤ الصلاة للإنسان والتسبيح لكل شيء
- ١٢٤ معنى السجود وتمن يقع
- ١٢٥ إخراج النبات المختلف من التربة الواحدة
- ١٢٧ إجراء الفلك بالرياح
- ١٢٨ نسبة الله التسيير في البر والبحر إلى نفسه
- ١٢٩ المقصود بزينة الأرض

فصل [٧]

في قدرة الله

- ١٣١ القادر على جعل الشجر الأخضر ناراً قادر على الإعادة
- ١٣٢ نار الشجر من قدرة الله
- ١٣٢ علة إظهار البرق وإنشاء السحاب
- ١٣٣ علة الجمع بين الميزان ورفع السماء وإنزال الكتاب
- ١٣٣ لمْ خُصَّ الموزون دون المكيل بالذكر؟
- ١٣٤ معنى ﴿مُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾
- ١٣٤ معنى (اللِّبَاس)

فصل [٨]

في قدرة الله

- ١٣٥ الاختلاف في خلق الدواب

- ١٣٦ الله خلق كل شيء من ماء
- ١٣٧ معنى إرسال الرياح
- ١٣٧ إهلاك عاد
- ١٣٨ كف الله الرياح من الهبوب والنار من الإحراق
- ١٣٨ معنى عرض الأمانة على السموات والأرض
- ١٤٠ معنى بكاء السماء والأرض

فصل [٩]

في إثبات وجوده سبحانه

- ١٤٣ بطلان قول نفاة الأعراض وقولهم ليس غير الأجسام
- ١٤٦ الله يعلم ما لم يكن
- ١٤٧ العرب تخبر عن حساسة الشيء بأنه لا شيء
- ١٤٨ معنى «شَيْءٌ عَظِيمٌ»
- ١٤٩ الموجود لا يوصف بالقدرة عليه أحد
- ١٤٩ معنى خشوع الجبل
- ١٤٩ معنى «يَتَّيَبُّ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ»
- ١٥٠ معنى «انْفِطَارِ السَّمَوَاتِ»
- ١٥١ نسبة الأفعال إلى الله

فصل [١٠]

في بطلان أقوال المتجهمين

- ١٥٣ ليس للكواكب تأثير في أقدار الناس

- بطلان أقوال المنجمين ١٥٥
- الإخبار بالغيب من المعجزات ١٥٧
- الحوادث من الله وليس من الكواكب والنجوم ١٥٧
- الكواكب زينة السماء ١٥٧
- الشمس والقمر في فلك واحد ١٥٨
- الكواكب لا تدبرُ أمراً ١٥٨
- يقال: ضياء الشمس ونور القمر ١٥٩
- النجوم ثلاثة أضرب ١٥٩
- من معاني النجم ١٦٠

فصل [١١]

في صحة الطبّ وفي الرؤيا

- الطب صحيح وعلمه ثابت وطريقه الوحي ١٦١
- في الرؤيا ١٦٤

فصل [١٢]

في معنى العلم الذي أُوتي قارون وفي كتوزه

- معنى العلم الذي أُوتي قارون ١٦٦
- إتاء قارون الكتوز ١٦٧

فصل [١٣]

في السّحر والعين والحسد

- ليس للسّحر حقيقة ١٦٩

- ١٧٠ معنى ﴿الحقّاس﴾
- ١٧٢ حقيقة العين والحسد

فصل [١٤]

في معنى اللّوح وأمّ الكتاب

- ١٧٤ في معنى (اللّوح)
- ١٧٥ معنى (أمّ)
- ١٧٦ اللّوح لا يستى كتاباً
- ١٧٦ اللّوح لا يستى أمّاً

فصل [١٥]

في معنى الكرسي وفي الروح

- ١٧٩ معنى الكرسي
- ١٨٠ اختلاف الناس في الروح

فصل [١٦]

المعارف ليست ضرورية إلا معرفة الله

- ١٨٢ المعارف ليست ضرورية
- ١٨٣ معرفة الله ضرورية
- ١٨٤ المعارف ليست ضرورية

فصل [١٧]

في الحث على النظر والتدبر

- ١٨٥ الحث على النظر لمعرفة الله
- ١٨٦ الدعوة إلى النظر والتدبر
- ١٨٨ الدليل على حدوث العالم

فصل [١٨]

في كون العاقل مطالباً بالحجة وفي ذم التقليد

- ١٩١ العاقل مطالب بالحجة
- ١٩٢ إطاعة غير الله إشراك
- ١٩٣ ذم التقليد

فصل [١٩]

في معرفة الله

- ١٩٥ الطريق إلى معرفة الله
- ١٩٩ صيغة (أفعل) لا تفيد التفضيل دائماً

فصل [٢٠]

في قدرة الله

- ٢٠١ أوجه قدرة الله
- ٢٠٣ دلالة (كُنْ) من الله

- ٢٠٥ لا يقدر على الحياة إلا الله
- ٢٠٥ صيغة (أفضل) تفيد التفضيل
- ٢٠٦ المدبر واحد هو الله
- ٢٠٨ (خلق) بمعنى قدر أو أحدث

فصل [٢١]

في علم الله

- ٢٠٩ لا يخفى على الله شيء
- ٢١٠ الله عالم بغير تعليم
- ٢١١ الله يعلم الأشياء كلها
- ٢١١ الله عالم بذاته
- ٢١٢ الله يعلم جميع المعلومات
- ٢١٢ إحاطة علم الله بكل شيء
- ٢١٢ إحاطة علم الله بعملنا
- ٢١٢ ذكر المفسدين على جهة التهديد
- ٢١٣ دلالة (أعلم)

فصل [٢٢]

في علم الله

- ٢١٦ علم الله حاصل قبل فعل العباد
- ٢١٨ ما ظاهره الشك وما ظاهره اليقين

- ٢١٩ الشك للعباد دون الله
- ٢١٩ (عسى) من الله واجب
- ٢١٩ ليس الله ممن ينسى
- ٢٢٠ معنى النسيان من الله
- ٢٢٠ (نسي) من الله بمعنى: ترك
- ٢٢١ معنى الابتلاء
- ٢٢٢ التعجب لا يجوز على الله
- ٢٢٣ الرؤية بمعنى العلم
- ٢٢٣ الإحصاء بمعنى العلم
- ٢٢٤ التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل
- ٢٢٥ إثبات الأعمال في كتاب
- ٢٢٥ الله لا يغيبُ عنه شيء
- ٢٢٥ حُسْنُ خَلْقِ اللَّهِ وَاسْتَوَائِهِ
- ٢٢٦ الله يعلم كل شيء
- ٢٢٧ من استعمال (الباء)
- ٢٢٨ علم الله لا يتبعض

فصل [٢٣]

من دلائل وجود الله

- ٢٣٠ من دلائل وجود الله
- ٢٣٢ الله غير محدود بزمان ولا مكان

فصل [٢٤]

في معنى ﴿سَمِعَ اللهُ﴾

٢٣٤	(سمع) في اللغة
٢٣٦	ردّ الجواب في اللّغة

فصل [٢٥]

في خلق القرآن

٢٣٩	في خلق القرآن
-----------	---------------

فصل [٢٦]

في كون القرآن محدثاً

٢٤٨	القرآن محدث
٢٤٩	القول من الله محدث
٢٤٩	الله هو محدث القرآن
٢٥٠	الأمر غير الخلق
٢٥١	في إنزال القرآن
٢٥٢	معنى ﴿مُنشَأَهَا﴾

فصل [٢٧]

في معنى كون الله هو الغنيّ

٢٥٣	اللهُ غنيّ
-----------	------------

- ٢٥٤ قرض الله مجاز لا حقيقة
- ٢٥٦ إرادة الله محدثة
- ٢٥٦ مشيئة الله محدثة

فصل [٢٨]

في تنزيه الله عن الجسمية

- ٢٥٧ معنى قرب الله
- ٢٥٨ معنى القرب من الله
- ٢٥٩ الله ليس جسماً
- ٢٦٠ الله يوصف بأنه شيء

فصل [٢٩]

في معنى العرش والاستواء

- ٢٦٣ معنى العرش
- ٢٦٥ من معاني الاستواء
- ٢٦٩ معنى استوائه إلى السماء
- ٢٦٩ معنى قوله ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾
- ٢٧٠ معنى قوله ﴿يَضَعُدُ الْكَلِمُ﴾
- ٢٧٠ معنى عروج الملائكة والروح
- ٢٧١ معنى ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾
- ٢٧١ معنى ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾

فصل [٣٠]

نفي وصف الله بالمكان

٢٧٣ (مقام) مصدر ولا يتعلّق بالمكان

فصل [٣١]

نفي المكانيّة عن الله

٢٧٦ من وجوه استعمال (عند)

٢٧٨ من وجوه استعمال (فوق)

٢٧٩ معنى ﴿مِنْ قَوْفِهِمْ﴾

٢٧٩ معنى ﴿وَقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾

٢٨٠ معنى ﴿يُعْرَضُونَ﴾

٢٨١ معنى ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

٢٨١ معنى ﴿مُتَحَاوِنَاتًا فِي اللَّهِ﴾

٢٨٢ من معاني (مع)

٢٨٢ من وجوه استعمال (بين)

٢٨٣ الرجوع لا يعني المكان

٢٨٥ المرجع مصدر أو موضع الرجوع

٢٨٥ معنى ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

٢٨٦ معنى ﴿إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾

فصل [٣٢]

نفي المكانيّة عن الله

٢٨٩ (إلى) بمعنى (مع)

- ٢٩٠ معنى ﴿رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾
- ٢٩١ معنى (الحجاب)
- ٢٩٢ الحجاب لا يعني المكانية

فصل [٣٣]

نفي التجسيم عن الله

- ٢٩٥ من معاني (نفس)
- ٢٩٧ النفس لا تعني الجسد
- ٢٩٩ معنى ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ﴾
- ٢٩٩ عود الضمير في (لنفس)

فصل [٣٤]

نفي التجسيم عن الله

- ٣٠٠ من معاني (العين)

فصل [٣٥]

نفي التجسيم عن الله

- ٣٠٣ معنى ﴿تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾
- ٣٠٣ من معاني (وجه)

فصل [٣٦]

نفي التجسيم عن الله

- ٣٠٧ من معاني (يد)

- ٣١٠ إضافة (يد) إلى الله للتخصيص
- ٣١١ من معاني (يد)
- ٣١١ من معاني (يمين)

فصل [٣٧]

نفي التجسيم عن الله

- ٣١٥ معنى (قبضته)
- ٣١٦ معنى مدّ الظلّ وقبضه
- ٣١٧ معنى ﴿ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ ﴾
- ٣١٧ معنى القبض والبسط
- ٣١٨ لا يوصف الله بالقبض على الشيء

فصل [٣٨]

نفي التجسيم عن الله

- ٣١٩ من معاني (الجنب)
- ٣٢٠ معنى ﴿ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾
- ٣٢٠ من معاني (الساق)

فصل [٣٩]

نفي التجسيم عن الله

- ٣٢٢ معنى ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾

- معنى ﴿يَأْتِيهِمْ اللهُ﴾ ٣٢٤
- معنى ﴿أَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ﴾ ٣٢٤
- معنى ﴿تُسَارِعُ﴾ ٣٢٥
- معنى ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ﴾ ٣٢٥

فصل [٤٠]

في مسائل متفرقة

- نقل الشيء إلى غير جهته ٣٢٦
- من استعمال (مس) ٣٢٧
- المس على الله مجاز بقصد الترغيب ٣٢٧
- المنع ليس من صفات الله ٣٢٨

فصل [٤١]

في معنى الشاكر والجبار

- الشكر من الله بمعنى الجزاء ٣٢٩
- (الشكور) في صفات الله مجاز ٣٣٠
- (الجبار) صفة مدح لله وذم للخلق ٣٣٠

فصل [٤٢]

في مسائل متفرقة

- تقبح تزكية النفس من الأدمي وتحسن من الله ٣٣٢

- ٣٣٣ المنّ من الله ليس إزراء
- ٣٣٤ (ترجون) بمعنى : تخافون
- ٣٣٥ معنى ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾

فصل [٤٣]

في مسائل متفرقة

- ٣٣٦ معنى ﴿لَا يَسْتَجِي﴾
- ٣٣٧ معنى ﴿وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ﴾
- ٣٣٧ معنى ﴿اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾
- ٣٣٨ من معاني التلاوة
- ٣٣٩ معنى اللعنة
- ٣٤٠ وصف الله بالاستطاعة
- ٣٤٠ معنى ﴿غَضِبَ اللَّهُ﴾
- ٣٤٠ معنى ﴿آسَفُونَا﴾
- ٣٤١ علة تسمية الهوى إلهاً
- ٣٤٢ معنى ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾

فصل [٤٤]

في مسائل متفرقة

- ٣٤٤ معنى ﴿ثَانٍ﴾
- ٣٤٥ معنى ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ﴾

- ٣٤٥ الفرق بين (ملك) و(مالك)
- ٣٤٦ الله (ملك الناس)
- ٣٤٦ معنى ﴿الْقَيُّومُ﴾
- ٣٤٧ معنى ﴿اللَّطِيفُ﴾
- ٣٤٧ معنى ﴿وَكَيْلٌ﴾
- ٣٤٨ معنى ﴿اللَّهُ غَالِبٌ﴾
- ٣٤٨ معنى ﴿الْأَعْلَى﴾
- ٣٤٩ الإباء - من الله - المنع
- ٣٤٩ معنى ﴿الْعَظِيمُ﴾
- ٣٥٠ الإله يستحقَّ العبادة
- ٣٥٠ نصرة الله بنصرة دينه
- ٣٥١ معنى ﴿هُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾
- ٣٥١ النصر من الله بمعونته وتوقيه
- ٣٥١ نصر الله بالمعونة التي توجب الغلبة
- ٣٥٣ معنى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
- ٣٥٣ الله خالق النور
- ٣٥٣ المصباح مثل لنور الله

فصل [٤٥]

في الرؤية

- ٣٥٦ في إدراك الأبصار لله الذي هو رؤيتها

فصل [٤٦]

في الرؤية

- معنى ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ٣٦٢
 من معاني (نظر) واستعمالاته ٣٦٣

فصل [٤٧]

في الرؤية

- قوله ﴿رَبِّي أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ ليس في دلالة على صحة وقوع النظر ٣٧٠
 معنى ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ ٣٧٢
 معنى ﴿رَأَى﴾ ٣٧٣
 من معاني ﴿مَجَلَّ﴾ ٣٧٤

فصل [٤٨]

في الرؤية

- معنى ﴿لِقَاءَ اللَّهِ﴾ ٣٧٧
 استحالة رؤية الله ٣٨٠
 (لقاء الله) يعني ما وعد الله به ٣٨١

فصل [٤٩]

في الرؤية

- ﴿وزيادة﴾ لا تعني الرؤية ٣٨٢

- ٣٨٣ ﴿الزِّيَادَةُ﴾ هي زيادة في الثواب
 ٣٨٣ لا يستحقها الإنسان بفعله
 ٣٨٥ ﴿مَحْجُوبُونَ﴾ لا تدلّ على كون الحجب عن الرؤية

فصل [٥٠]

في الرؤية

- ٣٨٧ نفى رؤية النبي (صلى الله عليه وآله) الله
 ٣٨٩ معنى ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾
 ٣٩٠ الرؤية لا تجوز على الله

فصل [٥١]

في التوحيد

- ٣٩٤ الله واحد لا شريك له
 ٣٩٦ الله المتفرد بالتدبير
 ٣٩٧ الله واحد لا ثاني الله
 ٤٠٠ دخول (مِنْ) في النفي يدلُّ على عمومه
 ٤٠١ زيادة (الكاف) في قوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾
 ٤٠٢ امتناع وجود إلهين عقلاً
 ٤٠٣ معنى ﴿أَحَدٌ﴾

فصل [٥٢]

في التوحيد

- ٤٠٥ بطلان دعوى مَنْ قَالَ: ﴿اللَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾

- ٤٠٧ معاني التوحيد في آية الكرسي
- ٤١٠ الله القوي العزيز
- ٤١١ الله واحد وإن تعددت أسماؤه

فصل [٥٣]

في التوحيد

- ٤١٣ ردُّ على مَنْ قال: معنى ﴿اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾
- ٤١٤ لا يجوز على الله التَّبَيُّ
- ٤١٦ معنى قوله ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾

فصل [٥٤]

في الإيمان والإسلام

- ٤١٧ معنى الإيمان والإسلام
- ٤٢٠ الإسلام هو الإيمان على الحقيقة
- ٤٢٠ الإيمان والإشراك بالله

فصل [٥٥]

في الإيمان

- ٤٢٢ الطاعة من الإيمان
- ٤٢٣ الإيمان والفسق
- ٤٢٣ الإيمان هو التصديق